الثقافة النفسية المتخصصة

العدد السادس والستون - المجلد السابع عشر - نيسان /أبريل 2006

ملف العدد

الحياة الجنسية بين الزّوجين

خصائصها وصعوباتها

- الإبداع والاضطراب النفسي
- المعرفة العلمية في نموذجها الأنثوي
- الاتجاهات نحو جنس المدرس
- تحريض العصب الحائر لعلاج الاكتئاب
- الذكاء والمشاعر والتصرفات تبدأ من المعدة

مركز الدراسات النفسية والنفسية - الجسدية
Center d'Etudes Psychiques et Psycho Somatique C.E.P.S
طرابلس - لبنان- شارع عزمي - بناية قاديشا ص.ب 3062 - التل
تلفون: 961-6-441805
فاكس: 961-6-438925
E.mail: ceps50@hotmail.com

الثقافة النفسية المتخصصة

WWW.psyinterdisc.com

Psychologie Interdisciplinaire — Interdisciplinary Psychology

الطب النفسي | السيكوسوماتيك | العلاج النفسي | تحليل نفسي | أدوية نفسية | الكوارث | علم النفس

السمنة وعلاجها التفسي

د. محمد احمد النابلسي

العدد الثالث والخمسون / يناير السعر: دولارات

يناقش العدد موضوع السمنة والبدانة بوصفها شكل من أشكال إدمان الأكل. عارضا لمختلف النظريات الطبية المفسرة للسمنة والطارحة لأسبابها. ودون إهمال لإقتراحات علاج السمنة الدوائية وحتى الجراحية فإن الملف يعرض للعلاجات النفسية المقترحة للسمنة. حيث يصنفها المؤلف ومعها إضطرابات الأكل عامة في إطار الإضطرابات السيكوسوماتية. للمزيد

المعلوماتية والعلوم النفسية

د.جمال التركي

العدد الثاني والخمسون/ أوكتوبر السعر دولارات

يناقش العدد موضوع استخدام المعلوماتية في مجال العلوم النفسية في البلاد العربية. حيث اللغة المشتركة تؤمن تضافر الجهود المعلوماتية في هذه البلاد. ويشرف على الملف الزميل التركي صاحب السبق في هذا المجال. للمزيد

إقرأ في العدد القادم

سيكوفيزيولوجية الألم

دراسة نفسية عصبية يشارك فيها ثلاثة من الباحثين الألمان المعروفين. ترجمها للمجلة الزميل سامر رضوان. كما يضم العدد مقابلة مع العالم فاخر عاقل وهو من رواد الاختصاص في المشرق العربي....

سيكولوجية أطفال الإنتفاضة

جماعة من الباحثين

العدد الخمسون / أبريل السعر: دولارات

يتضمن البحوث التالية: خصوصية الضغوط الناجمة عن الانتفاضة. قراءة في سيكولوجية طفل الانتفاضة. تصور خطة لعلاج الأطفال الفلسطينيين. ومتابعات الانتفاضة. للمزيد

أزمات المراهقة

أ.د. أنور الجراية

العدد الثامن والاربعون / اوكتوبر السعر دولارات

يحتوي الملف عاى البحوث والمقالات التالية: المراهق والسلطة. سلوكيات المراهق. المراهق والصحة النفسية. المراهق والتذبذب الأسري. والمراهق والامتحانات. للمزيد

شروط النشر
الهيئة الإستشارية
مؤتمرات المجلة
ملفات المجة
دليل الموقع

الصفحة التالية

مركز الدراسات النفسية والنفسجسدية
Center d'Etudes Psychiques et Psycho Somatique C.E.P.S

الثقافة النفسية المتخصصة

رئيس التحرير
محمد أحمد النابلسي

INTERDISCIPLINAR PSYCHOLOGY
Editor in chief: Naboulsi.M (M.D.PH.D)

PSYCHOLOGIE INTERDISCIPLINAIRE
Chef Editeur: Naboulsi M. (M.D. ph D.)

إن الآراء الواردة في المجلة تعبر عن وجهة نظر كتابها، وهي لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر المجلة.

يرجى مراجعة شروط النشر المنشورة في صفحة مستقلة.

تعطى أفضلية النشر وفق خطة التحرير وبحسب المحاور المحددة مسبقاً.

توجه جميع المراسلات باسم رئيس التحرير على عنوان المركز المبين أدناه.

طرابلس لبنان شارع عزمي بناية قاديشا
P.O .BOX: 3026 - Tal
تلفون: 961-6-441805
فاكس: 961-6-438925

E-mail: ceps50@hotmail.com

سكرتاريا التحرير

حسن الصديق عبد القادر الأسمر

هيئة التحرير

روز ماري شاهين سلمى المصري دملج

سامر رضوان جليل شكور

الهيئة الاستشارية

احمد عبد الخالق جامعة الكويت. كلية الآداب.
أحمد ابو العزايم رئيس الاتحاد العالمي للصحة النفسية.
اسامة الراضي مجمع الراضي للطب النفسي.
اليزابيث موسون عضو شرف في محافل عالمية.
أنور الجرابة مستشفى الهادي شاكر للطب النفسي.
بشير الرشيدي رئيس مجلس امناء مكتب الإنماء الاجتماعي.
جمال التركي استشاري الطب النفسي / بريطانيا.
جيمي بيشاي مشفى المحاربين القدماء / الولايات المتحدة.
على وطفة كلية التربية. جامعة دمشق.
صفاء الأعسر مركز دراسات الطفولة / عين الشمس.
طلعت منصور جامعة عين شمس / كلية التربية.
عادل الأشول جامعة الكويت / كلية التربية.
قتيبة شلبي الولايات المتحدة.
زايد الحارثي جامعة أم القرى / السعودية.
عبد الستار ابراهيم جامعة الملك فهد / الظهران.
عبد الفتاح دويدار جامعة الإسكندرية.
عبد العزيز الشخص جامعة عين شمس / كلية التربية.
عبد الرزاق الحمد جامعة الملك سعود / كلية الطب.
عبد المجيد الخليدي جامعة عدن / كلية الطب.
عدنان التكريتي رئيس تحرير المجلة العربية للطب النفسي.
علي زيعور الجامعة اللبنانية / كلية الآداب
فاروق السنديوني جامعة واغا واغا / أستراليا.
فرج عبد القادر طه عضو المجمع العلمي المصري.
فيصل الزراد مستشفى الطب النفسي / أبو ظبي.
قدري حنفي قسم الدراسات الإنسانية / عين شمس.
محمد حمدي الحجار أستاذ الطب النفسي السلوكي / سوريا.
محمد الطيب عميد كلية التربية / جامعة طنطا.

قيمة الاشتراك السنوي

الأفراد ٤٠ دولاراً أميركياً - للمؤسسات ١٠٠ دولار أميركي - ثمن النسخة عشرة دولارات أميركية، أو ما يعادلها - الاشتراك الشامل للمجلة وإصدارات المركز كافة ١٥٠ دولاراً أميركياً

شروط العضوية

منذ مطلع العام 1990، ومع صدور العدد الأول من الثقافة النفسية المتخصصة، والمركز يعمل على إرساء خطاب نفسي عربي جامع، يترجم أهداف خدمة الاختصاص في الدولة العربية. وعلى هذا الطريق عقد المركز ثلاثة مؤتمرات عربية جامعة مع انتظام صدور دوريته الثقافية النفسية المتخصصة، حتى توصل المركز إلى كسب ثقة زملاء من كافة أنحاء العالم العربي، فأصبح أعضاؤه موزعين على الدول العربية. هذا ويسعى المركز إلى توسيع دائرة التواصل بين الاختصاصيين عبر المجلة، والمشاريع التوثيقية التي يتبناها، ومنها مشروع الصفحة المعلوماتية العربية على شبكة الإنترنيت.

يتوجب على طالب العضوية استيفاء الشروط التالية:

1- أن يكون متخصصاً في أحد فروع العلوم النفسية. ويحدد نوع العضوية بناء على المؤهلات، إذ يعتبر عضواً متمرناً المنتسب الحائز على الليسانس. عضواً منتسباً الحائز على الماجستير، وعضواً مؤهلاً من كان حائزاً على الدكتوراه، أو على التخصص في الطب النفسي، أو الطبيب الباحث في ميدان السيكوسوماتيك. كما يعتبر عضواً عاملاً الاختصاصي المشارك في النشاطات الأساسية للمركز. وتمنح عضوية شرف المركز للمشتركين مدى الحياة في المجلة، كداعمين لاستمراريتها. وكذلك لأصحاب الإسهامات المميزة الداعمة للمركز.

2- أن يرسل سيرته العلمية المفصلة مع صور الوثائق، والسماح بإدراجها في الصفحة العربية للعلوم النفسية، وفي صفحة المركز التي ستضم أسماء أعضائه وسيرهم العلمية.

3- الالتزام بالدعوة لتكييف مبادئ الاختصاص، بما يلائم البيئة الثقافية العربية.

4- أن يشارك في نشاطات المركز ضمن إطارات اهتمامه.

5- أن يشترك في مجلة المركز الثقافية النفسية المتخصصة. حيث يعتبر هذا الاشتراك هو رسم الاشتراك في عضوية المركز. وتتوزع أنواع الاشتراك كما يلي:

- **اشتراك عادي 40 دولار سنوياً (يحصل على أعداد المجلة).**

المحتـويات

- عزيزي القارئ 7
- قضية حيوية..... 9

اغتيال الأنثروبولوجيا ونهاية البشرية / محمد أحمد النابلسي

- علم النفس حول العالم 19
- علم نفس الإبداع 33

الإبداع والاضطراب النفسي / ترجمة د. حسان المالح

- علم النفس المدرسي..... 43

الإتجاهات نحو جنس المدرس في المرحلة الابتدائية الأولى/ د. مصطفى عشوي

- علم نفس المرأة..... 75

المعرفة العلمية في نموذجها الأنثوي / د. عماد فوزي شعيبي

- النـدوات والمؤتمرات 95
- مكتبة العدد 107

- الإرهاب.. الظاهرة وأبعادها النفسية
- علم النفس العصبي
- العلاج بالتحليل النفسي - الحالة دومينيك
- علم النفس والمخابرات

- ملف العدد 117

الحياة الجنسية بين الزوجين: خصائصها وصعوباتها

د. شكري الأشطر ومشاركوه

- **اشتراك شامل 100 دولار سنويا (يحصل على كافة إصدارات المركز عن سنة الاشتراك من كتب ونشرات وغيرها).**
- **اشتراك مدى الحياة 500 دولار.**

للاشتراك يرسل طلب الاشتراك مبيناً فيه بوضوح: الاسم والعنوان، والمستوى الأكاديمي، ومكان العمل، وفئة العضوية المطابقة. ويرسل الاشتراك بموجب حوالة باسم رئيس التحرير د. محمد أحمد النابلسي على الحساب التالي: المصرف: الشركة العامة اللبنانية، الأوروبية المصرفية ش.م.ل/ فرع طرابلس رقم الحساب: (1-01- 330384- 360 -001-010).

صاحب الحساب: محمد أحمد النابلسي

قسيمة الاشتراك

الاسم:

التخصص:

التخصص الدقيق:

مكان العمل:

نوعية الاشتراك وقيمته:

العنوان (بما فيه أرقام الهاتف والفاكس والبريد العادي والالكتروني)

عـزيزي القـارئ

بدأت فعالية العلوم النفسية في وطننا العربي تطل برأسها لتبدأ مرحلة الاستجابة لحاجات القارئ، والمجتمع، العربيين. وبغض النظر عن الرأي والرأي الآخر، وعن موافقتنا، أو اعتراضنا، على أساليب مقاربة هذه الموضوعات، فإن مجرد طرحها يعني الانطلاق في تفعيل السيكولوجيا، ووضعها في خدمة المجتمع العربي.

في هذا العدد يناقش البروفسور محمد أحمد النابلسي موضوعة اغتيال الأنثروبولوجيا ونهاية التاريخ، وما أتى به كل من فوكوياما وهنتنغتون من "نظريات" زامنت انهيار الاتحاد السوفياتي (السابق)، ونشوء ظاهرة الأحادية القطبية، وكتاب للزميل ماجد موريس إبراهيم يناقش ظاهرة الإرهاب، في حين يناقش الدكتور عماد الشعيبي أنثوية المعرفة. كما يعرض الدكتور عمر هارون الخليفة لكتابه علم النفس والمخابرات.

وفي العدد الأبواب الثابتة: قضية العدد، ومكتبة العدد، والندوات والمؤتمرات، وعلم النفس حول العالم، الذي يحمل نبأ عن قرب اكتشاف علاج لمرض هنتنغتون.

ويخصص العدد ملفه لمناقشة موضوع الحياة الجنسية بين الزوجين والأزمات المعترضة، عبر بحث للدكتور شكري الأشطر ومشاركيه من الزملاء التونسيين.

وعلى أمل أن يحظى هذا العدد بقدر من الاستجابة لحاجات الزملاء القراء، وأن يكون قد نجح في متابعة بعض نشاطات الاختصاص في الوطن العربي، نستودعك الله عزيزي القارئ

والى اللقاء

مجلة علم النفس

قام مركز الدراسات النفسية، والنفسية – الجسدية (طرابلس – لبنان) بإعادة طباعة العدد الأول من مجلة علم النفس، الصادر في حزيران/يونيو عام 1945 في مصر.

يطلب من مركز الدراسات النفسية، والنفسية الجسدية

فاكس: 438925 _ 6 _ 00961

هاتف: 441805 _ 6 _ 00961

E-mail: ceps50@hotmail.com

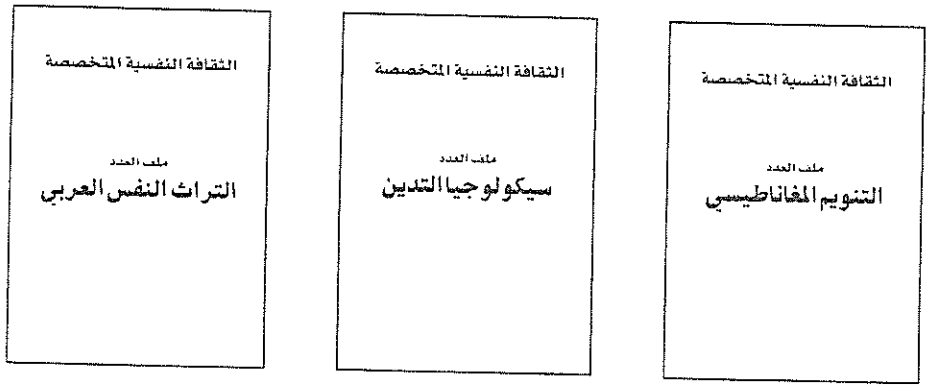

الثقافة النفسية المتخصصة

فصلية متخصصة

الأفراد:

- اشتراك سنوي 40 دولاراً أميركياً.
- اشتراك سنوي شامل 100 دولار أميركي.
- اشتراك مدى الحياة 500 دولار أميركي.

المؤسسات

- اشتراك سنوي 100 دولار أميركي.
- اشتراك سنوي شامل 150 دولاراً أميركياً.

سعر النسخة الواحدة لعام سابق 10 دولار أميركي

اغتيال الأنثروبولوجيا ونهاية البشرية

د. محمد أحمد النابلسي

الأمين العام للاتحاد العربي للعلوم النفسية

احتاج الإنسان إلى كامل خياله ليتصور مستقبل العالم واقفاً على قدم واحدة بعد نهاية الحرب الباردة. فكان فوكوياما السباق إلى طرح فرضية نهاية التاريخ، مفتتحاً بذلك مسلسل النهايات، من نهاية الشيوعية، حتى نهاية الأيديولوجيا، ومنهما إلى نهاية الأنثروبولوجيا، ومعها البشر.

نهاية الأيديولوجيا تنطوي ضمناً على نهاية الأديان بوصفها أول العقائد (الأيديولوجيات)، وهي نهاية تتضمن انتصار ديانة المنتصر الأميركي (البروتستانتية). وهي على قرابتها من كل من المسيحية التقليدية واليهودية، إلا أنها تنظر إليهما بازدراء شديد، دون التصادم، بسبب تقبل هذا الازدراء. حيث يعلن البروتستانت أن نهضة وقيامة الغرب قامت على أسس بروتستانتية، ولم تكن لتحصل في ظل الكاثوليكية. أما اليهود فهم مجرد ضيوف لحين قدوم المسيح البروتستانتي. ولا يبقى للصدام سوى العقائد الأصلب والأكثر مقاومة للتغيير عبر الزمن، وهي صفات يتمتع بها الإسلام والكونفوشية. من هنا انتقاء صموئيل هنتنغتون لهما كأعداء حضاريين للعالم الأميركي الجديد، وذلك عبر فرضيته المعنونة بـ"صدام الحضارات".

هذا السياق الفكري يبين أن العداء الغربي، والأميركي تحديداً، للإسلام ليس مجرد خلاف حول العبادات، بل هو عداء حضاري يهدف إلى تجاهل التاريخ بحجة نهايته، ودفن التراث بحجة لاجدواه. والجماعات عديمة التراث لا تفهم رفض الآخر دفن تراثه والاعتزاز بتاريخه الثقافي والحضاري. ربما لعدم ملكيتها لمثل هذه المفاهيم. وانطلاقاً من عدم الفهم هذا ينظر الأميركيون إلى الأمم صاحبة التراث على أنها ترفض التخلي عن قيمها بفعل العداء لأميركا.

هنا يلجأ الأميركيون إلى حيلة نفسية دفاعية قوامها الآلية التالية: «أنا أكره الآخر فأحس بالذنب، لذلك أستبدل التأويل بالقول إنه يكرهني، لذلك فأنا أكرهه». وبذلك يصبح تمسك الأمم والشعوب بتراثها وتقاليدها مظاهر عداء تستحق العقاب. وأميركا تعاقب كل أمة أو دولة أو جماعة بقدر تمسكها بتراثها. فهي تعاقب الأوروبيين على تمسكهم بقواعد الأتيكيت وتسخر منهم، في حين أنها تحاصر الصين، وتجهد لاحتوائها بنية الابتلاع لاحقاً. أما الدول الإسلامية، فإن عقابها يخفف بقدر استعدادها لمغادرة القيم الإسلامية. بدءاً من مجرد الانفتاح، ولغاية تجاهل قائمة الآيات الكريمة التي تذكر اليهود بصفاتهم. ويتصاعد العقاب عندما يضاف إلى القيم الدينية التراث العربي والشعور القومي، فتصبح الدولة في وضعية كارثية. فتحت عنوان الإصلاح يطالب الأميركيون الدول الإسلامية بمغادرة قيمها وتقاليدها وتراثها. ومن عناوينهم ما يسمى بقائمة الحقوق، وهي حقوق نظمها الشرع الإسلامي وقننها. فإذا ما أضيفت الحقوق الأميركية إلى الحقوق الشرعية وقع المجتمع في مأزق يجبره على التخلي عن واحدة من هاتين القائمتين. مثال ذلك استحالة الجمع بين حقوق المرأة في الإسلام، ووفق النمط الأميركي، وإلا تحول المجتمع إلى ديكتاتورية شاملة للمرأة. وقس عليه في بقية الحقوق، عداك عن الحقوق المرفوضة إسلامياً، مثل حقوق الشواذ، وغيرها من الحقوق المتعارضة والقيم الإسلامية.

وكان اغتيال الأنثروبولوجيا قد انطلق مع طرح فرانسيس فوكوياما لنهاية الإنسان، إذ لجأ إلى اعتماد تفسير جديد لفرضية "نهاية التاريخ" التي أطلقها عام 1989 في مقالة نشرها في مجلة "ناشيونال انترست" (واتبعها بكتاب صدر في العام 1992 تحت عنوان _ نهاية التاريخ والرجل الأخير). والتعديل الجديد يرتكز على أمثلة عن مفعول دواءين نفسيين شهيرين هما:

ريتالين (Ritalin) وبروزاك (Prozac). وبذلك يكون فوكوياما قد دخل قدس أقداس السيكولوجيا. وهو دخول من شأنه أن يفضح كافة الثغرات النظرية والفكرية في فرضياته. وهذا من شأنه تسهيل مهمتنا في القراءة النقدية _ السيكولوجية لهذه الفرضيات. والمقالة موضوع حديثنا نشرها فوكوياما في العدد 56 من مجلة "ناشيونال انترست" الصادر صيف 1999. والتي كان من الأولى عنونتها بعنوان "نهاية الأنثروبولوجيا".

في هذه المقالة يستند المؤلف إلى محاجة رئيسية، يعتبرها عرضة للتجاهل حتى الآن، وهي محاجة التطور في ميدان التكنولوجيا الحيوية. متخذاً الأمثلة عليها في الدواءين المشار لهما أعلاه. ونبدأ بـ:

1- البروزاك Prozac

وننقل حرفياً ماكتبه فوكوياما حول هذا الدواء، إذ يقول: «... إنه يؤثر على مستوى السيروتونين في الدماغ، الذي يرتبط بالمشاعر الخاصة بالثقة بالنفس، وبتقدير الذات. كما أن للسيروتونين دوراً في التنافس على تسلسل المكانة لدى الرئيسيات من الثدييات. ويشعر الشمبانزي بانتشاء السيروتونين عندما يحقق مكانة الذكر الأولى. وعن طريق تنظيم السيروتونين في دماغ الشمبانزي يمكن للعلماء أن يعيدوا ترتيب التسلسل الهرمي الخاص بالهيمنة في مستعمرات الشمبانزي...».

وهذا الكلام حقيقي وثابت علمياً، إلاّ أنه يتعلق بالسيروتونين (الإفراز الطبيعي) أما الأدوية المعيقة لتثبيته (على شاكلة البروزاك) فلها شأن آخر. حيث يقول فوكوياما حولها: «... بما أن عدد النساء اللاتي يملن للإكتئاب أكثر من الرجال، فإن بروزاك تستخدمه النساء على نطاق واسع. واحتفي بالدواء في كتب مثل كتاب Prozac Nation _ وطن البروزاك لإليزابيت ورتزل. وله (مثل الريتالين) استخدامات لا خلاف على أثرها العلاجي. لكن عدداً غير معروف من ملايين مستخدميه يسعون وراء ما يسميه بيتر كرامر "علم العقاقير التجميلي"... ثم يصل فوكوياما إلى الربط بين آثار الدواء، وبين نظرية هيغل المتعلقة بالكفاح لجلب الاعتراف. حيث يرى في البروزاك طريقاً مختصراً يستبدل الكفاح من أجل الاعتراف (الذي يقتضي بناءً شاقاً للنظام الاجتماعي العادل) بحبة دواء (تجلب للإنسان الرضى عن النفس وتقدير الذات) تلغي ضرورة السعي إلى التغلب على الذات بكل قلقها ومحدوديتها! (انتهى).

إن هذه الأسطر القليلة تفقد فوكوياما مصداقيته وتضعه في خانة الضليل الذي يضلل الآخرين، وربما العالم (بسبب شهرته)، فهذه الأسطر تستتبع ملاحظات وتثير إشكاليات عديدة أهمها:

أ- إن الطب النفسي يرفض المبادئ الرومانية (وإن قبلها البراغماتيون، وفي طليعتهم البراغماتي المتشائم نيتشيه). بل إنه يرفض تحديداً المبدأ القائل بضرورة الجنون في عالم مجانين. فإذا كان الاختصاص يسعى لدعم قدرة التكيف لدى الأشخاص والجماعات، فإنه يضع لسعيه حدوداً لا يتجاوزها، فلو بحث الاختصاص عن تحقيق السعادة وتقديمها لطالبيها بدون ضوابط، لكانت المخدرات أسهل الطرق، وأقربها لذلك. وإذا تابع المقال متسائلاً عن مصير عباقرة، مثل بليز وباسكال ونيتشيه، لو أنهم أدركوا البروزاك!؟ فإن الجواب هو: لا شيء! وهذا ما سنشرحه لاحقاً.

ب – يقول فوكوياما إن لا خلاف على الآثار العلاجية لهذه الأدوية! لكن الحقيقة أن

هنالك خلافاً حاداً حول هذا الموضوع. إذ أن العديد من الدراسات الجدية تشير إلى تشجيع البروزاك (تحديداً من بين أشباهه) للميول الانتحارية والعدوانية لدى متعاطيه. حتى إن المحاكم الأميركية أصدرت أحكاماً عديدة استناداً إلى هذه الأبحاث، كما ألزمت الشركة بدفع تعويضات للمتضررين من استعماله.

ج- في ما يتعلق بكتاب "وطن البروزاك" وقائمة طويلة من الكتب المشابهة، فإن الأمر دعائي بحت. فالدواء باهظ الثمن وهو قد حقق للشركة المنتجة (ليلي) أرباحاً خيالية، الأمر الذي جعل ميزانيته الإعلانية خيالية بدورها.

د- إدراكاً لبعض جوانب القصور في البروزاك وأشباهه، تم إنتاج جيل جديد من مضادات الاكتئاب يمارس تأثيراً مزدوجاً على السيروتونين، وعلى النورأدرينالين في آن معاً.

هـ- إصراراً من الشركة على متابعة جني الأرباح، فإنها تعترف الآن بعوارض الدواء الجانبية، وهي تنصح باستمرار باستعماله مرفقاً مع أدوية أخرى لإصلاح هذه الآثار!.

الطب النفسي الألماني، ومنذ العام 1992، يخوض تجربة علاج الاكتئاب بعشبة القديس يوحنا (عشبة القلب بحسب ابن سينا)، حيث أثبت هذا العلاج تفوقه على البروزاك، وبات مستخدماً على نطاق واسع. وهو يردنا إلى العلاجات التقليدية، وهذا يردنا إلى قلب الأنثروبولوجيا، التي يتوقع فوكوياما نهايتها!.

ز- إن تجربتنا الشخصية، التي نشرحها بتبسيط شديد، تشير إلى أن من يعانون من الاكتئاب والفوبيا لديهم دفاعات جسدية توجه غددهم لإفراز مواد تعمل وفق آليات شبيهة بآليات عمل هذه الأدوية. ومع الوقت، فإن إفراز هذه الغدد يضطرب ويتحول من مؤقت إلى دائم. وهكذا فإن استعمال هذه الأدوية يعطل في استقرار هذا الاضطراب، مما يلغي لقب "الحبة السحرية" الذي كان شعار الحملة الدعائية للبروزاك، والذي تأثر به المؤلف أيما تأثر.

ونكتفي بالحديث عن البروزاك متخطين الريتالين، للانتقال إلى الفرع الأهم في التكنولوجيا الحيوية، وهو الجينات والهندسة الوراثية.

2- الهندسة الوراثية

يقول المؤلف إن هذه التقنية لا تؤثر فقط في الشخص الذي تطبق عليه، وإنما تتعداه إلى ذريته. ثم يستنتج بأن التكنولوجيا الحيوية ستكون قادرة على تحقيق ما فشلت الأيديولوجيات الراديكالية في تحقيقه، وهو "خلق نوع جديد من البشر". ولا يهم فوكوياما مناقشة الجانب الأخلاقي للمسألة، فيستعين بعالم الأخلاق ليون كاس، حيث الدعوة

للفصل بين الاستخدام العلاجي لهذه التقنيات، وبين استخدامها لتحسين النوع. إلاّ أن المؤلف يشكك بإمكانية الفصل الحاسم بين العلاج وبين التحسين، ويعتبر أن المناطق الرمادية بينهما صعبة الحصر.

لكن الرد المختصر على مجمل تحليلات فوكوياما في هذا المجال هو نكتة متداولة بين العاملين فيه، وهي: سأل طبيب زميله: ماذا تقول في امرأة حامل تعاني من السل، متزوجة من رجل مصاب بالسفلس. ومات بكرها فور ولادته، أما ابنها الثاني فإنه أصم، أبكم وأعمى؟ أجاب الزميل: عليك أن تنصحها بالإجهاض فوراً! فضحك الأول قائلاً: لقد قتلت بيتهوفن! فهذه كانت حال عائلته.

3- أزمة المستقبليات

لقد تحولت المستقبليات في العقدين الأخيرين إلى مجال سحري ينقل العاملين فيه من باحثين متخصصين مغمورين (لا يعرفهم إلا أهل الاختصاص في حقلهم) إلى نجوم مشهورين. هذه كانت حال توفلر وهنتنغتون وفوكوياما...إلخ.

لكن هؤلاء، ومعهم كافة العاملين في المستقبليات، يجابهون إشكالية عسيرة. فالتوقع المستقبلي يفقد إمكانية تحقيقه بمجرد إعلانه، لأنه يثير آليات التحسب، ويلفت الأنظار إلى ضرورة إصلاح أخطاء الماضي، وترشيد ظروف الحاضر، وغيرها من الخطوات التي تجعل حدوث التوقع مستحيلاً. وللمثال نذكّر بعدد من الكتب المستقبلية _ الاقتصادية التي نشرت في الثمانينيات، متوقعة خروج الدولار من وضعية العملة العالمية، حيث كان هذا الخروج حتمياً لولا التنبه المسبق له. والذي استتبع جملة خطوات تمكنت من تمديد هذه الوضعية لمدة طويلة غير متوقعة. ونكتفي بهذا المثال للنتقل إلى هنتنغتون وفرضيته حول "صدام الحضارات" وجهوده الراهنة في تعديلها والدفاع عنها بالتذكير بالاتنولوجيات والتنوع الحضاري... إلخ، ومنه إلى فوكوياما الذي اعتبر "صدام الحضارات" نقداً لاذعاً لفرضيته "نهاية التاريخ" فرد الصاع صاعين لهنتنغتون عبر توقعه نهاية الأنثروبولوجيا عن طريق التكنولوجيا الحيوية، التي تحول الأحياء وأجيالهم التالية إلى نوع من المساواة الجينية تؤدي، في رأيه، إلى خلق نوع جديد من البشر.

هذه النماذج المختصرة تفسر لنا أسباب بقاء المستقبليات في حدود التكهن. ونقلد فوكوياما هنا بالاستعارة من علم الأحياء في تشبيهنا التوقع المستقبلي بالبكتيريا العاجزة عن مقاومة الهواء (التي تموت بمجرد خروجها إلى الهواء). وذلك بحيث يصعب علينا الحكم ما إذا كان عدم تحقق التوقع يعود إلى عدم دقته (أو صحته أساساً) أم هو يعود إلى

مجرد إعلانه؟

والأمر هنا مرتبط عضوياً بسيكولوجية الشائعة، وذلك على أكثر من صعيد، بحيث تدفعنا رغبتنا في عدم التشعب المبالغ فيه، وللاكتفاء بالأمثلة التالية:

أ- واحدة من الشائعات التاريخية توقع فيها الكاهن للملك بأن طفلاً سيهدد عرشه، عندما يكبر! ويستجيب الملك للتكهن، فيقتل الطفل ليحفظ عرشه. لكن أحداً لا يستطيع التقرير بحقيقة هذا التهديد في ما لو بقي الطفل على قيد الحياة!؟. لكن وجود أساطير داعمة لهذه الشائعة تجعل الجميع يعتقدون بصحتها! وفي عصرنا الراهن يكرر المستقبليون هذه الشائعة – التهكنية بأسلوب مختلف، حيث تتوجه جهودهم للبحث عن القوة – الطفل (التي لا تزال صغيرة وغير ملاحظة) التي يمكنها تهديد الملك (وهو في هذه الحالة الراهنة: الحضارة الغربية، أو الولايات المتحدة، أو الديموقراطية الليبرالية، أو غيرها من المرادفات).

ب- أما الأطفال الذين رشحوا للقتل فمنهم: المسلمون - العرب والصين - الكونفوشية وبقايا الشيوعية، وانبعاثات الفاشية. بمعنى آخر، فإن المتكهنين الجدد يكادون أن يقتلوا جميع الأطفال! ولا يتفقون على طفل بعينه!

ج- إن سريان الشائعة يتعلق بالقبول الذي تتمتع به. فعندما تطلق أية شائعة، فإنها تجد فئة تريد تصديقها، وأخرى لا تريد تصديقها! والفئتان تتفاعلان مع الشائعة دون تعقيلها، فتعمل الأولى على تأييدها ونشرها، في حين تعمل الثانية على نفيها وإعاقتها. وبما أن التوقعات والطروحات المستقبلية تبقى شائعات، إلى أن يبت الزمن (المستقبل) بصحتها أو بخطئها، فإن مبادئ الشائعة تنطبق عليها.

د- بناء على ما تقدم يمكن القول بأن نجاح شائعة "صدام الحضارات" يعود إلى كونها مقبولة من كافة الأطراف، حيث الحضارة الغربية تبحث عن عدو فلا تجده، وحيث الإسلام والكونفوشية يعانيان جروحاً نرجسية مزمنة تحتاج إلى تعويضات. لكن هذه الفرضية تعرضت للخنق الرسمي الأميركي (رفضها كلينتون ومعاونوه ونفوها في عدة مناسبات. ثم دعموا نفيهم لها بتحركات تنقضها) لأنها تضع الولايات المتحدة، خصوصاً، في مواجهة مستحيلة. وتأتي هذه الاستحالة أولاً من استعداد هؤلاء الأعداء لتقديم أعداد هائلة من الضحايا البشرية، وهو ما تعجز عنه الولايات المتحدة.

هـ- بالعودة إلى شائعة "نهاية التاريخ" نجد أنها تعبر عن حلم أميركي من النوع التبشيري، حيث الدستور الأميركي (الإنجيل الجديد) بمبادئه الليبرالية يسود العالم!. لكن شهرة

هذه الشائعة إنما أتت من معارضيها المتضررين منها. حيث يعترف فوكوياما في مقالته الراهنة بقوله: ... من الصعب أن نصدق في اللحظة الراهنة وجود زاوية لم تنتقد فرضية "نهاية التاريخ" من خلالها...

ومع ذلك، فإن فوكوياما يتجاهل أن حلم الانتشار العالمي هو حلم جميع المذاهب التبشيرية، سواء كانت دينية، أو أيديولوجية، بل إن هذا الحلم يتكرر بصورة أخرى لدى المذاهب غير التبشيرية، عبر طموحها للسيادة على الآخرين والسيطرة عليهم، مع حرمانهم حق المشاركة في الفكرة.

4- دفاعات فوكوياما

المقالة تتضمن تراجعاً واضحاً عن طرح "نهاية التاريخ"، لكن صراحة هذا التراجع لا تخلو من بعض الالتفاف والدفاع الحاد عن المنطلقات الفكرية الأولية للفرضية. ومن هذه المواقف الدفاعية نذكر:

1- يسند فوكوياما فرضيته إلى مقولة هيغلية، فيذكر بأن للعملية التاريخية محركين رئيسيين:

أ- الاقتصاد

ب- الاعتراف.

ويعود ليؤكد بأن الديموقراطية الليبرالية هي نهاية المطاف التي يقود إليها هذان المحركان، إلاّ أنه يسجل في المقابل عدة اعترافات حول معوقات بلوغ هذه النهاية.

2- إن اقتصاديات و/ أو ثقافات بلدان عديدة تحول بينها وبين بلوغ نهاية المطاف.

3- إن التغيرات العالمية المتوقعة، كنتيجة لثورة الاتصالات، ستجد ضوابط لها عبر ثورة التكنولوجيا الحيوية التي لم تُلقِ ما في جعبتها بعد.

4- إن النظام الرأسمالي العالمي يتعرض لمؤامرات من قبل دول محتالة، مثل العراق وكوريا الشمالية. كما يتعرض هذا النظام إلى رفض ذي دوافع ثقافية واقتصادية في أنحاء كثيرة من العالم.

5- لقد عانى المحرك الاقتصادي للعملية التاريخية من جملة أعطال خلال عقد التسعينيات (يتوقف عند العام 1998 المفصلي بالنسبة للأزمات الاقتصادية) مما أصاب العملية بانتكاسة شديدة. حتى داخل الولايات المتحدة نفسها. حيث صوت الكونغرس الأميركي ضد هيئة المسار السريع (بما يشكل تراجعاً أميركياً عن مبادئ السوق) مرتين (1997 و 1998). كما رضخت إدارة كلينتون لضغوطات مصانع الصلب

المهددة بالإفلاس، فكانت إجراءات حمائية لهذه الصناعة.

6- يعترف فوكوياما بأن نجاة الصين من الأزمة الآسيوية يعود إلى تحفظها على السماح بجعل عملتها قابلة للتمويل. ويعترف أنها بذلك قد أعطت مثالاً سالباً للدول الآسيوية الأخرى التي تعجلت في اعتناق مبادئ السوق.

لكن ما لا يعترف به فوكوياما أكثر بكثير مما اعترف به، وربما أراد أن يكتفي بالإشارة إلى هذه النقاط دون توضيحها باغترافات صريحة. ويهمنا تحديداً من هذه النقاط ما يلي:

7- لقد خرجت الولايات المتحدة تكراراً على مبادئ السوق (العولمة). وهي بالتالي مستعدة لاختراقات جديدة أخرى إذا رأت فيها مصلحة لها. وهذا يعادل القول بأن الولايات المتحدة مستعدة للانقلاب على العولمة إن هي رأت فيها إضراراً بمصالحها.

وقفت الولايات المتحدة موقف المتفرج من الأزمات الاقتصادية للدول المتعولمة (النمور الآسيوية والبرازيل وروسيا...إلخ). بل إنها ألقت اللوم على حكومات هذه الدول، وعلى فسادها، متنصلة من أخطائها التي يصنفها فوكوياما في ثلاث خانات هي:

- إذعان الإدارة الأميركية للاقتصاديين على حساب الأولويات السياسية.
- تجاهل العوائق الثقافية والتقليل من شأنها وقدرتها على إعاقة العولمة.
- تحريك رأس المال بسرعة أكبر من حركة العمل عن طريق الاستثمارات قصيرة الأجل، المسؤولة عن معظم أزمات الأسواق الناشئة.

5- نهاية الأنثروبولوجيا

في النصف الثاني من مقالته يسجل فوكوياما قفزة من نهاية التاريخ إلى نهاية الأنثروبولوجيا. فيعيد طرح مسألة المحركين: الاقتصادي والاعتراف. فيرى أن طرحه الأولي لنهاية التاريخ هو طرح يقف على عدم واحدة هي الاقتصاد. في حين أن النهاية الحقيقية للتاريخ ستقف على قدمين: أولهما الاقتصاد، وثانيهما الاعتراف، الذي ستقدمه التكنولوجيا الإحيائية هدية للبشرية، فتخلق "نوعاً جديداً من البشر" لا يحتاج للاعتراف، لأنه متشابه! وهذا مثال على العذر الأقبح من الذنب! فمهما بلغت حدود التقدم، فإن أحدا لا يمكنه أن يتوقع تنازل الثقافات عن خصوصياته وقبولها بالتحول إلى قطيع بشري متجانس. ولعل في رواية نكتة بيتهوفن الواردة أعلاه خير دليل على ذلك.

كما يعيب هذه المقالة الطريقة الاستدلالية المعتمدة من قبل مؤلفها، حيث يحكم بفشل كافة النظم الاقتصادية (الاشتراكية والتسلطية - اللينة والعائلية والنموذج الياباني) نافياً، أو حتى رافضاً، التفكير باحتمالات تطويرها وتعديلها مستقبلاً، مكتفياً بالاستدلال على

فشلها بوضعها الراهن.

في المقابل، فإننا نجد فوكوياما يعلن النصر النهائي للرأسمالية، ويؤكده استناداً أيضاً إلى وضعه الراهن، متجاهلاً نقاد هذا النظام (وفي طليعتهم شوروش - أزمة الرأسمالية العالمية) وأزماته (يعتبر أن سلبية الموقف الأميركي من الأزمات الاقتصادية العالمية، وخفضها لأسعار الفائدة للحد من الخوف الناجم عن هذه الأزمات، حلاً جذرياً للأزمة. وفي هذا تجاهل للآثار اللاحقة التي ترتبت عليها، وأدت إلى نشوء تجمع الدول الخمس عشرة). كما يتجاهل المؤلف الذعر المكتوم من اقتراب بطلان سياسة قطع التيار «هي جملة خطوات، بعضها غير معلن، ذات طابع وقائي لحماية بورصة وول ستريت من الأزمات التي تحدث فيها من آن لآخر بصورة عشوائية ودون مبررات منطقية» وذلك بسبب دخول التعامل في البورصات عن طريق الإنترنت. وهذا التعامل بحجمه الحالي (وهو لا يتجاوز الـ 10٪ من الحجم المحتمل) يمكنه أن يؤدي إلى انهيار وول ستريت إن هي تعرضت مصادفة لاثنين أسود جديد!

6- الاستنتاجات

بناءً على جملة المعلومات المتداخلة (فلسفية وبيولوجية وأنثروبولوجية وسياسية واقتصادية) التي يعرضها المؤلف، فإنه يخلص إلى الاستنتاجات التالية:

أ - إن تصوراته بشأن الثورة التوأم (اتصالات - بيولوجيا) قد لا تتطابق مع الواقع. فاحتمال، أو إمكانية، حدوث الشيء لا يعني ضرورة حدوثه (نلاحظ هنا تحفظه وبعده عن إطلاق التأكيدات).

ب- إن قوة تصوراته بشأن نهاية التاريخ تأتي من كون الديموقراطية الليبرالية، واقتصاد السوق، خيارين وحيدين للدخول في العالم الحديث.

ج- مكمن العيب في المقولة "نهاية التاريخ" هو أنها تفترض وجود أنثروبولوجيا بشرية متأصلة في الطبيعة "أي حتمية التنوع البشري" في حين تعد التكنولوجيا الإحيائية بالتغلب على حدود الطبيعة البشرية "مما يعني إلغاء الأنثروبولوجيا".

ويبدو أن علاقة الأخوة الأعداء مستمرة بين فوكوياما وهنتنغتون الذي يدافع عن مقولته "صدام الحضارات" بصورة نقيضة تماماً لكل ما طرحه فوكوياما في هذه المقالة. وهذا طبيعي لأن فرضية كل منهما مناقضة للأخرى. ولكن أين أصبح علم المستقبليات أمام هذه الطروحات المتناقضة؟.

تجيبنا نظرية الاستقراء التاريخي بأن الحقيقة (الواقع المستقبلي) تكون في الغالب مزيجاً من هذه الطروحات، المتناقضة ظاهراً، والمتكاملة ضمناً.

إصدارات مركز الدراسات النفسية

طرابلس – لبنان ص. ب: 3062 التل
فاكس: 438925 - 6 - 00961
هاتف: 441805 - 6 - 00961

1- المعجم النفيس
مصطلحات طبية ونفسية وعصبية
ذياب والجراية وعمار (40 دولاراً أميركياً)

2- سيكولوجية السياسية الإسرائيلية – النفس المغلولة
إصدار 2001 (10 دولارات أميركية)

3- الصدمة النفسية – علم نفس الحروب والكوارث (6 دولارات أميركية)

4- سيكولوجية السياسة العربية – العرب والمستقبليات
إصدار 1999 (10 دولارات أميركية)

5- معجم مصطلحات الطب النفسي (10 دولارات أميركية)

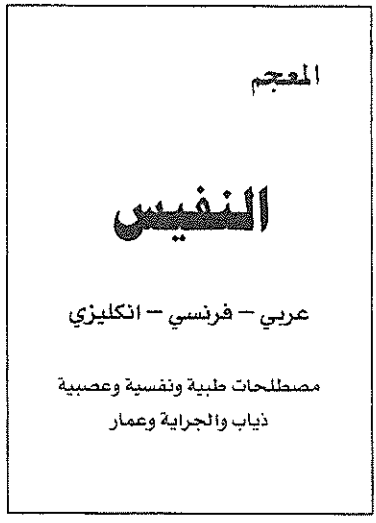

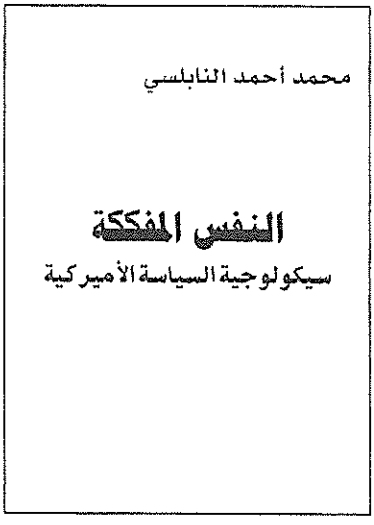

إعداد: رمزية نعمان، سناء شطح، ونشات صبوح

أمل في التوصل إلى علاج لمرض "هانتينغتون"

اكتشف العلماء الأميركيون مركباً دوائياً جديداً يعيق تطور مرض "هانتينغتون" الذي يصيب المخ، ويرون أنه قد يشكل أملاً جديداً للمصابين بهذا المرض. ويعتقد العلماء أن تكتل البروتينات هو سبب الداء، لكنهم وجدوا أن مركباً يسمى "بي اثنان" ويسهم في تكون تجمعات كبيرة للبروتينات، ربما يكون له دور مساعد. وربما يؤدي هذا الكشف إلى التوصل لعلاج جديد لهذا المرض الذي يؤدي إلى انحلال الخلايا العصبية. ويأمل العلماء أن يؤدي إلى تركيب دواء يوقف التسلسل القاتل للتطورات على صعيد الخلايا العصبية التي يسببها المرض.

وقد تم الكشف عن المركب "بي اثنان" في دراسة نشرت في "مجلة الأكاديمية القومية للعلوم" بالتعاون بين "معهد ماساتشوسيتس للتكنولوجيا" و"كلية هارفرد للطب". وعادة ما يصيب مرض "هانتينغتون" الإنسان في مرحلة منتصف العمر، ومن أعراضه عدم القدرة على التحكم بحركات الجسم، وفقدان القدرة على الإدراك، وحدوث اضطراب عاطفي. ويستخدم الأطباء عدداً من الأدوية في علاج الأعراض، لكن لا يوجد أي دواء يمكن أن يمنع الإصابة بالمرض أو يحول دون تطوره.

تسمم الخلايا

وعادة ما يحصل المرض نتيجة تراكب نوع من البروتينات تسمى "بروتينات هانتينغتون" بشكل غير طبيعي، بحيث يؤدي ذلك إلى تكتلها معاً.

ويعتقد أن هذه البروتينات المتراكبة على بعضها تثبط عمل نوع من المركبات تسمى "البروتيسومات" والتي وظيفتها المحافظة على نظافة الخلايا وخلوها من الفضلات

الضارة. ومع شل البروتيسومات عن العمل يتعاظم تجمع "بروتينات هانتينغتون" على بعضها، مما يؤدي إلى تسميم الخلايا. وتسميم الخلايا يؤدي إلى فقدان الأنسجة في مناطق في الكتلة الرمادية من نصفي الكرة المخية تحت قشرة الدماغ، وهي المنطقة التي تلعب دوراً حيوياً في التحكم بالحركة وفي وظائف التعلم، وفي قشرة المخ، وهي المنطقة المسؤولة عن التفكير. وكانت معظم الأبحاث تركز على إيجاد علاجات تؤدي إلى منع "بروتينات هانتينغتون" من التكتل، أو عكس عملية تجمعها. لكن الأدلة الحديثة تشير إلى أن التكتلات الكبيرة من هذا النوع من البروتينات قد لا تكون ضارة، بل ربما لها دور وقائي. وعلى هذا الأساس، قام الباحثون بتطوير مركب يساعد في تكتل البروتينات بشكل كبير. ووجد الباحثون أن المركب "بي اثنان" الذي جربوه على خلايا في المخبر يعمل على منع عملية شل البروتيسومات، وبالتالي فهو يسهم في الحد من التأثيرات السامة لـ"بروتينات هانتينغتون". كما تبين للعلماء أن مركب "بي اثنان" واعد في مجال مكافحة مرض "باركنسون" أو "الشلل الرعاشي". ويعمل العلماء على تطوير نسخة أفضل من المركب يمكن تجريبها على الفئران. وأقرت البروفيسورة "آن روزر" أستاذة "علم الأعصاب السريري" في "جامعة كارديف" أن هناك جدالاً كبيراً حول ما إذا كان يجب اعتبار تكتلات "بروتينات هانتينغتون" ضارة أم مساعدة. وأكدت "آن" على أن البحث ما يزال في مراحله المبكرة جداً.

وقالت إن كثيراً من المركبات التي تجرب، وتظهر فاعلية في المختبر، قد لا تكون مناسبة عند تجربتها على الإنسان. من ناحية أخرى أشار البروفيسور "جون ماير" من "جامعة نوتنغهام" إن أبحاثاً أخرى تركز على تركيب مركبات تعمل على تحفيز خلايا المخ لـ"تنظيف نفسها بنفسها"، لعلاج "مرض هانتينغتون" وغيره من الأمراض المتعلقة بانحلال الخلايا العصبية.

التنبؤ بالأمراض الوراثية عن طريق بصمة القدم والكف

ثورة طبية تشهدها الأوساط العلمية، قد تكون سبباً في الاستغناء عن كثير من الأدوية والعقاقير، وتفتح باب أمل جديد أمام ملايين المرضى، خاصة مرضى السكري، وتصلب الشرايين، والروماتيزم، والذئبة الحمراء، وغيرها. الأمل الجديد هو اكتشاف الأمراض مبكراً عن طريق قراءة بصمة القدم واليدين بعد أن نجح فريق "بحثي" من المركز القومي

للبحوث في القاهرة في التوصل إلى نتائج متقدمة في هذا المجال، خاصة المتعلقة ببصمة "اليدين".

علم العناية بالقدم

ربما يكون من الأشياء الغريبة على القارئ أن هناك علماً كاملاً يسمى علم العناية بالقدم، هذا العلم بدأ في أستراليا، ثم انتقل إلى أوروبا وأميركا فيما بعد، ودخل مصر منذ أربع سنوات، وبدأ تطبيقه في المستشفيات الجامعية، وهو يعتمد على قراءة "بصمة القدم" عن تصويره بالليزر، ومن خلال هذه البصمة، إضافة إلى تشخيص بعض التشوهات في العظام، أو العمود الفقري، التي لاتظهر بالطرق العادية، ويمكن تشخيص بعض الأمراض الأخرى مثل، تصلب والتهاب الشرايين، وأمراض المناعة، والذئبة الحمراء، والروماتويد. وهناك أهمية خاصة لبصمة القدم بالنسبة لمريض السكري للاكتشاف المبكر لاحتمال إصابته بتقرحات فيها، وهو مايحميها من عمليات "بتر" إذا أهمل علاج هذه القروح، وفي الوقت ذاته يهتم الأطباء الآن ببصمة اليد لأهميتها في الاكتشاف المبكر للأمراض، ولأن هذه البصمة لا تتغير منذ الولادة، ومع التقدم في السن يطالب الأطباء بأخذ بصمة كل طفل فور ولادته، لمحاولة وقايته من الأمراض الوراثية المعرض للإصابة بها. وقد أثبتت الأبحاث العلمية أنه من خلال عدة قطرات دم من كعب الطفل. نستطيع أن نحدد آلاف الأمراض التي تهدد حياة أطفالنا، خلال الأيام الثلاثة الأولى من مولد الطفل أما إذا مر أكثر من أسبوعين على الطفل دون إجراء تحاليل وراثية معينة، فإنه يصاب بأمراض التخلف العقلي، بل إنه يكون عرضة لعشرة أمراض أخرى، وينصح الدكتور خالد جابر، أستاذ علم الجنين والنساء والولادة في المركز القومي للبحوث، بأنه من الأفضل أن ندرك القراءة الداخلية أولاً بدراسة مشاكل الجنين داخل السطح من خلال أخذ عينة بحذر وبدقة شديدة من السائل الأمينوسي، أو المشيمة، لفتح الملف الوراثي للطفل قبل أن يولد وهو لا يزال جنيناً داخل الرحم، وأكد أن هناك أمراضاً لابد من إجراء تحاليل وراثية لها، وخاصة في منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط، الذي يرتبط بعدة أمراض معقدة، وتصيب الأطفال، ومن السهل علاجهم في مراحلهم الأولى، أو على الأقل الاستعداد قبل ولادتهم، وذلك مثل مرض أنيميا البحر المتوسط. ولهذا ينصح بضرورة إجراء الأب والأم للتحاليل المطلوبة إذا كانا حاملين للأمراض، ويجب أيضاً أن يتم إجراء تحاليل للسائل المحيط بالجنين في الأسابيع الأولى من الحمل لتشخيص المرض من عدمه ولإعطاء الفرصة للأهل لاتخاذ القرار المناسب ومراجعة الطبيب المعالج لإتمام الحمل والولادة.

وأضاف أن هناك بعض الأمراض التي يمكن علاجها بعد الولادة بدون إجراء تدخل أثناء الحمل، وهذا إلى حد كبير أفضل للحامل والجنين لإعطاء الطفل العلاج إذا كان يعاني من مرض نقص الغدة الدرقية، أو يتناول نوعاً معيناً من الألبان يؤدي بعد ذلك إلى أمراض التخلف العقلي أو نقص النمو.

اكتشاف الأمراض ببصمة اليد

استخدام بصمة القدم في الاكتشاف المبكر للأمراض أغرى فريقاً داخل المركز القومي للبحوث في القاهرة بإجراء دراسات حول اكتشاف الأمراض عن طريق بصمة اليد. وتقول الدكتورة مشيرة عرفان، أستاذ الوراثة البشرية، ورئيس قسم الأنثروبولوجيا البيولوجية "بالمركز": قمت بإجراء دراسات عديدة لاكتشاف الأمراض عن طريق بصمة اليد، حيث كانت رسالة الماجستير والدكتوراه في هذا المجال. وأول اكتشاف، وعلاقة بصمة اليد بالمرض، كانت لدراسة الطفل المنغولي، حيث يوجد خط يسمى «السميان كريز» اكتشفه عالم وراثة إنجليزي يدعى "كومينني" سنة 1926، ثم توالت الدراسات بعده، وبدأ أخذ بصمات الأطفال والأمهات والآباء لمعرفة علاقة البصمات بالإخوة والأخوات، خاصة التوائم، وانتبهوا إلى وجود علاقة قوية، واكتشفوا أن البصمة ذات طبيعة وراثية تتداخل فيها العوامل البيئية، الموجودة في رحم الأم، والوراثية، بأكثر من جين، ومن وقتها بدأت عملية تصنيف البصمات في الأمراض المتعلقة بتغيير عدد الكروموزومات مثل الثيرنرسنيدرم، أي نقص كروموزوم (X) وتضيف د. مشيرة عرفان: وعندما أجرينا دراسات على الأمراض الجلدية مع د. **هاني الناظر**، رئيس المركز القومي للبحوث، وأستاذ الأمراض الجلدية، على مرضى الصدفية والبهاق، ولتحديد عامل الوراثة كان لا بد في حالة الإصابة بمرض الصدفية، وكذلك البهاق، من رسم شجرة العائلة مع أخذ البصمات، وتتبعها، وبها يمكن أن نعرف الأسباب، لأنها في معظم الأحوال فيها عوامل وراثية. فإذا كان هناك امرأة ورجل يكون عندهما تاريخ عائلي لمرض الصدفية، مثلاً، فتنصح بعدم الزواج في هذه الحالة، وتشرح الدكتورة مشيرة كيف تتم قراءة بصمة الكف طبياً لاكتشاف الأمراض، فتقول: البصمات الشخصية لليد لايتفق اثنان فيها. فمثلاً نجد أن كل خط من تلك خطوط اليد، والكفين يحدد صورة وراثية قد تكون مميزة لكل فرد. وعموماً كل مرض له بصمة مختلفة مميزة، فمثلاً بعض الأمراض تزداد فيها نسبة الدوائر في بصمة اليد وأخرى في شكل خطوط متداخلة، وثالثة في شكل خطين متصلين ببعضهما، وهكذا.

صورة الجلد والأمراض الخلقية

وأيضاً ثبت وجود علاقة وثيقة بين الصورة الجلدية للكف وبطن القدم والأمراض الخلقية التي ترجع لأسباب وراثية، وفي حالة ولادة طفل منغولي لوحظ وجود خط واحد متصل براحة الكف، والمعروف أن الطفل المنغولي يكون لديه اختلال في عدد الكروموزمات، حيث يوجد زيادة في الكرموزو م رقم 21، وقد سجل العلماء أكثر من صورة للكف والقدمين لأصحاب التشوهات المختلفة الناتجة عن خلل في الكرموزومات، سواء بالنسبة لعدم الاكتمال الجنسي، أو بالنسبة لبعض الظواهر العقلية التي تصل إلى انفصام الشخصية. وهكذا تساعد بصمة "اليد" الطبيب المعالج في طريقة العلاج، فمثلاً الحامل التي تشكو من الإجهاض المتكرر يمكن أن تؤخذ بصمات يدها، ويعرف المرض الوراثي الذي تعاني منه، والجينات المسببة للإجهاض، وبالتالي يمكن وصف وتحديد العلاج. وتفسر د. مشيرة اهتمامها بدراسة البصمات الوراثية قائلة: كنت أعمل في قسم الوراثة البشرية، وكان تقليداً لدينا أن جميع الأمراض البشرية لا بد من إجراء تحليل للبصمات لكشفها، وهي صعبة للغاية، وتحتاج إلى دقة، لأننا نعد الخطوط الصغيرة للبصمة بشكل دقيق للعشرة أصابع. والبصمات تساعد كذلك على تشخيص بعض الأمراض السرطانية إذا كان لها أساس وراثي، وأتمنى إجراء مسح لبصمات الأطفال عند الولادة، بحيث نكتشف الأمراض الوراثية والأمراض الأخرى المتعلقة بتغير الشكل الطبيعي للبصمة، ولأن بصمة اليد لا تتغير بالسن. لذلك فمن المفيد كما تقول د. مشيرة عرفان أخذ البصمات للأطفال بعد الولادة مباشرة، وهذا يفيد في منع سرقة الطفل، أو اختلاطه بطفل آخر في المستشفى، والأهم من ذلك أنه يساعد على معرفة الأمراض الوراثية التي قد تصيب الطفل مثلاً عندما يكبر؛ وإذا كان مثلاً عنده تخلف عقلي لا يمكن اكتشافه إلا بعد سنتين من الولادة، ولكن البصمة تعطي إشارة، حيث يمكن اكتشافه مبكراً عند الولادة، وإجراء التحاليل اللازمة، ويمكن علاجه مبكراً.

تحريض العصب الحائر لعلاج الاكتئاب

Vagus Nerve Stimulation(VNS) for treatment of depression

العصب الحائر(التائه) Vagus Nerve هو العصب العاشر من الأعصاب الدماغية، وسُمي بهذا الاسم لكونه يغذي العديد من أجزاء الجسم بأشكال مختلفة، بدءاً من أجزاء في الرأس، كطبلة الأذن، وأجزاء في الصدر، وكذلك البطن.

العصب الحائر الأيمن مختلف عن الأيسر في طريقة ارتباطه وظيفياً بالقلب. ويجري

تحريض الحائر الأيسر لأن ذلك لا يحمل خطورة على وظائف القلب، كما هو الحال في الأيمن الذي يرتبط بمنطقة أذين القلب. ولذلك يحرص على تحريض الجزء العنقي الأيسر من العصب الحائر. هذا النوع من العلاج كان معترفاً به منذ العام 1994 في أوروبا، ومنذ 1997م في أميركا كعلاج للصرع، وتم في منتصف شهر تموز /يوليو عام 2005 اعتماد طريقة تهييج أو تحريض هذا العصب ليقوم بإرسال موجات كهربية إلى مناطق خاصة في الدماغ فقط، دون تعريض الدماغ بكامله للحث الكهربي كعلاج للاكتئاب.

يعتبر تحريض أحد الأعصاب الدماغية (الرأسية) تحريضاً للمناطق العميقة من المخ، ولكن بطريقة أخف من الطرق الكلية (الصعق الكهربي مثلاً) حيث أن الأعصاب الدماغية تعتبر امتداداً للدماغ نفسه.

بدأت فكرة هذا العلاج منذ حوالي 20 سنة، بعد ملاحظة تأثير التنبيه الكهربي المتقطع للدماغ عند الحيوانات. ثم لوحظ أن هذا النوع من العلاج يفيد في علاج حالات الصرع، وقد لوحظ تحسن كبير في مزاج المرضى الذين تم علاجهم بهذا الأسلوب، سواء تحسنوا من ناحية الصرع أم لم يتحسنوا.

لا تعتبر هذه الطريقة نوعاً من الجراحة، وكذلك لا تعتبر نوعاً من العلاج بالصعق الكهربي (ECT).

الفوائد: تستخدم هذه الطريقة لعلاج الاكتئاب المزمن والمتكرر والمقاوم للعلاج أيضاً. كما يستخدم هذا العلاج في حالات طور الاكتئاب من الاضطراب الوجداني ثنائي القطب. يعتقد بأن هذه التقنية ستنقذ الكثير من المرضى النفسيين من ألم ومعاناة الاكتئاب المزمن والأدوية النفسية. ورغم أنها اعتمدت كعلاج للاكتئاب المقاوم للعلاجات التقليدية، إلا أنها ما زالت تخضع للعديد من الدراسات لاستخدامها في علاج أمراض نفسية أخرى، كأمراض القلق النفسي. وتعتبر أيضا أداة لدراسة فسيولوجيا الدماغ وتأثره بالأمراض النفسية والعضوية. كما يتم دراسة وجود دور علاجي في مرض ألزهايمر والضور (الشره) العصبي (Bulimia Nervosa).

تعتمد طريقة العلاج على زراعة جهاز اسمه (NeuroCypernetic Prosthesis) ويختصر بـ NCP تحت الجلد، في الجهة اليسرى من الصدر، ليتم ربط قطبين منه بواسطة لفهما حول الجزء العنقي من العصب الحائر، ويقوم الجهاز ببث إشارات كهربية بشكل آلي ومتقطع على مدار الساعة إلى الجزء العنقي من العصب الحائر لينشط الجهاز الحوفي (Limbic System) في الدماغ، والمتعلق بالكثير من الوظائف النفسية والجسدية كالمزاج، الدافعية، النوم، الشهية للطعام ودرجة الانتباه التي تضطرب عادة عند الإصابة

بالاكتئاب.

الأعراض الجانبية: تخلو الأعراض الجانبية لهذه التقنية من الأعراض المعروفة للأدوية التقليدية للاكتئاب، مثل زيادة الوزن، واعتلال الوظائف الجنسية، أو اضطرابات النوم. الأعراض الجانبية المعتادة لهذا النوع من العلاج طفيفة، ولا تظهر إلا وقت التشغيل الآلي للجهاز، وبدء السيالات الكهربية للدماغ، وهي عبارة عن:

1- التهابات موضعية.

2- آلام موضعية.

3- صداع.

4- كحة (سعال).

5- إحساس بالتنميل موضعياً.

6- تغير الصوت مؤقتاً أثناء فترات التحريض.

د/ علي جابر السلامه

estisharah@yahoo.com

الذكاء والمشاعر والتصرفات تبدأ من المعدة

تؤكد الدراسات الحديثة ما اعتقده الآباء والأمهات لزمن طويل من أن هناك علاقة بين ما يأكله أطفالهم وطريقة تفكيرهم وتصرفهم وتعلمهم. والمخ مثل أي عضو آخر في الجسم يحتاج إلى غذاء جيد. فهو يستعمل 20-25٪ من الطاقة التي يستهلكها الإنسان، وكلما تناول المخ غذاء جيداً انعكس هذا على عمل الإنسان عموماً. والطعام يمكن أن يؤثر على الحالة المزاجية سعادة أو حزناً، وعلى التفكير والتصرفات، بل ويمكن بناء المخ أو هدمه بالطعام أيضاً.

التغذية الجيدة تبني عقلاً جيداً:

للجسم نظام عجيب في توزيع العناصر الغذائية، فالأعضاء الحيوية تحصل على العناصر الغذائية الهامة الموجودة في الدم أولاً. ومخ لا يعمل بصورة جيدة ينعكس بالطبع على باقي الجسم فيجعله يعمل بصورة غير مرضية، لذا فإن المخ ينال معاملة خاصة، نظراً لأهميته عند قيام الجسم بتوزيع العناصر الغذائية.

ويتكون المخ من ملايين الملايين من الخلايا العصبية المعروفة باسم "نيورون". وهذه تقوم بوظائف التفكير والذاكرة والحركة وعديد من المهام الأخرى التي لا ينتبه لها الإنسان، وتتم بسرعة الضوء في انتقالها بين الخلايا. وتخرج من الخلايا العصبية فروع دقيقة تتواصل مع فروع أخرى شبيهة من خلايا عصبية أخرى، فيصبح المنظر مماثلاً لخريطة طرق متشابكة تربط مدناً ببعضها. وتوجد مواد كيميائية تسمى الموصلات العصبية لتسهيل توصيل الإشارات العصبية خلال الفجوات الحادثة بين خلية وأخرى، فتصبح بمثابة جسور للتواصل.

وتؤثر التغذية على المخ بثلاثة طرق:

1- تحتاج الخلية العصبية نفسها إلى تغذية للقيام بوظائفها مثل أي خلية أخرى في الجسم.

2- الغشاء الدهني الذي يغطي فروع الخلية العصبية، والذي يشبه المادة العازلة التي تغطي أسلاك الكهرباء، ويؤدي إلى سرعة انتقال الإشارات الكهربية في فروع الخلية العصبية، يحتاج إلى عناصر غذائية خاصة لتكوينه، مثل الأحماض الدهنية الأساسية، وعند انخفاض هذه العناصر الغذائية الهامة تقل سرعة انتقال هذه الإشارات العصبية.

3- الموصلات العصبية مثل السيروتونين والدوبامين والنورابينيفرين، تحمل رسائل من خلية عصبية لأخرى، وتؤثر في الحالة المزاجية والأفكار والتصرفات. وبعض العناصر الغذائية في الطعام الذي نأكله تصبح جزءاً من الموصلات العصبية التي تساعدنا في التفكير. وهذه الموصلات العصبية تشرح بوضوح العلاقة الحيوية الهامة بين الغذاء والحالة المزاجية والنفسية عموماً.

وكل من الخلايا العصبية وفروعها الممتدة وموصلاتها العصبية تحتاج إلى عناصر غذائية خاصة لكي تتمكن من العمل بصورة سليمة. وعند نقص بعض العناصر الغذائية اللازمة لواحد من مكونات هذه الشبكة، فإنها تتوقف عن العمل تماماً، كما تتوقف أي شبكة كهربية عن العمل عند تلف أسلاكها أو مكوناتها.

أفضل أغذية المخ:

بعض الأغذية تفيد المخ أكثر من أغذية أخرى، بالرغم من أن معظم الأغذية مفيدة للتفكير. والطريقة التي نفكر ونعمل ونتعلم بها تتأثر بالغذاء، وأيضاً بطريقة إعداده وتناوله ووقت حدوث ذلك، وأنواع الطعام التي نأكلها معاً.

ويعشق المخ السكر، ويتوق للنشويات، فهو يستهلك 20٪ مما يتناوله الجسم منها، ولكنه عشق ذكي، فالمخ يختار أنواع السكر التي يتعامل معها، فيفضل الإمداد المستمر اللطيف، وعندما يتلقى هذا الإمداد من السكر كوقود فإنه يعمل بصورة منتظمة، ولكن عندما تتأرجح مستويات السكر في الدم، صعوداً أو هبوطاً، فإن السلوكيات والتعلم ترتبك وتضطرب. وتعتمد نسب السكر في الدم على نوع الطعام الذي يدخل الجسم، فبعض المواد الكربوهيدراتية، مثل النشويات والسكريات، تهدئ التصرفات، بينما تثيرها بعض المواد الكربوهيدراتية الأخرى.

ويعمد كثير من الباحثين إلى التقليل من أهمية علاقة السكر بالتصرفات، وخصوصاً عند الأطفال كثيري النشاط قليلي الانتباه، لكن الأمهات يلاحظن أن أولادهن يزداد نشاطهم إلى درجة الإزعاج بعد تناول أنواع من الحلوى، أو شرب أنواع من المشروبات، وخصوصاً المحتوية على الملونات الصناعية. وهذه ملاحظات جديرة بالانتباه، ذلك لأن أنواع السكر المختلفة تعمل على المخ بطرق مختلفة، ولبعضها تأثيرات سيئة على تفكير وتصرفات الأطفال. هذه السكريات هي الجلوكوز والدكستروز والسكروز، وكلها في صورة مكررة نقية للغاية، وتوجد في الحلوى والمشروبات والمخبوزات المعلبة. والسكريات الموجودة في هذه الأغذية تدخل إلى مجرى الدم بسرعة، وتصل إلى مستويات عالية في وقت قصير، محفزة بذلك إفراز كميات كبيرة من هورمون الأنسولين الذي يحتاجه السكر ليصاحبه إلى داخل الخلايا، وتتم هذه العملية بسرعة شديدة، مما يؤدي إلى خفض مستوى السكر في الدم، وهذا بدوره يقود إلى إفراز هورمون الأدرينالين الذي يعمل على إخراج السكر المختزن في الكبد، فيرتفع مستوى السكر في الدم مرة أخرى، وهذا الارتفاع والانخفاض، ثم الارتفاع، يؤثر على الحالة المزاجية والتركيز في بعض الأطفال والكبار، مما يقود إلى اضطراب التصرفات. كما أن اضطراب مستويات الهورمونات التي تعمل على السكر، وهورمون الأدرينالين، تؤدي إلى عدم اتزان الموصلات العصبية، مما يجعل الطفل يشعر بالاضطراب والضيق وعدم التركيز، وأيضاً النعاس.

لذا فإن أفضل السكريات للمخ هي التي تأتي من الكربوهيدرات (النشويات) المعقدة، مثل اللوبيا والعدس والفاصوليا والبسلة وزبدة الفول السوداني والشوفان والمعجنات وفول الصويا والبطاطا والحبوب الكاملة والدقيق الكامل والأرز البني ورقائق الإفطار المصنعة من الحبوب الكاملة. والنشويات وسكر الفواكه (الفركتوز) لا تسبب الاضطراب في الحالة المزاجية مثل السكريات السابق ذكرها. فجزيئات المواد النشوية تتميز بطولها، مما يستغرقها وقتاً طويلاً لكي تتكسر في الأمعاء إلى سكريات بسيطة يمكن استعمالها بواسطة

الجسم، لذا فإنها تمد الجسم باحتياجاته من السكر في صورة بطيئة ومستمرة، وهذا أفضل من تذبذب مستوياته في حالة تناول السكر النقي المكرر.

المؤشر السكري للطعام:

هو المعدل الذي يدخل به السكر من طعام ما إلى خلايا المخ والجسم. والأغذية ذات المؤشر السكري العالي تثير البنكرياس لإفراز المزيد من الأنسولين، مما يفرغ الدم من السكر الموجود فيه بسرعة إلى داخل الخلايا، فتتذبذب مستوياته في الدم، وتضطرب التصرفات نتيجة لذلك. والأغذية ذات المستوى المنخفض للمؤشر السكري لا تدفع البنكرياس لإفراز المزيد من الأنسولين، فيظل السكر في مستوى معتدل. إن إطعام الطفل بأغذية نشوية ذات مؤشر سكري منخفض هي واحدة من وسائل مساعدته في التحكم في تصرفاته ونشاطه في المدرسة أو وهو يلعب. والأغذية التي تحتوي على سكريات مفيدة للمخ هي:

• **الفواكه:** مثل الجريب فروت والتفاح والكريز والبرتقال والعنب، وهذه تحتوي على مؤشر سكري منخفض. والفواكه تعتبر أفضل من عصيرها، لأنها تحتوي على ألياف تقلل من سرعة امتصاص السكر الموجود في الفواكه. وتفاحة واحدة ستساعد المخ على العمل بصورة أفضل من عصير التفاح، كما أن العصير الطازج غير المصفى والمحتوى على ألياف أفضل من العصير المصفى.

• **الحبوب ورقائق الإفطار:** الشوفان والردة لها أقل مؤشر سكري في كل الحبوب. كما أن المكرونة الاسباجيتي والأرز البني أطعمة جيدة من حيث المؤشر السكري. والكورن فليكس له مؤشر سكري أعلى.

• **الخضروات والبقول:** البقول، مثل فول الصويا والفاصوليا واللوبيا والعدس، لها مؤشر سكري أقل من أي أغذية أخرى. كما أن البطاطس والجزر تحتوي على مؤشر سكري أعلى، وتزداد قيمته مع الطهي بصورة كبيرة.

• **منتجات الألبان:** الحليب والزبادي لهما مؤشر سكري منخفض، بالرغم من أنه أكبر قليلاً من البقول، لكنه أقل من الفواكه. يكون الزبادي بالفواكه بالطبع ذا مؤشر سكري أعلى من الزبادي العادي. وتشكل طريقة إعداد الطعام وإضافة أنواع أخرى وسيلة تغيير للمؤشر السكري للأغذية، مما يؤثر على سرعة دخول السكر للمخ واستقرار مستواه.

• **الأطعمة عالية المؤشر السكري،** مثل العصائر والحلوى، يفضل تناولها بعد تناول وجبة، حيث أن وجود أغذية أخرى يقلل من سرعة دخول السكر إلى مجرى الدم، ومن ثم

إلى المخ. مع مراعاة أن تناول الحلويات بين الوجبات يمكن أن يعطل التعلم ويضر بالتصرفات.

• **الدهون:** تقلل من امتصاص السكر، وهذا يفسر لماذا يكون للسكر في الآيس كريم مؤشر سكري أقل من السكر المضاف إلى الزبادي خالي الدسم.

• **السلطة** المحتوية على الخضروات والبقول، مثل اللوبيا والفاصوليا والبقول الأخرى، تحتوي على مؤشر سكري منخفض، لذا فهي تصلح كغذاء مدرسي رائع يزيد من الأداء العقلي للطفل.

• **تناول الأطعمة منخفضة المؤشر السكري** مع تلك الأطعمة ذات المؤشر السكري المرتفع يقلل من التأثيرات السريعة لسكر الدم.

البروتينات لتغذية الموصلات العصبية:

تؤثر البروتينات في الغذاء على أداء المخ، لأنها تمده بالأحماض الأمينية التي تصنع منها الموصلات العصبية. والموصلات العصبية هي مراسيل كيميائية حيوية تعطي إشارات من خلية عصبية لأخرى، وكلما قمت بتغذية هذه المراسيل كلما قامت بوظائفها بكفاءة. وأهم اثنين من هذه الأحماض الأمينية التربتوفان والتيروزين، وهما المكونان الأوليان للموصلات العصبية. والتربتوفان حمض أميني أساسي لا يمكن للجسم إنتاجه دون تناوله في الطعام، بينما يمكنه إنتاج التيروزين، حتى ولو كانت كمية غير كافية في الطعام. هذان الحمضان الأمينيان يؤثران على أربعة موصلات عصبية هامة، هي السيروتونين الذي يصنع من التربتوفان، والدوبامين والأبينفرين والنورابينفرين، وهذه تصنع من الحمض الأميني تيروزين. والسيروتونين يعمل على استرخاء المخ، بينما تعمل الثلاثة الأخرى، وتسمى إجمالاً "كاتيكولامينات" تعمل على استثارة المخ. ومعظم مضادات الاكتئاب المعروفة تعمل عن طريق زيادة نسبة السيروتونين، في المخ. الكربوهيدرات (النشويات) تساعد على إنتاج السيروتونين مما يفسر نهم المكتئبين لتناول النشويات.

وزيادة النشاط العقلي، أو انخفاضه، بعد تناول وجبة ما يتأثر بعاملين هما نسبة البروتين إلى المواد الكربوهيدراتية، وأيضاً نسبة التربتوفان والتيروزين. والأغذية عالية البروتينات قليلة النشويات مع زيادة في مادة التيروزين تؤدي إلى نشاط سريع للمخ، من ذلك الوجبات البحرية ومنتجات الصويا واللحم والبيض ومنتجات الألبان. والوجبات المحتوية على نسبة عالية من المواد الكربوهيدراتية مع بروتين قليل ونسب عالية من التربتوفان تؤدي إلى استرخاء المخ، ومنها الشوكولاتة والفطائر والحلويات والمكسرات والبذور، مثل اللوز وبذور عباد الشمس والسمسم، والبقول.

الشراكة بين المواد الكربوهيدراتية والبروتين:

يتأثر أداء المخ بعد تناول وجبة ما بتناول المواد الكربوهيدراتية مع البروتين، فالكربوهيدرات تحفز إفراز الأنسولين الذي يساعد مزيد من التربتوفان على الدخول إلى المخ لإنتاج مزيد من السيروتونين. وكلما زادت السكريات البسيطة في الطعام كلما زاد إنتاج السيروتونين، وكلما زاد هدوء المخ. والنشويات المعقدة تبطئ من إفراز الأنسولين، مما يقلل بالتالي من إفراز السيروتونين. لذا فإن الوجبات عالية السعرات ستؤدي بالضرورة إلى إفراز السيروتونين بكمية كبيرة، فتؤدي إلى الإحساس بالخمول بعد الأكل. وتناول كميات كبيرة من الطعام في أي وجبة بغض النظر عن مكوناتها يقلل من الأداء العقلي. لذا

للحفاظ على كفاءة المخ يجب تناول وجبة تتميز بالتالي:

- أن تكون عالية في البروتينات المحتوية على تيروزين.
- أن تكون معتدلة في كمية السكريات، وتحتوى أساساً على نشويات معقدة كمصدر للسكريات
- ذات محتوي سعري منخفض نسبياً.

ولاسترخاء المخ أو حتى تهدئته يمكن تناول وجبة تتميز بالتالي:

- عالية في البروتينات المحتوية على تربتوفان.
- عالية المحتوى من الكربوهيدرات.
- عالية القيمة السعرية.

ويمكنك التخطيط لوجباتك حسب الطريقة التي تريد أن يعمل بها مخك طوال اليوم. إن وجبة منخفضة السعرات وعالية البروتينات، والمحتوية على نشويات معقدة تجعلك نشطاً، وهذه تكون مناسبة للإفطار والغداء. ووجبة عالية السعرات والنشويات ومنخفضة في البروتينات تجعلك مسترخياً ومستعداً للنوم العميق في المساء. لذا لا تتناول الحلوى بعد الغداء إذا كنت تنوى العمل على تعلم شيء، أو القيام بمهمة ما بعد الظهر. وأيضاً إذا أردت أن تكون متيقظاً بعد تناول العشاء.

إن التوازن بين السعرات والنشويات والبروتين في وجبة ما يؤثر على الناس بطرق مختلفة، وهذا ليس علماً محدداً، لذا يجب على كل إنسان آن يعرف التركيبة الغذائية التي تؤثر عليه بصورة طيبة، وهي بالتالي مختلفة عن تركيبة شخص آخر. ويجب على الوالدين ملاحظة أطفالهم الصغار لمعرفة نوع الطعام الذي يحسن من تصرفاتهم وسلوكهم الدراسي، أو يضر بها (www.emadsobhi.com).

الدهون تغذي المخ:

يحتاج المخ إلى الدهون لنموه وقيامه بعمله على الوجه الأكمل، وخصوصاً بالنسبة للأطفال الصغار، وأيضاً في حالة الشيخوخة، ومن المعروف أن هناك فترتين يكون فيهما المخ حساساً للتغذية: فترة السنتين الأوليين من العمر، وأيضاً العشرين سنة الأخيرة في حياة الأشخاص المسنين، فالمخ في مرحلتي النمو والشيخوخة يحتاج إلى الدهون المغذية. إن مخ الطفل في أول سنة من عمره ينمو إلى ثلاثة أضعاف حجمه وقت الولادة، لهذا يستعمل المخ 60٪ من الطاقة التي يستهلكها الطفل، والمخ أيضاً يتكون من 60٪ من الدهون التي تشكل المكون الرئيس من أغشية خلية المخ والغشاء المحيط بتفرعات الخلية، لذا فإن الحصول على كمية مناسبة من الدهون، ومن النوعية المطلوبة، يمكن أن يؤثر على نمو المخ وأدائه. وفي الواقع، فإن 50٪ من السعرات التي يحتاجها الطفل يومياً تأتي من الدهون. وفي لبن الأم يكون الدهن 50٪ من السعرات.

ولبن الأم يختلف عن لبن الأبقار في احتوائه على دهون لازمة لنمو المخ، فطفل الإنسان يحتاج إلى التفكير، وبالتالي لنمو مخه، بينما لا يحتاج صغير البقر لنمو المخ، بل لنمو الجسم. ومن الدهون الموجودة في لبن الأم، وتساهم في بناء المخ، حمض أوميجا 3 وحمض دوكوساهكسيونيك DHA.

أغذية تؤثر على المزاج:

- الكربوهيدرات المعقدة: البقول والحبوب الكاملة والفواكه تؤدي إلى الاسترخاء.
- المشروبات الغازية والحلوى تؤدي إلى الاستثارة.
- أغذية السعادة: الشوكولاتة واللبن والدجاج والموز والأوراق الخضراء فهي تحتوي على التربتوفان.
- أغذية الحزن: الأغذية المحتوية على دهون أو سكريات كثيرة.

أغذية التفكير:

- لبناء المخ: الهليون والأفوكادو والموز واللحوم والخميرة والبروكلي والأرز الأسمر وكرنب (ملفوف) بروسل. وأيضاً الكانتالوب والجبن والدجاج والبيض وزيت بذر الكتان والبقول واللبن والشوفان والبرتقال وزبدة الفول السوداني والبسلة والبطاطس والخس، يضاف إلى ذلك سمك السلمون وفول الصويا والسبانج والتونة والديك الرومي وجنين القمح والزيادي.

• لهدم المخ: الكحول والأغذية الصناعية والملونات الصناعية والكولا وشراب الذرة والمشروبات ذات المحتوى السكري العالي والزيوت المهدرجة (السمن النباتي) والنيكوتين وتناول الطعام الزائد والخبز الأبيض.

د. عماد صبحي
doctor@emadsobhi.com

البقاء لله وحده

"يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي"

فجعت الأسرة الطبنفسية التونسية يوم 6 كانون الأول/ديسمبر 2005 بوفاة المغفور له:

الأستاذ الدكتور محمد غربال

أستاذ الطب النفسي في جامعة تونس

بهذه المناسبة الأليمة، تتقدم أسرة مركز الدراسات النفسية والنفسية - الجسدية بأحر التعازي والمواساة.

إلى زوجته وأبنائه وكافة أفراد عائلته، سائلين الله العلي القدير أن يتغمده برحمته الواسعة، وأن يسكنه فراديس جناته.

إن المصاب جلل، وبغيابه فقد التحليل النفسي في تونس علماً من أعلامه، وفقد الطب النفسي أستاذاً عمل جاهداً لتمكين هذا الاختصاص في وطنه، فالمغفور له تخرج على يديه نخبة من أبرز الأطباء النفسانيين الشبان.

إنا لله وإنا إليه راجعون

الإبـداع والاضطراب النفسي

Creativity and Psychopathology

راكيل فريدمان **Rachel Friedman**

ترجمة الدكتور حسان المالح / دمشق

director@hayatnafs.com

مراجعة (Review) عن مجلة:

The Harvard Brain. Volume 7 Spring 2000

«بالنسبة لي الجنون هو عقلانية متفوقة.. الطبيعي هو الذهاني.. الطبيعي يعني غياب التخيل وغياب الإبداع»

جان دوبفيه (1901- 1985)

رسام فرنسي ونحات وفني صور

في مجلة نيويوركر 1973/6/16

الإبداع والاضطراب النفسي.. مقدمة:

ما الذي يجمع بين فينسنت فان كوخ وتشايكوفسكي وبيكاسو ورخمانينوف؟ إضافة لكونهم يشتركون في الشهرة التاريخية، كموسيقيين، أو كفنانين تشكيليين.. فإن هؤلاء الرجال الأربعة يشتركون في خاصية متميزة يمكن وصفها بالإبداع المتميز، وبالاضطراب النفسي الشديد معاً (**Post,1994**).

ولكنهم ليسوا وحدهم في تلك الخاصية.. كتبت جاميسون في مقدمة دراستها حول هذا الموضوع «إن التطرف في المزاج، وفي الأفكار، وفي السلوك، بما في ذلك الحالات الذهانية، قد ارتبط بالإبداع الفني منذ القدم، ومنذ أن كتب الإنسان، أو لاحظ هؤلاء

الأشخاص الذين يكتبون، أو يرسمون، أو ينحتون، أو يؤلفون الموسيقا»(1989).

والحقيقة أن غوغان وكوليه وتولستوي وشارلوت برونتي وكافكا هم أمثلة قليلة من شخصيات أخرى لا تعد من مشاهير الفنانين الذين عانوا من اضطرابات نفسية موثقة تاريخياً (Post,1994).

إن ذلك كاف لأن يجعل المرء يتساءل: ما هي الآليات الفيزيولوجية أو النفسية التي تشكل مصدراً للإبداع ؟ وهل هذا الارتفاع الظاهري في نسبة اضطرابات المزاج، وغيرها من الاضطرابات النفسية لدى هؤلاء المبدعين العباقرة محض مصادفة ؟ أم أن هناك ارتباطات ضمنية، أو حتى علاقات سببية بين الموضوعين، كما حاولت عدة دراسات أن تبرهن ؟

مساران للبحث أفضل من مسار واحد

في أبحاثي حول الموضوع وجدت ما يبدو أنه مقاربتان تجريبيتان مختلفتان لموضوع الإبداع والاضطراب النفسي. المقاربة الأولى التي استعملها جاميسون وبوست (Jamison ،Post) وهي تستعمل معايير التشخيص الحديثة لتشخيص الاضطراب النفسي عند الفنانين وغيرهم من المبدعين المتميزين. والمقاربة الثانية تستعمل وسائل أقل دقة من الأولى.. والنتيجة هي تأكيد الفكرة النمطية عن "العبقري المجنون" من خلال إظهار ارتباطات إحصائية عالية بين الإبداع واضطرابات المزاج، إضافة لطرح قضايا أخلاقية هامة حول دلالات التشخيص، وحول العلاج الدوائي للاضطرابات المزاجية عند هؤلاء المبدعين. وعلى الرغم من النتائج المقنعة، فإن كلتا المقاربتين غير كافييتين في إثبات العلاقة السببية بين الإبداع والاضطراب النفسي، أو بإعطاء تبصر علمي جازم حول مصدر الإبداع في الدماغ، وكيف يتطور لدى الإنسان.

ولذا فإنني سأفحص في ما يلي مسارا جديدا نسبيا في البحث حول الفكرة الآسرة المتعلقة بارتباط "المرض النفسي" أو "اللا طبيعية" مع الإبداع.

شكرا للتقدم الذي حدث مؤخرا في ميدان تقنيات التصوير العصبي الدماغي.. والذي أدى إلى تشخيص أكثر دقة للمرض النفسي في الأشخاص الأحياء. فقد اكتشف أطباء العصبية نسبة قليلة من الناس لديهم تميز خاص. وقد فتح ذلك الباب أمام مجموعة من الاستقصاءات حول الارتباطات الفيزيولوجية بين الفن البصري وبين تلف الدماغ. وهذا يناقض تماما الأشخاص المصابين بداء ألزهايمر، والذين لديهم تدهور واضح في كل المهارات الفنية التي اكتسبوها من قبل (Cummings & Zarit ,1987). ميللر (Miller) وهو الرائد في هذا المجال الجديد نشر عدة مقالات حول الظهور الفعلي لمواهب فنية عند

أشخاص لم يكن لهم أي تميز، ولم يكونوا فنانين. وكما سأناقش من خلال مراجعتي لأبحاثه، فإن الحالات الخمسة التي قدمها جميعها وجد لديها من خلال التصوير الدماغي بتقنية SPECT، شكلا من الخرف تم وصفه وتحديده مؤخرا، يعرف باسم الخرف الجبهي الصدغي (FrontoTemporal Dementia.FTD). وبعد مناقشة مختصرة لصعوبة تعريف وتحديد الإبداع على أنه ينشأ من جزء محدد، أو من وظيفة من الدماغ، سوف أقدم الموجودات التي وجدها ميللر، وسأختم بطرح احتمالات قضايا فلسفية وأخلاقية يثيرها الموضوع.

الارتباط بين الإبداع والجنون. هل هو مصادفة فقط ؟

في العشرين سنة الأخيرة تم تكديس كميات متزايدة من الأبحاث الطبية ذات الدعم النقدي، والتي تقدم دليلا على وجود رابط بين الإبداع وبين الاستعداد للاضطرابات المزاجية (Hare.1987:Jamison.1993;Post,1994). وعلى الرغم من صعوبة تصنيف وقياس صفة غائمة، مثل الإبداع، فإن هذه الدراسات تمثل هزة أرضية، لما فيها من استقصاءات منهجية للموضوع. وفي دراسة Post تم اختيار 291 من الشخصيات العالمية المتوفين، والذين اختيروا على أنهم مثال للأشخاص المبدعين، وكل واحد منهم تم تصنيفه ضمن ستة فئات: علمي، مؤلف موسيقي، سياسي، فنان، مفكر، أو كاتب. وقد اختير الأشخاص وفقا لتوفر ونوعية ومصداقية المعلومات المناسبة عن حياتهم وعن صفاتهم الشخصية (معلومات موضوعية، وليس سيرة ذاتية شخصية) (Post ,1994). ومن ثم فإن المعلومات المستخلصة عنهم تم تحويلها إلى تشخيص نفسي عندما يكون ذلك مناسبا، مستخدما الدليل الأميركي لتشخيص الاضطرابات النفسية المتوافر في حينه (American Psychiatric Association DSM-III-R).

وقد أوحت نتائج هذه الجهود الكبيرة أن هناك اضطرابات نفسية أكثر انتشارا في الفئات الإبداعية مثل الفنانين والكتاب، مقارنة مع العلماء، أو المثقفين الأقل إبداعا. وقد ختم Post بأن هناك صفات مرضية في الشخصية مرتبطة سببيا مع بعض أنواع الإبداع القيم (1994).

وأنا أوافق على أن هذه الدراسة قد طرحت نقاطا ممتازة في مناقشة الآراء الفلسفية المتباينة حول ما إذا كان الإبداع والعبقرية يعتبر في النهاية معيارا على التعبير الإنساني الأرفع، أو أنه بشكل معاكس يعتبر فقط دليلا على اللاطبيعية، فإن ارتفاع معدلات هذه الصفات المزدوجة المشتركة لا يدل بالضرورة على ارتباط سببي. وفي الحقيقة فإن نسبة

أعلى في أشخاص العينة المدروسة كانوا من البروتستانت، ولا يعني ذلك أن هناك علاقة سببية بين الإبداع والبروتستانتية.

الإبداع والليثيوم: لا يتوافقان معا

بينما كانت جاميسون Jamison تقوم ببحث يشبه مشروع بوست من حيث الأسلوب، فإنها قدمت مناقشة أكثر منطقية في عدة أمور، لأنها كانت تحاول أن تجيب على سؤال أكثر تحديدا وأكثر قابلية للقياس الكمي.

فقد قفزت فوق حدود البذرة التي زرعها DeLang و Aldershof وهما اللذان وجدا أن هناك انتشارا عاليا، وبشكل غير عادي، في المهارات الخاصة، مثل الموهبة الفنية، في عينة من الأطفال المصابين باضطراب الهوس الاكتئابي (1993). فقد خططت جاميسون دراستها لتختبر النظرية التي تقول إن التطرف في المزاج أو التفكير أو السلوك مرتبط بالتحديد بالإبداع الفني (1989). وقد وصلت إلى ذلك من خلال دراسة معدلات العلاج من الاضطرابات المزاجية في عينة من عمالقة الكتاب والفنانين البريطانيين، ودرست الاختلافات في حال وجودها بين فئات المجموعة نفسها من حيث نوعية المهنة (شعراء، كتاب الرواية، كتاب مسرحيون، كتاب السيرة الذاتية، والفنانون).

وقد تضمنت النتائج وجود نسب انتشار أعلى من القصص المرضية للنوبات الدورية للاضطراب المزاجي الشديد عند الفنانين والكتاب، مقارنة مع نسب الانتشار عند عموم الناس. وعمليا، فإن جميع الحالات المدروسة قد أوضحت أن لديهم نوبات مكثفة ومنتجة وإبداعية. وأن 90 في المئة منهم أوضحوا أيضا أن هذه الفترات المزاجية والمشاعر كانت جزءا ضروريا أو على الأقل هاما، في تطويرهم وتنفيذهم لعملهم (1989). إضافة إلى ذلك لاحظت جاميسون «أن كتاب السيرة الذاتية، والذين وفروا عينة مقارنة بكونهم متميزين، ولكن ربما أقل إبداعا، أنه لم يكن لديهم نوبات من التقلبات الدورية للمزاج أو نوبات من زيادة المزاج» (1989).

القضايا

ناقشت جاميسون أيضا بعض ما يترتب على بحثها من قضايا نظرية وعيادية وأدبية واجتماعية أخلاقية. وقد وضعت بعين الاعتبار مسائل، مثل فهم العمليات العقلية والإدراكية والمزاجية وتغيرات السلوك، والتي تشترك فيها حالات الهوس والاكتئاب والحالات الإبداعية. وأيضا الإمكانيات الممكنة لتخفيف الوصمة السلبية المرتبطة بالمرض

النفسي، وتأثيرات العلاجات النفسية (مثلا: دواء الليثيوم) على الإبداع، والتحفظات المثارة حول الأبحاث الوراثية على اضطرابات المزاج (Jamison,1989).

وهكذا، وعلى الرغم من أنها لا تقدم نتائج علمية قطعية حول العلاقة السببية بين الإبداع والاضطراب النفسي، إلا أن بحثها فتح الحوار حول هذه القضايا والمسائل الهامة المترتبة عليه.

وقد أثار كمينغس وزاريت (Cummings & Zarit) مسائل هامة مشابهة في مقالتهما حول "احتمال مرض ألزهايمر عند فنان" (1987) "Probable Alzheimer Disease in an Artist". حيث قدما حالة رسام وعمره 75 عاما تدهورت مهاراته الفنية بشكل واضح خلال عامين ونصف من التقييم المبدئي لسلوكه والتقييم العصبي النفسي الذي خضع له بسبب احتمال مرض ألزهايمر عنده. ومن خلال مراقبة تأثير الأذى الدماغي على التدهور الواضح للإبداع الفني، طرح المؤلفان نظرية حول طبيعة الموهبة الفنية و اعتبراها صفة فطرية تعكس فرادة منظومة التكوين التشريحي – الوظيفي لدماغ الفنان. و يتضمن ذلك أن الإبداع ظاهرة لا يمكن تربيتها أو تنميتها إراديا، وأنها على العكس فهي فقط نتيجة فيزيولوجية لبنية عصبية معينة. وقد جاءت معارضة مثيرة لهذه القصة من خلال الاستجابات لتلك المقالة. ومن الواضح أن أعدادا كبيرة من النقاد الفنيين رأوا إبداعات خاصة في سلسلة اللوحات التي رسمها الفنان المريض، والتي اعتبرها كميينغس وزاريت دليلا على التدهور الواضح والمثير لمهاراته الفنية والإبداعية، ولم يوافقوا على ذلك الوصف وانتقدوه بعنف. وفي رسالة لكاتب يجادل فيها بأن اللوحة الثانية في سلسلة اللوحات، والتي تم رسمها بعد سبع سنين من بدء ظهور مرض ألزهايمر على الفنان أنها "لوحة مذهلة" و"أنها عمل عبقري يذكر بأهم لوحات فان كوخ مجلة الجمعية الطبية الأميركية 1988 (JAMA). ومثل رد الفعل هذا يوضح الطبيعة الذاتية في مسألة تقييم الإبداع. كما أنه يذكرنا بالطبيعة المعقدة والغامضة غالبا، لهذه الجوانب من التفكير والسلوك الإنساني.

النظر إلى الخرف

أثارت الدراسات الثلاثة السابقة أسئلة مثيرة للاهتمام، وأثارت أيضا احتمال وجود علاقة بين الاضطراب النفسي، وبين الإبداع، بما فيه السؤال المحدد حول تعريف الاضطراب وتحديده، ولكن جمعت الأدلة فيها كلها باتجاه واحد فقط.. أي أن الباحثين حددوا أشخاصا مبدعين مشهودا لهم، ثم بحثوا عن انتشار الاضطراب النفسي فيهم. وفي

دراسة حالة الرجل المصاب بمرض ألزهايمر، تم الربط بين تغيرات عصبية خاصة وبين الإبداع فقط، لأن مهارات المريض الفنية ضعفت (وهذا مشكوك فيه) بالترافق مع التغيرات الدماغية القشرية التي تميز المرض. ولكن رسالة القارئ توحي بأن المريض ربما حدثت لديه زيادة في الإبداعية على الرغم من أن مهاراته الفنية الموضوعية قد تناقصت. وقد يبدو كل ذلك مثيرا للسخرية للوهلة الأولى، ولكن كما سنرى لاحقا، فإن هناك دلائل متزايدة على أن بعض الحالات من "خرف غير ألزهايمر" والتي تسمى النوع الصدغي من الخرف الجبهي الصدغي FTD والتي ترتبط تسميتها بمناطق الدماغ المصابة، يمكن أن تحدث فيها إثارة للإبداعية والمهارات الفنية البصرية في بعض الأشخاص. وفي واحد من التقارير الأساسية الحديثة تم حدوث إبداعية تلقائية في إطار حالة الخرف، وقد قدم ميللر(1988) Miller تفاصيل عن القصص المرضية لعدة حالات (أربعة) اكتسبت مهارات إبداعية جديدة أثناء تشخيصها كحالات خرف جبهي صدغي بالتحديد.

الخرف الجبهي الصدغي: جبهة الإبداع الجديدة

إن الخرف الجبهي الصدغي أو اختصارا FTD هو تشخيص يستعمل لوصف حالات أفراد لديهم انحلال قشري دماغي محدد (مثلا ضمور أو انتفاخ خلايا في مناطق محددة أو فصوص من قشر الدماغ). ويشبه في طبيعته مرض ألزهايمر. ولكنه يفرق عنه تشريحيا وكيميائيا في نقطتين: في مرض ألزهايمر الضمور المبكر في أجسام الخلية، وفي الفصوص القشرية يحدث في الجهات القفوية الجدارية، وفي المناطق الأنسية الصدغية من الدماغ، بينما في الخرف الجبهي الصدغي تحدث التغيرات بشكل محدد في المناطق الجبهية والصدغية. وثانيا فإن الانحلال في الخرف الجبهي الصدغي ينحو لأن يكون غير متناظر مقارنة مع مرض ألزهايمر والذي يكون معمما أكثر.

ولابد من الملاحظة أن هذه التفريقات في المرضى الأحياء أصبحت ممكنة بفضل (SPECT التصوير الطبقي الكمبيوتري لبث الفوتون المفرد). حيث يعطى المريض دواء مشعا (بروتين أو جزيئات عضوية مرتبطة بجزيئات مشعة) تم اختياره وفقا لخواصه الامتصاصية من الدماغ. والدماغ السليم والذي تعمل خلاياه بشكل طبيعي، يمتص كمية محددة من هذه المادة المشعة، ويظهر ذلك في الصورة على شكل منطقة نيرة. والمناطق النيرة أو العاتمة بشكل غير طبيعي في الصورة تدل على خلل استقلابي في وظيفة الخلايا ومن الممكن أن يدل على ضمور فيها، أو موتها.

وقد استعمل ميللر SPECT في تقريره لتشخيص خمسة حالات على أنها تعاني من

الخرف الجبهي الصدغي. وفي الحقيقة كانت أربع حالات من خمسة لديها تشخيص الشكل الصدغي من الخرف الجبهي الصدغي، حيث كانت المناطق الأمامية من الفص الصدغي (وهي المسؤولة عن اللغة والمهارات الاجتماعية) مصابة بالضمور، بينما كانت المناطق الجبهية الظهرية الوحشية (dorsolateral frontal) (وهي المسؤولة عن المهارات البصرية) محافظ عليها بشكل كبير. وكما افترض ميللر، فإن هذا الفقدان الانتقائي الفريد في وظيفة المنطقة الأمامية من الفص الصدغي يمكن أن يكون له تأثير سببي على الظهور المفاجئ للمهارات الفنية.

تفاصيل عن المرضى

بعكس المريض المصاب بمرض ألزهايمر المذكور سابقا، والذي فقد مهارته الفنية والإبداعية، فإن مرضى ميللر طوروا مهارات لم تكن لديهم أبدا. ومثلا المريض رقم (1) لم يكن لديه اهتمام سابق بالفن، ولكنه بدأ يحضر دورات في الفن مع ظهور حالة الخرف عنده. وعلى الرغم من سلوكه الفاضح والمتهيج (وهذا ما يميز مرضى الخرف الجبهي الصدغي أساسا) فقد بدأ يرسم صورا لأماكن يتذكرها بوضوح فائق (ميللر 1998). والمريض رقم (2) أيضا بدأ يحضر دروسا فنية بشكل مفاجئ، وبعد مدة قصيرة أصبح ينزعج من المواقف الاجتماعية، وأصبح فاقدا السيطرة على تصرفاته، وصار كلامه فاضحا. وربما كان المثال الصادم بقوة: مريض وصف بأن لديه خرفا جبهيا صدغيا، وكان المريض الرابع في دراسة إدوارد - لي وآخرين (Edward-Lee et al) على الشكل الصدغي للخرف الجبهي الصدغي (1997). والمريض عمره 68 سنة عندما تم فحصه للمرة الأولى بسبب الخرف، وهو متاجر بالأسهم متقاعد، ولم يكن لديه اهتمام بالفن عندما بدأ يرسم من 13 سنة مضت، وهذه الهواية انبثقت تلقائيا مع حالات وصفها المريض بأنها فترات "انفتاح" وفترات "إغلاق". وخلال فترات الانفتاح كان الضياء والصوت يحدث مشاعر لذة في المريض، مما سمح له بأن يفكر بطريقة إبداعية (ميللر وآخرين 1998). وخلال فترات الإغلاق كانت الأحاسيس الحسية الاعتيادية مزعجة ومؤلمة للمريض (إدواردز - لي وآخرون). وعلى الرغم من ازدياد السلوك الفاضح لديه مع تدهور في اللغة والذاكرة، استمر المريض برسم صور عاشها خلال مراحل الانفتاح والإغلاق. وأكثر من ذلك، وكما وصف ميللر، فإن دقته وتفاصيله قد تحسنت خلال مسار مرضه، وقد ربح عدة جوائز في معارض فنية (1998).

لاحظ غولدمان راكيك أن العمليات البصرية المكانية التي تتدخل في نشاطات مثل الرسم والتلوين من الذاكرة، تعتمد على التلفيف الظهري الوحشي ما قبل الجبهي (dorsolateral prefrontal convexity). وكما وصف ميللر، فإن هذه المنطقة هي المنطقة الأساسية من الدماغ التي لم يمسها الضرر في جميع الحالات الخمسة المصابة بالخرف الجبهي الصدغي، وكانت كل المهارات الجديدة التي تطورت لديهم بصرية، ولم تكن لفظية أبدا. وقد افترض ميللر آلية ممكنة لهذه الظاهرة التي لاحظها وسماها التسهيل الوظيفي المعاكس(paradoxical functional facilitation). وافتراضيا فإن فقدان المهارات الاجتماعية وظهور السلوك الفاضح ربما لم يكن مصادفة أن يكون ضمن أعراض الخرف الجبهي الصدغي. ووفقا لميللر: فإن الانحلال الانتقائي للقشر الأمامي الصدغي والبصري الجبهي (والذي يعتقد أنه مرتبط بالمهارات الاجتماعية) يقلل من ضبط المنظومات البصرية الواقعة خلفها، والتي تتدخل بالإدراك، وبالتالي فهي تزيد وتحسن من الاهتمامات والمهارات الفنية للمرضى (1998).

يمكن للخرف الجبهي الصدغي أن يعطي بعض التبصر حول الأساس الفيزيولوجي للعملية الإبداعية. ولابد من القول بأن جميع الدراسات المذكورة هنا لا تقدم القول الفصل حول الموضوع. والتصوير بواسطة SPECT لم يتم تطويره بعد ليحدد فعليا "مركز الإبداع" في الدماغ، على الرغم من أنه قد أثبت أنه نافذة متميزة للتعرف على وظائف الدماغ. ويمكن النظر إلى هذه الملاحظات وعينات المرضى المدروسين على أنها خطوات أولى في البحث العضوي عن "لغز الإبداع". ويمكن لها أن تثير مناقشات حول العلاقة بين الإبداع والاضطراب النفسي من أنواع أخرى، وأيضا حول الإبداع والمهارة الفنية. وهذان المصطلحان تم استعمالهما في هذه المراجعة بشكل متبادل، ولكن في الحقيقة لا ندري إذا كانا شيئا واحدا.. إضافة إلى ذلك يمكن لهذه المناقشة أن تتضمن تخمينات حول الأسس التطورية للإبداع.

وأخيرا، يمكن لنا أن نعالج مسألة الاضطراب النفسي كموضوع غير طبيعي من خلال تعديل الوصمات السلبية الاجتماعية، وإمكانيات وسائل تحسين الجنس البشري المتعلقة بالمصابين بالمرض النفسي.. ويمكن لكل ذلك أن يتغير إذا تم التأكيد في المستقبل على أن الإبداع والاضطراب النفسي مرتبطان تماما.

References

Cummings,J.L.&Zarit J.M.(1987)Probable Alzheimer Disease in an artist.

Journal of the American Medical Association,258,2731-4.

Edward-

Lee,T.,Miller,B.L.,Benson,D.F.,Cummings,J.L.Russell,G.L.,Boone,K.,& Mena,I.(1997).The temporal variant of frontotemporal dementia.

Brain,120,1027-40.

Goldman-Rakic,P.S.(1996)Regional and cellular fractionation of working memory.

Proceedings of the National Academy of Science,93,13473-13480.

Jamison,K.R.(1989) Mood disorders and patterns of creativity in British writers and artists.

Psychiatry,52,125-34.

Kennes,M.(1995) Creativity and Psychopathology.

Lancet,345,138-9.

Miller,B.L.,Cummings,J.L.,Mishkin,F.,Boone,K.,Prince,F.,Ponton,M.,& Cotman,C.(1998). Emergence of artistic talent in frontotemporal dementia.

Neurology,51,978-82.

Miller,B.L.,Ponton M.,Benson D.F.,Cummings J.L.,&Mena I.(1996).Enhanced artistic creativity with temporal lobe degeneration.

Lancet,348,1744-5.

Post,F.(1994).Creativity and psychopathology: A study of 291 world-famous men.

British Journal of Psychiatry,165,22-4.

Stokes,P.(1994). Creativity and psychopathology.

British Journal of psychiatry,165,555-6

محمد أحمد النابلسي

الحرب النفسية في العراق

متابعة للجوانب النفسية في الحرب الأميركية على العراق

إن القراءة النفسية للحرب على العراق هي مهمة ملقاة على عاتق فروع اختصاصية متداخلة. وهي ستشغل العاملين في هذه الفروع على مدى سنوات قادمة. وعليه فإن ما نقدمه في هذه الدراسة ليس سوى مقدمة لقراءات نفسية لاحقة تنتظر ظهور معلومات جديدة عن خلفيات هذه الحرب وأسرارها وصفقاتها الخفية.

نحو استراتيجية عربية لمواجهة الصدمات والكوارث

دراسة مقارنة بين النموذجين اللبناني والكويتي

الدكتور: عبد الفتاح دويدار
الدكتور: حسن الصديق

في هذا الكتاب متابعة وعرض للتجربة اللبنانية عبر أعمال الدكتور محمد أحمد النابلسي. وللتجربة الكويتية عبر أعمال الدكتور بشير صالح الرشيدي. مع اقتران هذه المتابعة بدراسة مقارنة تبين نقاط التشابه والاختلاف بين هاتين التجربتين والتأكيد على خصوصية كل منهما. الأمر الذي يعطي لهذا الكتاب صدارته في المكتبة النفسية العربية. التي لا تزال فقيرة في ميدان دراسة الصدمات.

الإتجاهات نحو جنس المدرس في المرحلة الابتدائية الأولى[1]

بحث من إعداد: د. مصطفى عشوي

جامعة الملك فهد للبترول والمعادن/ قسم الإدارة والتسويق

مقدمة:

تعتبر المراحل الأولى من العمر من أهم مراحل النمو بالنسبة للكائن البشري من جميع النواحي الجسمية والروحية والذهنية والوجدانية والسلوكية؛ وهذا باتفاق أغلب علماء النفس والتربية.

وعليه، فإن نجاح العملية التربوية في السنوات الأولى من المرحلة الابتدائية في المدرسة يمهد للنجاح في المراحل اللاحقة من مراحل التعليم الثانوي والجامعي. ولذا فإن علماء النفس والتربية ما فتئوا يبحثون عن أحسن الظروف والشروط والخصائص لتحسين التدريس والتربية في مختلف مراحل التعليم. ومن هذا الباب، جاء الاهتمام بالمدرس، ودوره في العملية التربوية، وتأثيره في الطلاب، سواء كان ذلك من حيث التحصيل الأكاديمي، أم السلوك والأخلاق.

ومن بين المواضيع التي استرعت انتباه الباحثين موضوع جنس المدرس، وجنس الطالب، وتأثير هذا المتغير (الجنس) في التدريس والتربية. وقد طرح موضوع الاختلاط وتأثيره في العملية التربوية انطلاقاً من عدة اعتبارات، سواء كان ذلك من الناحية الدينية، أم من الناحية النفسية - الاجتماعية.

---

[1] - تم هذا البحث بتمويل من مدارس الجامعة وينوه الباحث بدعم مجلس إدارة هذه المدارس لهذا البحث مادياً ومعنوياً.

ولكن المقصود بالاختلاط في هذا البحث هو تدريس المدرسين الذكور للإناث (الطالبات)، أو تدريس المدرسات للذكور (الطلاب). وقد أجريت بحوث ميدانية كثيرة، وفي مختلف البلدان لمعرفة الفروق بين الجنسين (الطلاب الذكور والإناث) في عملية التحصيل الدراسي في مختلف المواد والمستويات، إلا أن البحوث التي أجريت لمعرفة تأثير جنس المدرس في العملية التربوية ككل، وفي التحصيل الدراسي، وسلوك الطالب نادرة جداً.

ومن البحوث الأخيرة التي أجريت لمعرفة تأثير جنس الطالب في إدراك المدرس، أو المدرسة، لشخصية الطالب، وتأثير ذلك في التحصيل الدراسي البحث الميداني الذي أجرته ألوجا وآخرين سنة 1999 في المدارس الإسبانية سنة 1999 (Aluja; Balleste & Torrubia, 1999).

أما تأثير جنس الطلاب في عملية تقويم الأساتذة، فقد كان موضوع بحث باسو في سنة 1995؛ حيث وجدت في بحث ميداني أن التقويم الكلي للأساتذة (الذكور) لم يتأثر بجنس الطلاب. وعلى العكس من ذلك بالنسبة للأستاذات، حيث حصلن على أعلى تقويم من طرف الطالبات، بينما حصلن على أدنى تقويم لهن من طرف الطلاب (Basow, 1995).

وإذا كان الاختلاط في التدريس ممنوعاً في المملكة العربية السعودية في جميع مراحل التعليم، فإن هناك بعض القضايا التي طرحت في هذا الإطار. ومن بينها أن عدد المدرسات أكبر من عدد المدرسين، خاصة في مرحلة التعليم الابتدائي. ففي المنطقة الشرقية مثلاً، وحسب إحصائيات وزارة التربية والتعليم سنة 1423 (2002) بلغ عدد المدرسين في جميع أنواع التعليم 25008 بينما بلغ عدد المدرسات في جميع أنواع التعليم بالمنطقة 30248 مدرسة[2]. وحسب نفس الإحصائيات، فإن إجمالي الطلاب الذكور في المرحلة الابتدائية (نهاري) في ربوع المملكة هو 1.167.364 بينما عدد الطالبات في المرحلة نفسها هو 1.063.470 تلميذة. أما المجموع العام للمدرسين في المرحلة الابتدائية (نهاري) فهو 92.382 بينما عدد المدرسات في المرحلة نفسها هو 96.464 مدرسة. ويلاحظ أن عدد المدرسات في المملكة في هذه المرحلة، وكذلك في مرحلة التعليم الثانوي أكبر من عدد المدرسين، مما يستدعي حلاً عاجلاً لقضية توظيف المدرسات؛ وذلك بفتح مدارس أكثر للبنات، وبفتح التعليم الابتدائي، وخاصة الصفوف الأولى للمدرسات.

وفي الواقع، فإن استئثار المدرسات بالتعليم، وخاصة في المرحلة الابتدائية عبارة عن ظاهرة عالمية، حيث أشار صابان (2003) مثلا أن التعليم الابتدائي في تركيا والبلدان

---

[2]- انظر موقع وزارة التربية والتعليم www.moe.gov.sa

الغربية مرتبط بعمل السيدات، ومرتبط كذلك بالأمومة والتربية (Saban, 2003).

ورغم أن عدم الاختلاط بين الجنسين في جميع مراحل التعليم هو السائد في مدارس المملكة، وأن الأولاد الذكور لا يعلمهم إلا مدرسون ذكور في جميع مراحل التعليم إلا أن الوضع مختلف نوعاً ما في إحدى المدارس في الظهران (المنطقة الشرقية في المملكة) وفي مدارس قليلة أخرى؛ حيث يدرس الأولاد الذكور في السنتين الابتدائيتين الأولى والثانية مدرسات فقط، بينما يدرسهم في السنة الثالثة مدرسات ومدرسون معاً في مدرستين متجاورتين، بينما لا يدرسهم في باقي الصفوف الابتدائية (ابتداءً من الصف الرابع الابتدائي) إلا مدرسون فقط. ولنصطلح على تسمية هذه المدرسة بمدرسة سين.

والسؤال المطروح: هل من الأفضل مواصلة هذا الأسلوب، أم تدريس الطلاب (الذكور) من طرف المدرسين فقط، دون مشاركة المدرسات؟

ولعل مبعث هذا السؤال اهتمام بعض الآباء بالتحصيل الدراسي والنمو النفسي-الاجتماعي في مدرسة سين لأولادهم مقارنة بالأولاد الآخرين الذين يدرسهم مدرسون فقط في باقي المدارس الحكومية والأهلية في المنطقة الشرقية، بل وفي المملكة كلها، ماعدا بعض الاستثناءات. وإذا قلنا بأن هذا الأسلوب المتبع في هذه المدرسة مفيد في التحصيل الدراسي والنمو النفسي-الاجتماعي للطفل، فهل يمكن تعميمه على باقي مدارس المملكة لتقليص حجم البطالة في صفوف المدرسات مثلاً، ولتحقيق أهداف أخرى كرعاية الطفل بطريقة أفضل؟

ليس من السهل إيجاد دراسات سابقة متعلقة بالموضوع مباشرة، ولكن البحث في بنوك المعلومات والدراسات السابقة أرشدنا إلى بعض البحوث ذات العلاقة غير المباشرة بهذا الموضوع.

ومن هذه الدراسات، دراسة في الولايات المتحدة الأميريكية أكدت أن الطلاب في المرحلة الابتدائية يتأثرون بالخصائص الكلية للمدرس بدلاً من جنسه (كونه ذكرا أو أنثى). وأوضحت الدراسة نفسها أن المدرسين الأكثر تأثيراً في تلاميذهم هم المدرسون الذين يتصفون بخصائص الدفء والاهتمام، بالإضافة إلى الحزم والسيطرة (Weeless & Potori, 1989). وإن كانت هذه الدراسة قد ركزت على تأثر الطلاب بالمدرسين والمدرسات، تبعاً لخصائص المدرسين والمدرسات الشخصية والسلوكية؛ فإن بعض الباحثين الذين درسوا هذا الموضوع مثل الزعبي (2001) يؤكدون أن للوالدين تأثيرا كبيرا في اتجاهات الطفل نحو مدرسته ومدرسيه. وبالتالي، فإن اتجاه الطلاب نحو مدرسيهم ومدرساتهم تتأثر إلى حد كبير باتجاه والديهم. وعليه، وكما يؤكد الزعبي، فإن الآباء الذين

يحترمون جهود المدرسين يشجعون أبناءهم على تكوين اتجاهات إيجابية نحو المدرسة والتعلم، والعكس بالعكس.

ونظرا لارتباط المشكلة المطروحة للبحث بالمرحلة الابتدائية الأولى، فإننا سنقتصر في هذه الدراسة على مناقشة أهم القضايا المرتبطة بالتحصيل الدراسي والنمو النفسي-الاجتماعي للأطفال في هذه المرحلة التي تسمى بمرحلة الطفولة المتوسطة، على أن نعود إلى مناقشة تأثير خصائص المدرس في التحصيل الدراسي للتلاميذ.

مرحلة الطفولة المتوسطة:

تمتد هذه المرحلة من العمر من سن ست سنوات إلى تسع سنوات. وتعتبر هذه المرحلة من أهم مراحل النمو الاجتماعي واللغوي بالنسبة للطفل، حيث تعتبر سن السادسة في أغلب بلدان العالم بداية الدخول المدرسي والتفاعل الاجتماعي مع أفراد جدد لا ينتمون إلى المحيط الضيق للأطفال (الأسرة والأقارب والجيران).

أشار الهمشري (2003) إلى أن أهم ما تتميز به مرحلة الطفولة الوسطى (6-9) سنوات هو اتساع البيئة الاجتماعية للطفل، بخروجه إلى المجتمع عامة، ومجتمع الدراسة خاصة، بالإضافة إلى توحده مع دوره الجنسي، وزيادة الاستقلال عن الوالدين. أما من ناحية النمو الانفعالي في هذه المرحلة، فيشير الكاتب نفسه إلى أن الطفل في هذه المرحلة حريص على إبداء الحب، ومحاولة الحصول عليه بكافة الطرق والوسائل.

وعليه، فهو يحب مدرسه أو مدرسته، ويحاول إدخال السرور عليه (عليها)، ويعبر عن ذلك بطرق مختلفة. ومن خصائص النمو الانفعالي كذلك في هذه المرحلة من العمر، والتي تليها: الهدوء والاستقرار والثبات والقدرة على ضبط النفس والمشاعر. كما تتأثر انفعالات الطفل في هذه المرحلة، بما يصدر عن الأشخاص المهيمن، مثل والديه ومدرسيه من ردود أفعال نحو سلوكه الانفعالي، مما يتطلب عدم جرح وإيلام الطفل بعبارات قاسية ومؤلمة، بل وضرورة تشجيعه على التعبير عن انفعالاته (الزعبي، 2001).

أما من ناحية النمو الجنسي للأطفال في هذه المرحلة، فقد كان موضوع علماء النفس التحليليين وغيرهم، كما سنعرف في ما بعد. ومن بين القضايا المطروحة في هذا الشأن قضية تعلم النمط والدور الجنسي في المراحل الأولى من عمر الأطفال ذكورا وإناثا.

النمط الجنسي (Sex Typing):

يرى بعض الباحثين مثل منصور (1981) أن مفهوم النمط الجنسي يختلف عن مفهوم التقمص أو التوحد؛ ويفترض في النمط الجنسي "أن الولد قد تعلم أن يكون ولداً لعدة أسباب شخصية اجتماعية، وعادة ما يكون أفضل نموذج أمامه، بل المثالي لهذا الدور هو الأب" (منصور، ص232). وحسب الباحث نفسه، تمثل عملية التطابق السلوكي بين الولد وأبيه -الذي يتم كنتيجة للحب والاحترام والتقليد- التوحد الذكري Identification. ويرى علماء النفس والتربية أن النمط الجنسي يتم في مرحلة مبكرة من العمر.

وهذا التوحد مع الأب هو الذي يسهل على الولد التوحد مع الدور الجنسي الملائم. ويشير الباحث نفسه أنه في حالة غياب النماذج الوالدية المناسبة، فإن الطفل قد يتجه إلى التوحد مع سلوك مدرسه، أو مدرسته، في مراحل الحضانة والابتدائية والإعدادية، بينما لا يتوجه الولد العادي إلى التوحد مع المدرس الذكر حتى يصل إلى المدرسة الإعدادية أو ربما بعدها. ورغم أن الكاتب لم يوضح أسباب تأخر توحد الولد مع مدرسيه، حتى المدرسة الإعدادية في هذه الحالة، فإن هذا قد يرجع إلى حدوث النمط الجنسي والتوحد قبل التحاق الولد بالمدرسة في الأحوال العادية، مع بديل للأب كالعم أو الخال، إلخ....

ومما يدعم هذا الاستنتاج نتائج دراسة ميدانية قديمة أجراها براون سنة 1957 على أطفال في رياض الأطفال حتى الصف الخامس ابتدائي، حيث وجد أن الأولاد الذكور، ومنذ مرحلة الروضة، يميلون إلى لعب الأولاد الذكور. وعليه، فقد وجد أن 75٪ من أطفال الروضة (الذكور) فضلوا ألعاباً للأولاد و77٪ منهم فضلوا دور الأب على دور الأم، بينما وصلت النسبة عند الأولاد في الصف الثاني ابتدائي إلى 90٪ وظلت كذلك حتى الصف الخامس ابتدائي.

ولعل النتائج التي توصل إليها الخطيب (1997) في بحثه الميداني "القدوة وأثرها في التنشئة الاجتماعية لتلاميذ المرحلة الابتدائية في دول الخليج العربية" تدعم ما توصل إليه براون سنة 1959 ولو بصفة جزئية. فقد وجد الخطيب سنة (1997) أن 76.2٪ من أفراد العينة (ذكور وإناث من جميع دول الخليج) يلجأون إلى أحد الوالدين عندما يصادفون مشكلات في حياتهم، وأن 2.7٪ فقط يلجأون إلى مدرسيهم.

وقد عزا الخطيب تدني نسبة استعانة الطلاب بمدرسيهم في حل مشكلاتهم إلى "وجود فجوة كبيرة في العلاقات المدرسية بين الطلاب والمدرسين، وأن المدرسين ربما يعاملون الطلاب معاملة فظة الأمر الذي قد يفوت فرص اقتداء الطلاب بهم" (ص123).

ورغم وجاهة هذا التفسير، إلا أن الخطيب لم يتعرض لعملية التوحد، أو التقمص، بين

الأطفال (الطلاب) وآبائهم قبل الالتحاق بالمدارس الابتدائية. ويدعم هذه النظرة أي توحد الطلاب مع آبائهم قبل الالتحاق بالمدرسة ما توصل إليه الخطيب في الدراسة نفسها أن ما يزيد عن 36٪ من الطلاب والطالبات يميلون إلى أن يصبحوا كآبائهم وأمهاتهم مقابل 25.3٪ (7.2٪ للذكور مقابل 18.1٪ للإناث) منهم فقط يرغبون في أن يكونوا مثل مدرسيهم، بينما تميل نسبة 30.1٪ في أن تكون مثل "شخص آخر". ويدعم هذا أيضاً ما توصل إليه الباحث نفسه الذي أورد أن الطلاب الذين يرون أن أهم الشخصيات المعاصرة في حياتهم إنما هم الآباء والأمهات معاً بنسبة 19.4٪، بينما لم تتعد نسبة الذين اعتبروا المدرسين أهم الشخصيات المعاصرة في حياتهم 6.6٪ علماً أن مجتمع هذه الدراسة يتكون من تلاميذ الصف السادس، أو ما يعادله (الصف الأخير من المرحلة الابتدائية). ولم يقدم الخطيب تفسيراً كافياً لسبب اختيار أغلبية الطلاب، وبنسبة 43.1٪ لشخص آخر (غير الأب أو المدرس) "كأهم شخص في العالم في وقتنا الحالي"، كما أنه لم يوضح هوية هذا الشخص الآخر؛ الأمر الذي يستدعي حقاً الاهتمام والتقصي العلمي.

ولكن أبو جادو (2000) يؤكد أن الدراسات النفسية والتربوية تشير إلى أن التوحد مع الدور الجنسي المناسب إنما يتم في مرحلة الطفولة المتأخرة (9-12 سنة). ورغم أن التوحد يتم في مرحلة الطفولة المتأخرة، كما أشار إلى ذلك أبو جادو، إلا أن الكاتب نفسه ينقل - عندما يصف خصائص مرحلة الطفولة المتوسطة- عن جابر (1982) رأياً مخالفاً حيث أورد أن الأولاد والبنات يبدأون "في إظهار ميول مختلفة في عملهم المدرسي وفي لعبهم. وحين يدرك كل من الجنسين أن له دوراً مختلفاً في المجتمع، قد تنتج خلافات بينهما" (ص68).

وفي الواقع، فإن تقمص شخصية أحد الأبوين تتم قبل الدخول المدرسي. ويلاحظ هذا في تقليد الأطفال لسلوك آبائهم وأمهاتهم قبل الالتحاق بالمدرسة، حيث يشكل الآباء، بالإضافة إلى أبطال المسلسلات التلفزيونية الموجهة للأطفال النماذج التي يقلدها الطفل ما قبل الروضة والمدرسة.

خصائص المدرس والتحصيل الدراسي:

إذا عدنا إلى موضوع العلاقة بين خصائص المدرس، أو المدرسة، وتحصيل الطلاب، فإننا نجد أن أغلب البحوث قد ركزت على أهم الخصائص الشخصية والتربوية التي يتمتع بها المدرس -وليس خاصية "الجنس" فقط- وعلاقة هذه الخصائص بالتحصيل الدراسي للتلاميذ.

ومن هذه الدراسات، بحث أجري في بتسوانا سنة 1989 من طرف موامونـدا ومواموندا (Mwamweda & Mwamwenda, 1989) حول العلاقة بين خصائص المدرس، مثل الجنس والخبرة في التدريس من جهة، وتحصيل الطلاب من جهة أخرى. وقد بينت نتائج هذا البحث أن تحصيل الطلاب الذين درستهم مدرسات ذوات خبرة طويلة أعلى من تحصيل الطلاب الذين درسهم مدرسون ذوو خبرة أقل. وبالتالي، فإن عامل الخبرة عند المدرس، وعلاقة ذلك بتحصيل الطلاب، كما بين هذا البحث عامل أساسي.

ولكن نتائج هذه الدراسة التي أجريت في بتسوانا لم تتفق مع نتائج دراسة أخرى كانت قد أجريت في الولايات المتحدة الأميريكية ونشرت سنة 1988. فقد بين كل من وليس وبوتوري (Wheeless & Potori, 1988) كما ذكرنا أعلاه أن تحصيل الطلاب لم يتأثر بكون القائم بالتدريس هو مدرس أو مدرسة، بل إن تحصيل الطلاب، سواء كانوا ذكوراً أم إناثاً، قد تأثر بالخصائص الإجمالية للمدرس أو المدرسة (ذكراً كان أو أنثى).

وفي دراسة مقارنة بين عدة بلدان، وجد هوبكنز واسترن سنة 1995 (Hopkins & Stern, 1995) أن أهم خصائص المدرسين المتميزين بنوعية التدريس هي: الالتزام، حب الأطفال، التحكم في طرق التدريس، أو (البيداغوجيا) النماذج المتعددة في التدريس، القدرة على التعاون مع آخرين، والقدرة على التأمل.

ومن الدراسات القليلة جداً التي حاولت الربط بين جنس المدرس واتجاهات الطلاب الجامعيين نحو المدرسين، دراسة قامت بها بازو سنة 1995 (Basow,1995). لقد وجدت هذه الباحثة عندما قارنت تقويم الطلاب الجامعيين للأساتذة خلال مدة أربع سنوات متتالية في إحدى الكليات في الولايات المتحدة الأميركية أن تقويم الأساتذة الذكور لم يتأثر بجنس الطالب، في حين أن تقويم المدرسات قد تأثر بجنس الطالب، حيث إن المدرسات قد تلقين أعلى تقويم من طرف الطالبات، وأدنى تقويم من طرف الطلاب.

وتوصلت الباحثة نفسها في بحث آخر سنة 2000 (Basow, 2000) إلى أن "أحسن المدرسات في الجامعة" قد تم اختيارهن من الطالبات كأحسن مدرسات أكثر مما تمّ من طرف الذكور، في حين لم توجد أي فروق بين الجنسين في اختيار أسوأ مدرس أو مدرسة. وكانت سمات الأساتذة التي انتقدها الطلاب والطالبات (بغض النظر عن جنس الطالب) هي: قلة التنظيم والوضوح. أما أحسن المدرسين فقد كانت أهم السمات التي وصفوا بها هي: الاهتمام (العناية والرعاية) والمعرفة.

ولكن التأكيد على خصائص المدرس، أو المدرسة، ودورها في نوعية التعليم، وتحصيل الطلاب، لم تلق التأييد في بحث نُشر مؤخراً (2005) من طرف جبسون (Jepsen,2005).

كان هدف هذا البحث دراسة العلاقة بين خصائص المدرس وتحصيل الطلاب باستعمال مسح بواسطة استبانة لخصائص المدرس المتوافرة في السجلات الإدارية. فبالإضافة إلى خبرة المدرس المتوفرة في السجلات، فإن الاستبانة قد اشتملت على معلومات حول حماس المدرس، الموارد المتوافرة في الصف، استعمال الكمبيوتر، وحجم الواجبات المدرسية المعطاة للتلاميذ. وقد قام الباحث بربط المعلومات (البيانات) المتعلقة بالمدرسين بالبيانات الخاصة بأداء الطلاب (درجاتهم)، علماً أن عدد الطلاب الذين شملهم هذا البحث هو عشرة آلاف تلميذ من تلاميذ الصفوف الابتدائية الأولى في مختلف الولايات الأميركية.

وقبل أن يورد نتائج بحثه الميداني، فقد أكد هذا الباحث أن الدراسات السابقة التي حاولت أن تربط بين خصائص المدرس، مثل الخبرة والشهادة وتحصيل الطلاب، قد بينت ضعف العلاقة بين هذين المتغيرين، كما بينت أن خصائص المدرسين المتميزين من الصعب قياسها.

ورغم هذه النتيجة، فإن الباحث نفسه يعود ويشير إلى أن المدرس كفرد، وكوحدة كلية، من أهم العوامل المرتبطة بتحصيل الطلاب، مما يعني أن محاولة الربط بين خاصية واحدة محددة عند المدرس، مثل سنوات خبرته، أو شهاداته، وتحصيل الطلاب، لم تبين أية علاقة قوية باستثناء عامل الخبرة الذي يرتبط بالتحصيل الجيد للتلاميذ.

ورغم تأكيده على عدم وجود علاقة بين خصائص المدرس، وتحصيل الطلاب، فإن من أهم النتائج التي توصل إليها جبسون (2005) قد تمثلت في الدور الكبير الذي يؤديه المدرسون والأقران في تحصيل الطلاب، وفي أن للأدوات المتوافرة في الأقسام الدراسية (قاعات الدراسة)، مثل الكمبيوتر، وغيره، علاقة بالتحصيل الدراسي.

ومع الأسف، فإن هذه الدراسة لم تدرج جنس المدرس، كخاصية من الخصائص التي قد يكون أو لايكون لها تأثير معين في تحصيل الطلاب، إلا أنه من الممكن الاستنتاج من هذه الدراسة بطريقة غير مباشرة أنه ليس لجنس المدرس أية علاقة بتحصيل الطلاب.

وقد دعا الباحث في خلاصة بحثه إلى ضرورة مواصلة البحث لمعرفة تأثير مختلف خصائص المدرس في تحصيل الطلاب. ولعل دراستنا الميدانية هذه تندرج في هذا الإطار، خاصة وأنها تبحث موضوعاً لم يلق العناية الكافية من طرف الباحثين التربويين والنفسانيين.

ومن ناحية تأثر تلاميذ الصف السادس (ذكور) بالمرحلة الابتدائية بالمدرسين من الناحية السلوكية، فقد بيَّن بحث ميداني أجري في ست دول خليجية وهي: الإمارات العربية المتحدة، البحرين، الكويت، السعودية، عمان وقطر، أن 7.7٪ فقط يعتبرون

العربية المتحدة، البحرين، الكويت، السعودية، عمان وقطر، أن 7،7٪ فقط يعتبرون مدرسيهم أعظم الشخصيات المعاصرة، الأمر الذي يتطلب -كما أكد على ذلك الخطيب في بحثه سنة 1997- كثيراً من الدراسة والتمحيص لواقع العلاقات المدرسية بين الطلاب والمدرسين.

وبيّن الباحث نفسه أن حوالي 2،7٪ فقط من الطلاب يلجأون إلى المدرسين لحل المشكلات التي تصادفهم، مما يعني كما أشار "وجود فجوة كبيرة في العلاقات المدرسية بين الطلاب والمدرسين، وأن المدرسين يعاملون الطلاب معاملة فظة، الأمر الذي قد يفوت فرص اقتداء الطلاب بهم...." (الخطيب، 1997، ص123). وقد انتهى الباحث نفسه إلى أن نسبة الطلاب الذين اختاروا المدرسين كنماذج للاقتداء بها لم يتعد نسبة 7،2٪ عند الذكور مقابل 18،1٪ عند الإناث، مما يعد مؤشراً خطيراً لا يمكن الاستهانة به في تدني مكانة (صورة) المدرس في المجتمعات العربية.

وتبين من البحث نفسه أن معظم الطلاب (ذكوراً وإناثاً) يتخذون آباءهم وأمهاتهم نماذج وقدوات لهم بنسبة 36٪ مما يبين أن معظم الطلاب يتقمصون شخصية آبائهم، وليس شخصية المدرسين، لأن التقمص يحدث قبل التحاق الأطفال بالمدارس، بل ورياض الأطفال.

ومهما يكن، أود التأكيد أن العملية التربوية عملية معقدة تؤثر فيها عوامل عديدة من أهمها: خصائص الطالب (الطالبة)، خصائص المدرس / المدرسة، طرق التدريس وأدواته، البيئة الأسرية، البيئة المدرسية، البيئة الاجتماعية، وخاصة القيم الاجتماعية المرتبطة بالعلم والتعلم، وكذلك تأثير الأقران. ويتطلب هذا التأكيد إجراء دراسات عديدة حول مختلف العوامل المذكورة، ومدى ارتباطها بالتحصيل الدراسي، والارتقاء السلوكي للطلاب.

أهداف الدراسة:

1- معرفة أيهما أفضل لتدريس الطلاب الذكور في السنوات الابتدائية الثلاث الأولى: المدرسون، أم المدرسات، أم كلاهما.

2- دراسة اتجاهات أولياء الطلاب (الآباء والأمهات) نحو تدريس أبنائهم (الذكور) من طرف المدرسات أو المدرسين في السنوات الثلاث الابتدائية التالية: الأولى والثانية والثالثة.

3- دراسة اتجاهات الطلاب في الثانوية (غالبيتهم من الذين درسوا مع مدرسات في السنوات الثلاث الأولى من المرحلة الابتدائية) نحو تدريسهم من طرف المدرسات،

أو المدرسين، في السنتين: الأولى والثانية الابتدائية.

4- دراسة اتجاهات العينة السابقة نفسها من الطلاب في الثانوية نحو تدريسهم من طرف المدرسات والمدرسين معاً في السنة الثالثة والرابعة الابتدائيتين.

5- الخروج بتصور موضوعي واضح عن أنسب وضع لتعليم تلاميذ السنوات الابتدائية الثلاث: الأولى والثانية والثالثة؛ إما تعليمهم من طرف مدرسين فقط، أو مدرسات فقط، أو من الطرفين معاً.

أسئلة الدراسة:

1- هل يفضل أولياء الطلاب (آباء وأمهات) تدريس أولادهم (الذكور) من طرف مدرسات أو مدرسين في السنوات الثلاث الأولى من المرحلة الابتدائية؟

2- ما هو اتجاه طلاب المرحلة الثانوية نحو تدريسهم من طرف المدرسات أو المدرسين في المرحلة الابتدائية الأولى؟

3- هل هناك فروق جوهرية بين تحصيل الطلاب الذين درستهم مدرسات في مدارس الجامعة في الصف الثاني الابتدائي وطلاب من الصف نفسه في مدارس أخرى في المنطقة الشرقية؟

منهجية البحث:

هذا البحث من نوع البحوث الوصفية (الاستكشافية) التي تستطلع اتجاهات مختلف الأطراف المشاركة في العملية التربوية في المرحلة الابتدائية، مع الإشارة إلى بعض العوامل السلوكية، مثل التحصيل الدراسي للتلاميذ، إما عن طريق الملاحظة، أو الاختبار، أو مقارنة درجاتهم.

المعاينة:

بعد تحديد المجتمع الأصلي، الذي يمثل في هذه العينة مجموع آباء طلاب السنوات الابتدائية التالية: الأولى والثانية والثالثة والرابعة، اتبعنا طريقة المعاينة العشوائية لتحديد حجم عينة الآباء والأمهات، وكذلك الأمر عند تحديد عينة الطلاب في الثانوية المشاركين في هذه الدراسة.

أدوات جمع البيانات:

تم جمع البيانات من عند أولياء الطلاب (أمهات وأمهات) بواسطة إجراء مقابلات هاتفية وفق أسئلة محددة سلفاً بهدف توحيد طريقة طرح الأسئلة ومحتواها. كما استعمل استبيان بسيط لدراسة اتجاه طلاب الثانوية نحو هذا الموضوع. ولمقارنة أداء طلاب الصف الثالث الابتدائي في بعض مدارس المنطقة، طلب الباحث من مسؤولي المدارس الثلاث التي شاركت في البحث وضع أسئلة من منهاج الصف الثاني الابتدائي في المواد التالية:

1- الرياضيات. 2- العلوم. 3- الفقه والسلوك.

تحليل البيانات:

بعد إدخال البيانات في الحاسوب وفق البرنامج الإحصائي (SPSS) تم تحليل البيانات تحليلاً إحصائياً مناسباً لأسئلة البحث أعلاه بهدف الإجابة عنها.

نتائج البحث:

1- اتجاهات طلاب الثانوية وتحصيلهم الدراسي:

يتعلق هذا الموضوع بدراسة اتجاهات طلاب الثانوية الذين درسوا حسب نظام مدرسة (سين) نحو جنس المدرس في الصفوف الابتدائية الأولى، كما يتعلق بمقارنة تحصيل طلاب الثانوية الذين درسوا حسب هذا النظام مع أقرانهم في الصفوف نفسها بالثانوية الذين التحقوا بالمدرسة بعد الصف الثالث الابتدائي، علماً بأن هؤلاء قد يكون درّسهم مدرسون أو مدرسات في الصفوف الابتدائية الأولى، ولم يتم بالفعل ضبط هذا المتغير.

أ- تحليل اتجاهات طلاب الثانوية نحو جنس المدرس:

بلغ مجموع الطلاب الذين شاركوا في ملء الاستبيان الذي وزع عليهم في مقر الثانوية 137 طالباً، علماً بأن توزيع الاستبانة اقتصر على طلاب الثانوية الذين درسوا حسب نظام مدرسة من السنة الأولى الابتدائية إلى المرحلة الثانوية. وقد تبين من تحليل البيانات إحصائياً أن إجابات طلاب الثانوية بهذه المدرسة عن أسئلة الاستبانة قد كانت بالشكل التالي:

1- تفضيل المدرس أو المدرسة في السنة الأولى الابتدائية:

تبين من تحليل السؤال الأول المتعلق بتفضيل المدرس أو المدرسة في السنة الأولى الابتدائية أن 78٪ قد فضلوا أن تدرسهم مدرسات فقط، بينما اختار 10٪ أن يدرسهم مدرسون فقط. أما الذين اختاروا المدرسين والمدرسات مع بعض فكانت نسبتهم 8.8٪، في

حين لم تتجاوز نسبة الذين رأوا أنه لا فرق بين المدرسين والمدرسات 4.4٪. وبحساب معامل كاي (دراسة الفروق بين مختلف الإجابات) وجد أن الفروق بين مختلف الإجابات ذات دلالة إحصائية.

وهكذا يبدو أن أغلبية طلاب المرحلة الثانوية مجتمعين يفضلون المدرسة عن المدرس لتدريسهم في السنة الأولى الابتدائية، والدليل على ذلك أن حساب التباين (ANOVA) لم يبين أية فروق بين طلاب الثانوية حسب سنوات دراستهم (المستويات الدراسية)؛ أي أنه لا فرق بين اتجاهات طلاب السنة الأولى والثانية والثالثة نحو هذا الموضوع.

2- تفضيل المدرسة أو المدرس في السنة الثانية الابتدائية:

بين تحليل السؤال المتعلق بهذا الموضوع أن 86.6٪ من طلاب الثانوية يفضلون المدرسات فقط لتدريسهم في السنة الثانية الابتدائية، بينما اختار 14.6٪ تدريسهم من طرف مدرسين فقط، أما نسبة الذين اختاروا تدريسهم من طرف مدرسين ومدرسات معا فكانت 8.8٪ بينما لم تتجاوز نسبة الذين قالوا إنه لا فرق بين المدرسات والمدرسين 5.1٪. وبحساب معامل كاي (دراسة الفروق بين مختلف الإجابات) وجد أن الفروق بين مختلف الإجابات ذات دلالة إحصائية.

ولم يبين تحليل التباين، تماما مثلما هو الأمر بالنسبة للسنة الأولى، أية فروق في الاتجاهات حسب مختلف المستويات الدراسية، وهذا ما يعزز الإجابة في السؤال الأول.

3- تفضيل المدرسة أو المدرس في السنة الثالثة الابتدائية:

نلاحظ أن في الإجابة عن هذا السؤال اختلافا في النسب وفي الاتجاه العام؛ فقد اختار 38٪ من الطلاب تدريسهم من طرف المدرسين فقط بينما اختار 27٪ منهم تدريسهم من طرف المدرسات فقط.

أما الذين اختاروا المدرسين والمدرسات مع بعض فنسبتهم 29.2٪، بينما لم تتجاوز نسبة الذين لم يروا فرقا بين المدرسين والمدرسات 2.9٪.

وهكذا نلاحظ حدوث تغير في الاتجاه نحو تفضيل جنس المدرس في السنة الثالثة الابتدائية، حيث فضلت الأغلبية من طلاب الثانوية المدرسين بدلا من المدرسات.

وبحساب معامل كاي (دراسة الفروق بين مختلف الإجابات) وجد أن الفروق بين مختلف الإجابات ذات دلالة إحصائية. ولم تلاحظ أية فروق ذات دلالة إحصائية بين الطلاب حسب سنواتهم الدراسية؛ أي أن هناك اتفاقا بين الطلاب حول هذا الاتجاه بغض النظر عن السنة الدراسية في الثانوية.

ب- علاقة حسن السلوك والتحصيل الجيد بجنس المدرس:

هل يعتقد طلاب الثانوية أن هناك علاقة بين تحسن المستوى الدراسي وجنس المدرس؟

1- علاقة المستوى الدراسي بجنس المدرس:

يتعلق هذا السؤال بمعرفة في ما إذا كان لجنس المدرس (ذكر أو أنثى) علاقة بتحسن المستوى الدراسي في المرحلة الأولى الابتدائية (الأولى والثانية والثالثة).

وتبين من تحليل النتائج أن 51.8٪ من طلاب الثانوية قالوا بأن المستوى الدراسي للتلاميذ يتحسن إذا درستهم مدرسات فقط، بينما قال 20.4٪ إن المستوى الدراسي يتحسن إذا درس الطلاب من طرف المدرسات والمدرسين معاً في حين أن 8.5٪ فقط قالوا بأن المستوى الدراسي يتحسن إذا درس الطلاب من طرف المدرسين فقط، بينما لم تتجاوز نسبة الذين لم يروا أية فروق بين الجنسين في هذا الموضوع 15.4٪.

وبحساب معامل كاي (دراسة الفروق بين مختلف الإجابات) وجد أن الفروق بين مختلف الإجابات ذات دلالة إحصائية.

ولم تلاحظ أية فروق ذات دلالة إحصائية بين الطلاب حسب سنواتهم الدراسية؛ أي أن هناك اتفاقاً بين الطلاب حول هذا الاتجاه بغض النظر عن السنة الدراسية التي ينتمون إليها في الثانوية.

وتدل هذه النتيجة على ربط التحصيل الدراسي بجنس المدرس، حيث ربطت الأغلبية بين المدرسات وتحسن المستوى الدراسي للتلاميذ في السنوات الثلاث الابتدائية الأولى.

وتدعم هذه النتيجة الإجابة المحصل عليها في السؤال السادس، والتي كانت على الشكل التالي:

«هل تعتقد أن مستواك الدراسي يكون في المرحلة الابتدائية أحسن لو درّسك في السنتين الأولى والثانية الابتدائية مدرسون فقط بدلاً من مدرّسات ؟».

أجاب 83.2٪ بالنفي عن هذا السؤال، مما يدل على أن أغلبية الطلاب يرون أن مستواهم الدراسي لن يكون أحسن لو درسهم مدرسون فقط في هذه المرحلة، علماً بأن هؤلاء الطلاب قد درستهم مدرسات فقط في هاتين السنتين (الأولى والثانية).

وبحساب معامل كاي لهذه الإجابة (دراسة الفروق بين مختلف الإجابات) وجد أن الفروق بين الإجابة بالنفي والإثبات ذات دلالة إحصائية.

وبإجراء تحليل التباين، لم تلاحظ أية فروق ذات دلالة إحصائية بين الطلاب حسب سنواتهم الدراسية؛ أي أن هناك اتفاقاً بين الطلاب حول هذا الاتجاه بغض النظر عن

سنتهم الدراسية الحالية في الثانوية.

ولكن، هل هناك علاقة بين تحسن سلوك الطلاب وجنس المدرس؟

2- علاقة سلوك الطلاب بجنس المدرس:

ربطت أغلبية الطلاب وبنسبة 40.1٪ بين تحسن سلوك الطلاب في المرحلة الابتدائية الأولى، وتدريسهم من طرف المدرسات فقط، بينما ربط بين تحسن سلوك الطلاب وتدريسهم من طرف المدرسين فقط 25.5٪. أما الذين ربطوا بين تحسن سلوك الطلاب وتدريسهم من طرف المدرسين والمدرسات معاً فنسبتهم 21.2٪ في حين لم تتجاوز نسبة الذين لم يروا فرقاً بين الجنسين في هذا الموضوع 8٪.

وبحساب معامل كاي وجد أن الفروق بين مختلف الإجابات ذات دلالة إحصائية.

ولم تلاحظ أية فروق ذات دلالة إحصائية بين الطلاب حسب سنواتهم الدراسية؛ أي أن هناك اتفاقاً بين الطلاب حول هذا الاتجاه بغض النظر عن السنة الدراسية في الثانوية.

وتدل هذه النتيجة على ربط تحسن سلوك الطلاب بتدريس المدرسات لهم في السنوات الابتدائية (الأولى، الثانية والثالثة). وتدعم هذه النتيجة الاتجاه المذكور أعلاه المتمثل في ربط تحسن المستوى الدراسي للطلاب بتدريس المدرسات لهم في هذه المرحلة.

ومما يدعم هذه النتيجة نفسها الإجابة المحصل عليها عن السؤال السابع في الاستبانة والمتمثلة في: "هل تعتقد أن سلوكك يكون في المرحلة الابتدائية أحسن لو درسك في السنتين الأولى والثانية الابتدائية مدرسون فقط بدلاً من مدرسات ؟".

لقد أجاب عن هذا السؤال بالنفي 73.3٪ من الطلاب أما الذين أجابوا بالإيجاب فلم تتعد نسبتهم 27٪، مما يدل على أن أغلبية الطلاب يرون أن سلوكهم لن يكون أحسن لو درسهم مدرسون فقط في هذه المرحلة، علماً بأن هؤلاء الطلاب درستهم مدرسات فقط في هاتين السنتين (الأولى والثانية).

وبحساب معامل كاي لهذا الإجابة (دراسة الفروق بين مختلف الإجابات) وجد أن الفروق بين الإجابة بالنفي والإثبات ذات دلالة إحصائية.

وبإجراء تحليل التباين، لم تلاحظ أية فروق ذات دلالة إحصائية بين الطلاب حسب سنواتهم الدراسية؛ أي أن هناك اتفاقاً بين الطلاب حول هذا الاتجاه بغض النظر عن سنتهم الدراسية الحالية في الثانوية.

مقارنة بين درجات طلاب الثانوية

لدراسة احتمال وجود فروق جوهرية بين الطلاب الذين درسوا حسب نظام مدرسة سين من السنة الأولى الابتدائية إلى مرحلة التعليم الثانوي (الفوج رقم واحد) والطلاب الذين التحقوا بمدارس الجامعة بعد السنة الثالثة الابتدائية (فوج رقم اثنان)، قمنا بالحصول على درجات طلاب كل من الفوجين في مادتي العلوم والرياضيات للصفين الأول ثانوي والثاني ثانوي قمت بدراسة الفروق بين كل من الفوجين في الرياضيات والعلوم بتطبيق اختبار (ت) للعينات المستقلة (Independent Samples T-Test)، وتبين من كل المقارنات أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين درجات الطلاب في كلا الفوجين، وفي كلتا المادتين. وحتى إذا جمعنا كل الدرجات في هاتين المادتين في الصفين الأول والثاني ثانوي لن نجد أية فروق ذات دلالة إحصائية بين الفوجين في المادتين.

وتدل هذه النتيجة أن هناك عوامل عديدة تؤثر في العملية التعليمية والتربوية بغض النظر عن جنس المدرس. وهذا ما أكدت عليه مختلف الدراسات السابقة التي تمت الإشارة إليها أعلاه.

وللتأكد من صدق إجابات الطلاب عن الأسئلة السابقة، قمنا بتوزيع الاستبانة على عينة من طلاب الثانوية مرة أخرى، وبصفة غير قصدية، ولكنها ليست عشوائية تماماً، حيث طلبت من مدير الثانوية دعوة الطلاب لملء الاستبانة مرة ثانية بغض النظر عن مشاركتهم في المرة الأولى من عدمها، وبغض النظر عن كونهم قد درسوا في مدارس الجامعة منذ الصفوف الابتدائية الأولى أو لا. ولكن عدد الطلاب الذين شاركوا في ملء الاستبانة في المرة الثانية كان أقل من العدد المشاركين في المرة الأولى لأسباب تنظيمية خارجة عن نطاق الباحث.

ورغم ذلك، فإن النتائج المحصل عليها في المرة الثانية تدعم إلى حد كبير النتائج المحصل عليها في المرة الأولى، وإن كان ذلك بنسب متفاوتة. وبالإضافة إلى دراسة الاتجاهات نحو جنس المدرس، فقد أضفت للاستبانة في المرة الثانية أسئلة تتعلق بإبداء الرأي أو تعليل الإجابات المتعلقة بتفضيل جنس المدرس في كل صف من الصفوف موضوع البحث.

وفي ما يلي عرض للنتائج المحصل عليها، بالإضافة إلى التعليلات التي قدمها الطلاب لتفضيلهم لجنس المدرس في مختلف صفوف المرحلة الابتدائية الأولى.

إعادة البحث الميداني على طلاب الثانوية:

وزعت الاستبانة السابقة نفسها على عينة ثانية من طلاب الثانوية في مدرسة (س) (71 طالبا) حيث إن معظم الطلاب درسوا السنوات الابتدائية الثلاث الأولى من قبل مدرسين فقط، إلا أن هذه الاستبانة تضمنت سؤالا إضافيا خاصا بتفضيل جنس المدرس في الصف الرابع الابتدائي، كما تضمن أسئلة عن عوامل (تعليلات) تفضيل جنس المدرس في مختلف صفوف المرحلة الابتدائية. ويلاحظ أن هذه العينة (الثانية) مكونة من 46 طالبا كانوا قد شاركوا في المسح الأول، بالإضافة إلى 25 طالبا لم يشاركوا في المرة الأولى.

وفي ما يلي تحليل لإجابات الطلاب عن الأسئلة المطروحة عليهم:

1- تفضيل المدرس أو المدرسة في السنة الأولى الابتدائية:

أجاب 81.9٪ من طلاب هذه العينة أنهم يفضلون تدريسهم من طرف مدرسات فقط، أما الذين اختاروا المدرسين فقط فلم تتجاوز نسبتهم 15.3٪، في حين أن الطلاب الذين اختاروا المدرسين والمدرسات معا فنسبتهم 2.8٪ فقط.

ويتأكد الاتجاه نفسه نحو "تفضيل المدرسة في الصف الثاني الابتدائي" إذ أن 70.8٪ من الطلاب فضلوا المدرسات عن المدرسين، بينما لم يفضل المدرسين عن المدرسات إلا نسبة 18.1٪، أما الذين فضلوا تدريسهم من طرف الجنسين معا في هذا الصف فلم تتجاوز نسبتهم 11.1٪.

وتدل هذه النتيجة على تأكيد صدق النتيجة السابقة المتمثلة في تفضيل الطلاب للمدرسات عن المدرسين في الصفين الأول والثاني الابتدائيين (الصدق المتعامد cross-validation). ويعزز هذه النتيجة معامل ثبات كرونباخ الذي أجري على العينة الثانية، حيث كان معامل الثبات هو: 77.٪؛ وهو معامل ذو دلالة إحصائية.

ويختلف الوضع بالنسبة للصف الثالث الابتدائي، حيث فضلت أغلبية الطلاب، وبنسبة 40.3٪ تدريسهم من طرف المدرسين والمدرسات معا. ويلي هذه النتيجة في الترتيب تفضيل المدرسين عن المدرسات بنسبة 33.3٪ في حين لم يفضل المدرسات عن المدرسين في هذا الصف إلا نسبة 23.6٪.

ويلاحظ تباين نتيجة هذه العينة عن نتيجة العينة السابقة من حيث تفضيل جنس المدرس؛ ففي حين فضل أغلب طلاب العينة السابقة تدرسيهم من طرف المدرسين في الصف الثالث الابتدائي، فضل أغلب طلاب هذه العينة (الثانية) تفضيل تدريسهم من طرف المدرسين والمدرسات معا مما يدل على عدم ثبات النتيجة. وقد يرجع ذلك إلى اختلاف تركيبة العينة.

ومهما يكن، فهناك اتفاق عند العينتين (الأولى والثانية) على عدم تدريسهم من طرف المدرسات فقط في هذا الصف (الثالث الابتدائي)؛ وتختلف هذه النتيجة جذريا عن النتيجة السابقة التي فضل فيها أغلب الطلاب، وبفروق كبيرة، تدريسهم من طرف المدرسات بدلا من المدرسين.

ولعل ما يدعم هذه الاتجاه أيضا هو اتفاق أغلب طلاب العينة الثانية، وبنسبة 76٪ على تدريسهم من طرف المدرسين فقط بدلا من المدرسات، بينما تفضيل المدرسين والمدرسات معا لم يتجاوز نسبة 10٪، أما الذي فضلوا تدريسهم من طرف المدرسات فقط في هذا الصف فلم تتعد نسبتهم 7٪.

وإلى جانب هذه النتائج، فإنه لم تلاحظ أية فروق بين نتائج العينة الأولى والعينة الثانية في ما يخص بقية القضايا الأخرى المذكورة أعلاه، والمتمثلة في تأثر التحصيل الدراسي للطلاب وسلوكهم في الصفين الأول والثاني من المرحلة الابتدائية في حالة تدريسهم من طرف المدرسات فقط، بل فضل الطلاب، وبالأغلبية المطلقة، المدرسات على المدرسين في هاتين السنتين، ورأوا أن سلوكهم وتحصيلهم الدراسي يكون أفضل إذا درستهم مدرسات في هاتين السنتين (الأولى والثانية). ولعل هذه النتيجة تدعم الموقف الذي يدعو إلى الإبقاء على الوضع الحالي في التدريس في مدرسة سين.

ويلاحظ من تحليل الأسئلة المفتوحة الخاصة بعوامل تفضيل، أو عدم تفضيل، المدرسين أو المدرسات في صفوف المرحلة الابتدائية الأولى (الصفوف: الأولى، الثانية، الثالثة والرابعة ابتدائية) أن هناك عوامل متفقا عليها لتفضيل المدرسات عن المدرسين في الصفين الأول والثاني الابتدائي، وتتمحور كلها حول حاجة الطفل في هذه المرحلة للحنان والرعاية والمعاملة الطيبة والتواصل الجيد، وما يرتبط بذلك من أنواع السلوك التي تقدمها المدرسات أحسن من المدرسين. ويلاحظ أن هناك اتفاقا في الآراء على حاجة الطفل إلى الحنان والرعاية والمعاملة الطيبة في المرحلة الابتدائية الأولى، وأن الحنان مرتبط بدور الأمهات، وبدور المدرسات اللاتي يقمن مقامهن في المدرسة.

ولكن، هل تؤدي كل المدرسات هذا الدور على ما يرام، أم أن الأمر يحتاج إلى الإعداد والتدريب بالنسبة لكل المدرسات بغض النظر عن كونهن أمهات أم لا، خاصة إذا عرفنا أن العزوبة بدأت تنتشر في كل المجتمعات، مما يؤخر سن الزواج والأمومة عند المدرسات أيضا؟

أما التعليلات التي قدمها الطلاب والمتعلقة بتفضيل المدرسين عن المدرسات في الصف الثالث الابتدائي، فتتمحور حول اكتساب الطالب لصفات ولدور الرجولة، وإعداده للمراحل

التالية من التعليم التي يسيطر عليها الرجال في مدارس المملكة. ويلاحظ أن تقليد الطفل للمدرس قد ورد كأحد الاختيارات في التفضيل، مما يستدعى حقاً الاهتمام بدور المدرس، وضرورة إعداده علمياً وسلوكياً ليصبح نموذجاً يقتدى به عملياً في السلوك.

2- تفضيل جنس المدرس في الصف الثالث الابتدائي:

سئل الطلاب عن أسباب تفضيلهم لأحد الجنسين لتدريسهم في الصف الثالث الابتدائي؛ فكانت تعليلاتهم قائمة على عدة عوامل تتمحور حول حنان المدرسات وعطفهن على الطفل وسهولة التواصل معهن وشرحهن الجيد.

أما الطلاب الذي فضلوا تدريسهم من طرف المدرسين فقط، فقد كانت لهم تعليلات مختلفة، وتتمحور حول اكتساب الرجولة، الاعتياد على المدرسين، والمستوى الأخلاقي.

أما الطلاب الذين اختاروا المدرسين والمدرسات معاً، فقد ركزوا بدورهم على الجمع بين 'الاعتياد على التعامل مع الرجال' و 'التدرج في الانتقال إلى عالم الرجال' و المعاملة الجيدة من طرف المدرسات.

3- تفضيل جنس المدرس في الصف الرابع الابتدائي:

أضفت هذا السؤال في المرة الثانية للتأكد من جدية موقف الطلاب، ومن التأكد أن تفضيل أغلبيتهم للمدرسات في الصف الثالث الابتدائي لا يقوم على نزوة معينة، كما ألمح إلى ذلك بعض المدرسين في مقابلات خاصة بالمدرسين. ويلاحظ أن هناك تغيراً جذرياً في الموقف، حيث فضل أغلبية الطلاب المدرسين عن المدرسات لتدريسهم في الصف الرابع، كما أوردوا حججاً منطقية لتفضيلهم هذا. أما حجج الذين فضلوا المدرسات فقط لم تتكرر إلا مرة واحدة، وتتمحور حول الحنان والتواصل والقدرة على التربية.

وبعكس التعليلات الواردة أعلاه، فإن الطلاب الذين فضلوا المدرسين في هذا الصف قد أوردوا مرة أكبر (15 مرة) لعامل نضج الطالب من الناحية الجسمية "لأن الطالب قد كبر"، و"لكي يتحسن التفاهم بين المدرسين والطلاب في المراحل القادمة" و "لكي يعتاد الطالب على التعامل بأسلوب الرجال".

وبناءً على هذه التعليلات التي تكررت بكثرة؛ فقد نطمئن إلى أن تفضيل الطلاب للمدرسات عن المدرسين في الصف الثالث الابتدائي لا يقوم على اعتبارات ذاتية بحتة، أو نزوة معينة، بل يقوم على إيراد عوامل ترتبط بالسلوك والتحصيل الدراسي عند المدرسات مقارنة بالمدرسين.

ويلاحظ أيضاً أن عدد الطلاب الذين ارتأوا الجمع بين المدرسات والمدرسين في الصف الرابع الابتدائي قليل، وأن التعليلات التي أوردوها قليلة أيضاً، وتتعلق بضرورة

التغيير، لأن المرحلة مرحلة "نضج"، ولكي يتهيأ الطفل للمراحل التالية، ويعتاد على المدرسين وأسلوبهم.

اتجاهات الآباء والأمهات

- العينة:

تم تحديد عدد الآباء والأمهات (أولياء الطلاب) الذين ينبغي الاتصال بهم بمئة شخص (50 أباً و50 أماً)؛ وذلك باعتماد الأرقام الفردية أحياناً، والزوجية أحياناً أخرى، بقوائم طلاب المرحلة الابتدائية في مدارس الجامعة. وقد تم فعلاً الاتصال بمئة من أولياء الطلاب في شهر نيسان /أبريل 2005.

تمت عملية الاتصال بأولياء الطلاب عن طريق الهاتف من طرف أستاذ للاتصال بالآباء، وأستاذة للاتصال بالأمهات.

- الخائص الديموغرافية للعينة:

تشكلت العينة كما ذكرت من خمسين أباً وخمسين أماً. كل الآباء يشتغلون، أما الأمهات فإن حوالي 38٪ يشتغلن، أما البقية فلا يشتغلن خارج المنزل (ربات بيوت). ولكل هؤلاء الأولياء أبناء يدرسون في المرحلة الابتدائية في مدرسة (سين)، ويتوزعون على جميع الصفوف، أي من الصف الأول ابتدائي، إلى الصف السادس ابتدائي بنسب متفاوتة تتروح بين 9٪ و 25٪.

- النتائج:

1- بيّن تحليل النتائج أن أغلبية الآباء والأمهات، وبنسبة 96٪ يفضلون المدرسات على المدرسين لتدريس أبنائهم في الصف الأول الابتدائي، بينما فضلت نسبة 2٪ فقط من أولياء الطلاب المدرسين على المدرسات، بينما رأت نسبة 2٪ منهم أنه لافرق بين الجنسين.

2- فضلت أغلبية الآباء والأمهات، وبنسبة 54٪ الجمع بين المدرسين والمدرسات في عملية تدريس أبنائهم في الصف الثالث الابتدائي، أي حسب ما هو قائم حالياً في المدرسة (س). أما الذين فضلوا المدرسات عن المدرسين فبلغت نسبتهم 37٪، بينما لم تتجاوز نسبة الذين فضلوا المدرسين عن المدرسات لتدريس البنين في هذا الصف 6٪، في حين رأت نسبة 3٪ منهم أنه لا يوجد فرق بين الجنسين.

وهكذا نلاحظ أن الكفة تميل إلى الإبقاء على الوضع الحالي، أي تدريس البنين الصغار في هذا الصف من طرف المدرسات فقط.

3- فضل أغلب الآباء والأمهات المدرسين عن المدرسات، وبنسبة 67٪ مقابل 28٪ لتدريس أبنائهم في الصف الرابع الابتدائي. أما الذين لم يروا فرقاً بين الجنسين (المدرسين والمدرسات) فلم تتجاوز نسبتهم 5٪.

4- سئل أولياء الطلاب فيما إذا كانوا يعتقدون أن أبناءهم يستفيدون علمياً بطريقة أحسن في الصفوف الإبتدائية الأولى إذا درسهم مدرسون أو مدرسات، أو أنه لافرق؛ فبيّن تحليل النتائج أن 77٪ فضلوا المدرسات عن المدرسين. أما الذين قالوا إنه لافرق فنسبتهم 23٪ فقط.

5- سئل أولياء الطلاب فيما إذا كانوا يعتقدون أن أبناءهم يستفيدون سلوكياً وأخلاقياً بطريقة أحسن في الصفوف الابتدائية الأولى إذا درّسهم مدرسون أو مدرسات، أو أنه لافرق؛ فبيّن تحليل النتائج أن 64٪ فضلوا المدرسات عن المدرسين، في حين أن نسبة الذين لم يروا فرقاً بين الجنسين فنسبتهم 33٪، أما الذين فضلوا المدرسين عن المدرسات فنسبتهم لم تتجاوز 3٪.

ونلاحظ أن نسبة الذين فضلوا المدرسات عن المدرسين في الجانب السلوكي قد انخفض مقارنة بجانب التحصيل الدراسي.

6- يلاحظ أن مواقف واتجاهات أولياء الطلاب منسجمة بالنسبة للآباء والأمهات، حيث لم توجد فروق جوهرية بين إجابات الآباء والأمهات في كل إجاباتهم المذكورة أعلاه، وحيث لم يبيّن تحليل التباين أي فروق ذات دلالة إحصائية بين إجابات الآباء والأمهات.

7- يلاحظ أيضاً أن إجابات أولياء الطلاب لم تختلف جوهريا باختلاف اشتغال المرأة خارج المنزل من عدم اشتغالها خارجه (تحليل التباين).

8- طلب من أولياء الطلاب إيراد عوامل أو أسباب تفضيل المدرسات أو المدرسين بالنسبة لكل صف من الصفوف التي شملها الاستبيان؛ فكانت إجاباتهم كما يلي:

تعليلات أولياء الطلاب لإجاباتهم

1- تفضيل جنس المدرس في الصف الأول الابتدائي:

لمعرفة جنس المدرس الذي يفضله أولياء الطلاب لتدريس البنين الصغار في الصف الأول الابتدائي، سئل الأولياء في ما إذا كانوا يفضلون تدريس أبنائهم الذكور من طرف: مدرسين، مدرسات أو أنه لا فرق، كما طلب منهم تقديم أسباب لاختيارهم، وكذلك الأمر بالنسب لاختياراتهم الأخرى في مختلف الصفوف.

ويلاحظ من النتائج أن أكثر العوامل مرة في حالة تفضيل المدرسات عن المدرسين في هذا الصف هي: حاجة الطفل للحنان (31) مرة، صبر المدرسة وتحملها للطفل (26) مرة، شخصية الأمومة عند المدرسات (18) مرة، المدرسات أكثر حرصاً وإخلاصاً من المدرسين (13) مرة، وجودة التواصل بين المدرسات وأولياء الطلاب (11) مرة.

وعليه، فإن هناك شبه إجماع على تفضيل أولياء الطلاب للمدرسات عن المدرسين لتدريس البنين الصغار في الصف الأول الابتدائي لعوامل جوهرية تتميز بها المدرسات عن المدرسين. أما الذين اختاروا المدرسين لتدريس البنين الصغار في هذا الصف فلم يوردوا إلا ثلاثة عوامل لم يتكرر كل منها إلا مرة واحدة، وتتمثل في أن المدرس يكون أقرب من الأولاد الذكور، وأنه أقدر على تفهم الأولاد، وأنه لا يهتم بدقائق الأمور مثلما تفعل المدرسات.

أما أولياء الطلاب الذين لم يروا فرقاً بين الجنسين، فلم يوردوا إلا عاملين يمكن جمعهما في عامل واحد يتمثل في أهمية تكوين المعلم بدلاً من جنسه.

مقارنة التحصيل الدراسي بين ثلاث مدارس

الهدف من هذه المقارنة محاولة معرفة في ما إذا كان تدريس الطلاب في هذه المرحلة من طرف المدرسات فقط -كما هو الشأن في مدرسة سين- أو من طرف المدرسين فقط - كما هو الوضع في معظم المدارس في المملكة العربية السعودية- قد يؤدي إلى فروق في التحصيل الدراسي.

ورغم إدراك الباحث لتدخل متغيرات كثيرة في موضوع التحصيل الدراسي إلى جانب جنس المدرس، فقد افترض أن باقي المتغيرات الخارجية قد تكون موزعة بطريقة طبيعية أو شبه طبيعية؛ إذ أن الطلاب في هذه المنطقة (الظهران والخبر) ينتمون لمنطقة واحدة يفترض أن الوضع الاقتصادي والمستوى التعليمي لأولياء الطلاب موزع توزيعا شبه طبيعي.

وعليه، فقد اختار الباحث للمقارنة ثلاث مدارس متقاربة جغرافياً، وهي بالإضافة إلى مدرسة سين (س): مدرسة ألف (أ) ومدرسة باء (ب) علماً بأن مدرستي "س" و"أ" مفتوحتان لجميع أطفال المنطقة، بما في ذلك أبناء الموفدين باعتبارهما مدرستين خاصتين. وقد تم اختيار هذه المدارس بطريقة قصدية على أساس أن اثنتين منهما: مدرسة "س"، ومدرسة "أ" مدرستان خاصتان، ومدرسة "ب" حكومية، وعلى أساس سهولة إجراء الدراسة بها.

تم الاتصال بمديري هذه المدارس، وحصلت الموافقة على إجراء دراسة مقارنة في

التحصيل الدراسي عند طلاب الصف الثاني الابتدائي في المدارس الثلاث.

- عينة البحث: نظراً لوجود أكثر من فوج في هذا الصف (أ، ب، ج، د) في مختلف المدارس المذكورة، تم اختيار الفوج (ب) بطريقة عشوائية في المدارس الثلاث.

جدول رقم 1 يبين عدد الطلاب في كل فوج بالمدارس الثلاث:

اسم المدرسة	عدد الطلاب بالصف ب
مدرسة (س)	20
مدرسة (أ)	19
مدرسة (ب)	20
المجموع	59

يلاحظ أن عدد الطلاب بهذه الصفوف متساوٍ تقريباً في كل المدارس، وقد حصل هذا بمحض الصدفة. وبالتالي، فإن تأثير هذا المتغير (عدد الطلاب بالصف قد استبعد أو ثبت بشكل تلقائي).

أجريت الاختبارات في الأسبوعين الثاني والثالث من شهر أيار/ مايو 2005، وذلك بحضور مدرسي الطلاب في هذه الصفوف، إلى جانب المختبرين الذين وزعوا أسئلة قياس المهارات الثلاث المذكور أدناه، وشرحوا المطلوب من الأسئلة عند الحاجة.

- **أسئلة الاختبارات:**

اختار الباحث أن يجري المقارنة بين تحصيل الطلاب في المدارس الثلاث في ثلاث مواد رئيسية، وهي: الرياضيات والعلوم والفقه والسلوك، حيث طلب من المدارس الثلاث إرسال عينات من الأسئلة الخاصة بقياس مهارات التحصيل الدراسي في الفصل الأول من هذا الصف (الثاني الابتدائي). أرسلت مدرستا "س" و "أ" عينات من الأسئلة المستعملة لقياس مهارات التحصيل عند الطلاب في المواد المذكورة. ولكن مدرسة "ب" لم ترسل عينات.

تم اختيار عينة من المهارات في المواد الثلاث المذكورة، والتي من المفروض أن طلاب الصف الثاني ابتدائي في المدارس الثلاث قد اختبروا فيها أثناء الفصل الماضي (الأول). وقد تم التأكد من طرف الباحث بأن هذه الأسئلة متضمنة في الكتب المدرسية الخاصة في الصف الثاني الابتدائي، والمعتمدة رسمياً من وزارة التعليم.

نتائج دراسة قياس المهارات:

1- قياس مهارات الرياضيات:

يتشكل اختبار قياس مهارات الرياضيات من 57 سؤالاً كما هو موضح في الملحق. وقد أعطيت لكل إجابة صحيحة نقطة واحدة، ثم حسبت المتوسطات لكل الصفوف بالمدارس الثلاث، وتمت مقارنة المتوسطات باستعمال تحليل التباين، كما هو موضح أدناه.

وقد تبين من تحليل التباين واستعمال تقنية "شفيه" تفوق طلاب مدرسة (س) عن بقية الطلاب الآخرين في كل من مدارس أ ومدرسة ب. وبينما كان الفرق بين متوسط طلاب مدرسة (س) وطلاب مدارس (أ) غير دال من الناحية الإحصائية، فإن الفرق بين متوسطي طلاب مدرسة (س) ومدرسة (ب) دال إحصائياً عند 0.004. أما الفرق بين مدرسة (أ) ومدرسة (ب) فلم يكن ذا دلالة إحصائية؛ وإن كان الفرق لصالح (أ) كما هو موضح في الجدول أدناه.

جدول رقم 2: يبين متوسطات اختبار الرياضيات في المدارس الثلاث.

اسم المدرسة	متوسط الدرجات	الانحراف المعياري
س	52.05	8.19
أ	44.63	11.72
ب	40.70	10.50

وعليه، فالترتيب في الرياضيات كان على النحو التالي:

1- مدرسة (س).

2- مدرسة (أ).

3- مدرسة (ب).

وفي مايلي تحليل التباين لتبيان الفروق بين متوسطات الطلاب في الرياضيات في المدارس الثلاث:

جدول رقم 3 يبين الفروق بين متوسطات اختبار الرياضيات في المدارس الثلاث.

	مجموع المربعات	درجة الحرية	مربع المتوسطات	ف	الدلالة
بين الجماعات	1327.37	2	663.68	6.35	0.003
داخل الجماعات	5845.57	56	104.38		
المجموع	7172.94	58			

2- قياس مهارات العلوم:

تشكل اختبار مهارات العلوم من ثمانية أسئلة. وقد كان هناك تغيير طفيف في عدد الطلاب المشاركين في هذا الاختبار، حيث كان على الشكل التالي:

- مدرسة (س): 21 طالباً.
- مدرسة (أ): 18 طالباً.
- مدرسة (ب): 21 طالباً.

وكان الأداء في هذا الاختبار أيضاً لصالح طلاب مدرسة (س) يليهم طلاب مدرسة (أ) ثم طلاب مدرسة (ب)؛ وذلك كما تبينه الفروق بين المتوسطات التي حصل عليها الطلاب في المدارس الثلاث في الجدول أدناه:

جدول رقم 4 يبين متوسطات اختبار العلوم في المدارس الثلاث

المدرسة	متوسط الدرجات	الانحراف المعيارى
س	16.33	5.95
أ	9.56	2.54
ب	6.71	3.40

وتبين من تحليل التباين أن الفروق بين متوسطات الطلاب في المدارس الثلاث ذات دلالة إحصائية عند 0.003.

وبتطبيق تقنية (شفيه) تبين أن الفرق بين متوسط طلاب مدرسة (س) ومتوسط طلاب مدرسة (ب) ذو دلالة إحصائية عند 0.004.

أما الفرق بين متوسطي طلاب مدرسة (س) ومدرسة (أ) فليس ذا دلالة إحصائية، وإن كان الفرق لصالح طلاب مدرسة (س). وعليه، فإن الترتيب في مهارات العلوم هو نفسه الترتيب في مادة الرياضيات، كما هو مبين أعلاه. ويشار هنا إلى أن مجموع الدرجات في مادة العلوم يختلف عنه في مادة الرياضيات؛ ويعود ذلك إلى اختلاف عدد الأسئلة في العلوم، وكذلك الأمر في مادة الفقه والسلوك، كما هو موضح أدناه.

3- قياس مهارات الفقه والسلوك:

لم يختلف عدد الطلاب الذين شاركوا في اختبار الفقه والسلوك عن العدد الذي شارك في اختبار العلوم؛ ذلك لأن اختباري العلوم والفقه والسلوك تمّا في اليوم نفسه، حيث أعطي اختبار العلوم أولاً، ثم أعطي اختبار الفقه والسلوك بعد استراحة قصيرة

للطلاب بين الاختبارين.

وتبين من دراسة الدرجات التي حصل عليها الطلاب في مادة الفقه والسلوك تفوق طلاب مدرسة (س) أيضاً عن بقية الطلاب في المدرستين الأخريين، ولكن باختلاف عن الترتيب المذكور أعلاه في مادتي الرياضيات والعلوم، حيث حصلت مدرسة (ب) على الترتيب الثاني في هذه المادة باختلاف طفيف عن مدرسة (أ)، ولم يكن هذا الفرق ذا دلالة إحصائية. وفي ما يلي المتوسطات التي حصل عليها الطلاب في المدارس الثلاث في مادة الفقه والسلوك:

وقد تبين من تحليل التباين أن الفروق بين متوسط مدرسة (س) ومتوسطي مدرستي (أ) و(ب)في هذه المادة ذات دلالة إحصائية، مما يبين بوضوح تفوق طلاب مدرسة (س) عن طلاب المدرستين الأخريين في مادة الفقه والسلوك، ويتجلى ذلك من دلالة الفروق في تحليل التباين، حيث كانت الفروق دالة عند 0.001.

النتيجة العامة من المقارنة:

رغم النقائص التي قد تسجل في هذا الاختبار من حيث ضبط المتغيرات الخارجية التي تؤثر في أداء الطلاب في المدارس الثلاث، ورغم صغر العينة الإجمالية، حيث تم استعمال صف واحد فقط ليمثل المدارس الثلاث؛ فإن تفوق طلاب مدرسة (س) عن طلاب المدرستين الأخريين في المواد الثلاث التي كانت موضوع القياس قد يقوي صدق النتائج المحصل عليها، خاصة إذا علمنا أن اختيار الصف (ب) في المدارس الثلاث تم بطريقة عشوائية، ويقوي هذا أيضاً أن المهارات التي تم قياسها تندرج ضمن المنهاج الوزاري المقرر لهذا الصف. وقد تم التأكد من ذلك بالرجوع إلى الكتب المدرسية المقررة لهذه المواد في الصف الثاني الابتدائي (مقرر الفصل الأول من العام الدراسي). ومما يقوي هذه النتيجة أيضا هو أن عدد الطلاب في الصف المختار بالطريقة العشوائية متقارب، بل شبه متساوٍ في المدارس الثلاث. وقد يتحفظ على النتيجة بالقول إن أغلب طلاب مدرسة (س) هم أبناء أساتذة جامعيين وأن البيئة الأسرية والمستوى التعليمي للوالدين قد يؤدي دوراً مهماً في هذه الفروق. ولكن بعض أبناء الأساتذة والدكاترة والأغنياء يدرسون أيضاً في مدرسة(أ).

وعليه، إذا افترضنا أن كل المتغيرات الأخرى قد توزعت بصفة طبيعية؛ فإنه يلاحظ تفوق كبير لطلاب مدرسة (س) في المواد الثلاث. ولاشك، أن هذا التفوق قد يرجع إلى عدة عوامل من أهمها: حرص المدرسة على المستوى الجيد، حرص الإدارة على المستوى

الجيد ودور الآباء في المتابعة والتحصيل.

ونظراً لأهمية هذه النتائج، فإنه يوصى بإجراء بحوث ميدانية في هذا الجانب للمقارنة بين أداء الطلاب في مختلف المدارس والمواد، مع ضبط مختلف المتغيرات الأسرية والبيئية والتنظيمية (مدارس خاصة وحكومية) التي قد تؤثر في أداء الطلاب.

النتائج العامة للبحث:

1- يلاحظ شبه إجماع من طرف أولياء الطلاب والمدرسات والمدرسين أنفسهم وطلاب الثانوية على ضرورة تدريس البنين الصغار في الصفين الأول والثاني الابتدائيين من طرف المدرسات فقط، وتفضيلهن أيضاً على المدرسين.

2- ليس هناك إجماع من الأطراف المشاركة في البحث على تفضيل المدرسين أو المدرسات لتدريس البنين الصغار في الصف الثالث الابتدائي من طرف المدرسين أو المدرسات فقط. ولكن هناك ميلاً لتفضيل المدرسات عن المدرسين لتدريس البنين في هذا الصف؛ وذلك بمقارنة عدد الذين فضلوا المدرسات عن المدرسين.

3- تفوق طلاب الصف الثاني الابتدائي في مدرسة (س) على طلاب مدرستي (أ) و (ب) أنفسهم في المواد الثلاث التالية: الرياضيات والعلوم والفقه والسلوك، رغم تدريس طلاب مدارس الجامعة من المدرسات فقط، وتدريس طلاب المدرستين الأخريين من المدرسين فقط.

4- لا يفضل أغلب طلاب الثانوية في مدرسة (س)، والذين درسوا حسب نظام مدرسة (س) منذ الصف الأول الابتدائي أن تدرسهم مدرسات فقط في الصف الثالث الابتدائي، بل يفضلون تدريسهم من طرف مدرسين فقط، أو من طرف الجنسين معاً.

5- يفضل أغلب طلاب الثانوية الذين درسوا حسب نظام مدرسة (س) أن يدرسهم مدرسون فقط في الصف الرابع الابتدائي.

6- يفضل أغلبية أولياء الطلاب الذين شاركوا في البحث الإبقاء على الوضع الحالي في تدريس البنين الصغار في الصف الثالث الابتدائي؛ أي تدريسهم من طرف المدرسين والمدرسات معاً.

7- عند مقارنة اتجاه أولياء الطلاب بين تفضيل المدرسين أو المدرسات لتدريس البنين الصغار في الصف الثالث الابتدائي نلاحظ أنهم يميلون إلى المدرسات أكثر مما يميلون للمدرسين، رغم أن الأغلبية تميل إلى الإبقاء على الوضع الحالي كما أشير إليه أعلاه.

8- أهم العوامل التي تجعل الطلاب يفضلون المدرسات عن المدرسين هي: الحنان والرعاية والاهتمام والعلاقة الجيدة والشرح الجيد.

9- أهم العوامل السلبية التي ينبغي للمدرسات تجنبها هي: الحماية المفرطة (الدلع والتدليل).

10-أهم العوامل التي تجعل الطلاب يفضلون المدرسين عن المدرسات هي: الحزم والانضباط و'الرجولة'.

11-أهم العوامل التي ينبغي للمدرسين تجنبها هي: القسوة (لفظياً وعملياً) والعقاب الجماعي.

مناقشة النتائج:

إجابة عن السؤال المطروح في هذه الدراسة: 'هل من الأفضل تدريس البنين الصغار في الصف الثالث الابتدائي في مدرسة (س) من طرف المدرسين والمدرسات معاً، كما هو الوضع الحالي، أم تدريسهم من طرف المدرسين فقط، دون مشاركة المدرسات؟'.

ولعل مبعث هذا السؤال اهتمام مجلس إدارة مدرسة (س) وبعض الآباء بالتحصيل الدراسي والنمو النفسي-الاجتماعي لأولادهم، مقارنة بالأولاد الآخرين الذين يدرسهم مدرسون (ذكور) فقط في باقي المدارس الحكومية والأهلية في المنطقة الشرقية، بل وفي المملكة كلها ماعدا بعض الاستثناءات. وإذا قلنا بأن هذا الأسلوب المتبع في مدرسة (س) في المنطقة الشرقية مفيد في التحصيل الدراسي والنمو النفسي-الاجتماعي للطفل، فهل يمكن تعميمه على باقي مدارس المملكة لتقليص حجم البطالة في صفوف المدرسات من جهة، وإفادة الطلاب تحصيلياً وسلوكياً بطريقة أفضل؟

يلاحظ من إجابات المدرسين والمدرسات -عندما سئلوا في مقابلات خاصة عن عوامل تفضيلهم لتدريس البنين الصغار من طرف المدرسين، أو المدرسات فقط- عدم معرفتهم بالنمو المعرفي والجنسي عند الطفل، وخاصة عدم معرفة المرحلة التي تتم فيها عملية تقمص الأدوار الجنسية بالنسبة للطفل؛ وهذا ما جعل المدرسين والمدرسات معاً يخلطون في قضية اكتساب 'الرجولة' بالنسبة للبنين الصغار، وكأن هذه الأخيرة عملية بيولوجية بحتة، بينما تؤكد الدراسات السابقة أن التقمص الجنسي يتم قبل التحاق الأطفال حتى برياض الأطفال؛ أي أنه يتم أساساً في الوسط الأسري.

وعليه، فإن أغلب الأطفال الذكور يتخذون آباءهم قدوة في الأخلاق والسلوك، ويتقمصون دورهم من الناحية الجنسية (الرجولة) قبل الدخول المدرسي. وهذا لا يعني

بطبيعة الحال، إغفال دور المدرسين في تعليم الأخلاق الفاضلة وأخلاق 'الرجولة' للبنين في المدارس.

ويبدو من النتائج الكلية المحصل عليها من هذا البحث -حيث يلاحظ بعض التباين في الاتجاهات بين مختلف المشاركين- أن المهم في العملية التربوية ليس جنس المدرس، بل شخصية المدرس بغض النظر عن جنسه. وتتماشى هذه النتيجة مع ما أكدته دراسة ويلس و بوتري سنة 1989 والتي أشارت إلى أن الطلاب في المرحلة الابتدائية يتأثرون بالخصائص الكلية للمدرس بدلاً من جنسه (كونه ذكراً أو أنثى). وأوضحت هذه الدراسة نفسها -التي أجريت في الولايات المتحدة، كما أشير في مراجعة الدراسات السابقة- أن المدرسين الأكثر تأثيراً في تلاميذهم هم المدرسون الذين يتصفون بخصائص الدفء والاهتمام، بالإضافة إلى الحزم والسيطرة (Weeless & Potori, 1989).

ويعزز هذه النتيجة أيضاً ما توصل إليه جبسون في بحث جديد (2005) حيث بين أن المدرس، كفرد وكوحدة كلية، من أهم العوامل المرتبطة بتحصيل الطلاب؛ الشيء الذي يعني أن محاولة الربط بين خاصية واحدة محددة عند المدرس، مثل سنوات خبرته، أو شهاداته، وتحصيل الطلاب، لم تبين أية علاقة قوية باستثناء عامل الخبرة الذي يرتبط بالتحصيل الجيد للتلاميذ (Jepsen, 2005).

وعليه، فإن جنس المدرس، وإن كان من العوامل التي ينبغي عدم إهمالها، إلا أنه ليس العامل الحاسم في التحصيل الدراسي والسلوكي للطلاب، مما يقودنا إلى تأكيد أهمية ودور شخصية المدرس والمدرسة ككل، وتكوينهما علمياً ونفسياً وبيداغوجيا (طرق التدريس) مما يستدعي الاهتمام بتكوين المدرسين والمدرسات، وإعدادهم إعداداً جيداً للقيام بالرسالة التربوية المناطة بهم، وتدريبهم بصفة مستمرة على أسس علمية ووفق مقاييس عالمية في جودة الأداء والسلوك المهني.

وبالتالي، فإن التعليم، وخاصة في المرحلة الابتدائية، ينبغي أن يكون مفتوحاً للجنسين (المدرسين والمدرسات) من الصف الأول الابتدائي، دون تمييز، على أن يتقيد المدرسون والمدرسات بالآداب العامة والأخلاق الإسلامية، كما يُعوّد الطالب، ومنذ الصف الأول الابتدائي -إن لم يكن قبل ذلك في الحضانة مثلاً- على الأخلاق الفاضلة والآداب العامة، وخاصة احترام المدرسين والمدرسات، والنظر إليهم كآباء وأمهات. وبالطبع، لا يمكن أن يتحقق هذا دون اهتمام أولياء الطلاب بهذا الجانب، والاعتناء به؛ إذ أن احترام الأولياء للمدرسة والتعليم والمدرسين والمدرسات ينعكس على اتجاهات وسلوك الطلاب نحو مدرسيهم ومدرساتهم.

ويمكن التدرج في هذا المسعى بفتح صفوف المرحلة الابتدائية الأولى (الأول والثاني والثالث الابتدائي) في وجه المدرسين والمدرسات دون تمييز من ناحية الجنس، ثم الانتقال إلى الصفوف الأخرى إذا توفرت الشروط التربوية والأخلاقية والسلوكية والإدارية لذلك.

أما بعض حالات التعلق العاطفي، بل وحتى الجنسي لبعض المدرسين والمدرسات بطلابهم، أو بعض حالات تعلق الطلاب عاطفياً أو جنسياً بمدرسيهم ومدرساتهم، فلا ينبغي النظر إليها إلا باعتبارها حالات شاذة قد تقع في المدارس وخارجها، كما يمكن أن تقع بين الذكور فقط (طلاب ومدرسون)، كما قد تقع بين الإناث فقط (طالبات ومدرسات) أو بين الذكور والإناث (طلاب ومدرسات، مدرسات وذكور). وينبغي في كل الأحوال الاهتمام بهذه الظاهرة دون إنكارها تماماً، أو التهويل من شأنها، كما ينبغي الاهتمام بغيرها من أنواع الشذوذ والاضطرابات النفسية والسلوكية. ولعل التكوين الجيد والاختيار الدقيق للمدرسين والمدرسات من الناحية المهنية والأخلاقية والعلمية، وتوفير الإرشاد النفسي في المدارس، والإدارة اليقظة والحازمة، قد يقضي على هذه الظاهرة تماماً.

ومهما يكن، فإن نتائج هذا البحث لا يمكن تعميمها على بقية المدارس في السعودية؛ إذ أنها مقيدة بالعينات التي تمت دراستها، والتي لا تمثل بأي حال من الأحوال نظرة المجتمع السعودي ككل لموضوع تدريس البنين في مختلف مراحل التعليم، وخاصة في المرحلة الابتدائية الأولى، كما لا تعكس المستوى التعليمي للطلاب في البلد؛ وذلك راجع إلى حدود البحث المتمثلة في "مدرسة س" التي تعتبر مدرسة خاصة، وإن كانت المقارنة قد اشتملت على مدرستين أخريين في المنطقة الشرقية.

وعليه، فإن مثل هذه المواضيع التي تتباين فيها الآراء والمواقف، وخاصة في المجتمع السعودي الذي يشهد تغيرات في الاتجاهات والمواقف، في حاجة إلى دراسات ميدانية موضوعية تأخذ بعين الاعتبار مختلف العوامل المؤثرة في العملية التربوية بمختلف مراحل التعليم في المدارس الحكومية والخاصة، من ناحية التحصيل الدراسي، ومن الناحية السلوكية والثقافية، حيث تصبح نتائج هذه الدراسات منطلقاً لإحداث تغييرات جوهرية في محتوى المناهج وطرق التدريس، وفي مناهج تكوين المدرسين، وإعادة الاعتبار للمدرس في المجتمع، وفي دور الأسرة، وبقية مؤسسات المجتمع في العملية التربوية، وإعداد أجيال المستقبل.

المراجع والمصادر

1- المراجع العربية:

1- الخطيب، محمد بن شحات (1997) القدوة وأثرها في التنشئة الاجتماعية لتلاميذ المرحلة الابتدائية. مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض.

2- الزعبي، أحمد محمد (2001) علم نفس النمو (الطفولة والمراهقة). زهران، عمان.

3- منصور، محمد جميل محمد يوسف (1981) قراءات في مشكلات الطفولة. ط1، الكتاب الجامعي، تهامة، جدة.

4- همشري، عمر أحمد (2003) التنشئة الإجتماعية للطفل. دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان.

5- أبو جادو، صالح محمد علي (200) سيكولوجية التنشئة الإجتماعية. ط2، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان.

2- المراجع الأجنبية:

1- Aluja, F. A.; Balleste, A. J.; Torrubia, B. R. (1999) Self-reported personality and school achievement as predictors of teachers' perceptions of their students' personality and individual differences. Journal of Personality and Individual Differences, 27 (1999) 743-753.

2- Basow, S. (1995) Student evaluations of college professors: When gender matters, Journal of Educational Psychology, vol.87, issue 4, 656-665.

3- Basow, S. (2000) Best and worst professors: gender patterns in students' choices, Sex Roles, vol. 43, 407-417. Springer Science + Business Media B. V.

4- Brown, D. G.(1957) Masculinity-feminity development in children. Journal of Consulting Psychology, 1957, 21, 177-202.

5- Basow, A.S.(1995) Students Evaluations of College Professors: When

Gender Matters. Journal of Educational Psychology, vol.87, issue 4, 656-665.

6- Jepsen, C. (2005) Teacher characteristics and student achievement: evidence from teacher surveys. Journal of Urban Economics, 57, 302-319.

7- Mwamwenda, S. T. & Mwamwenda, B. B. (1989) Teacher characteristics and pupils'

8- academic achievement in Botswana primary education. International Journal of Educational Development, Vol. 9, 31-42.

9- Saban, A. (2003) A Turkish profile of prospective elementary school teachers and their views of teaching. Teaching and Teacher Education, 19 (2003) 829-846.

10-Hopkins, D. & Stern, D. (1995) Quality teachers, quality schools: international perspectives and policy implications. Teaching and Teacher Education, vol. 12, issue 5, 501-517.

11-Weeless, E. V.; Potori, F. P. (1989) Student Assessment of Teacher Masculinity and Femininity: A Test of the Sex Role Congruency Hypothesis on Student Attitudes Toward Learning. Journal of Educational Psychology, vol.81, issue2, PP.259-262.

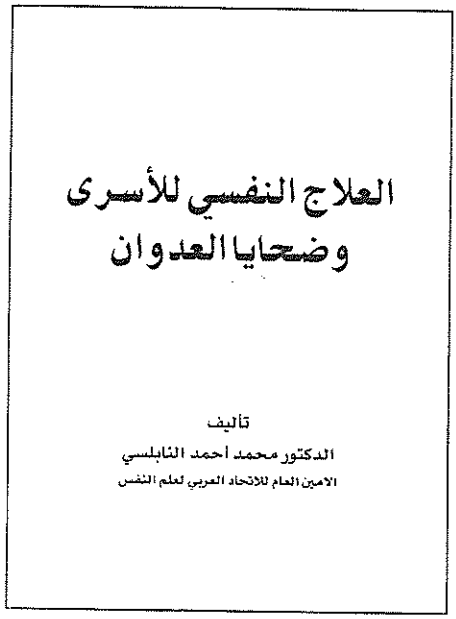

يسجل للمؤلف سبق إصداره لأول الكتب العربية الباحثة في موضوع الحروب وضحاياها على المستويات النفسية والسيكوسوماتية. فقد أصدر النابلسي دراسته عن الحرب اللبنانية في العام 1985 وهي استخدمت مرجعاً في غالبية الدراسات التي تناولت هذه الحرب.

ويأتي هذا الكتاب ليتوج أعمال المؤلف في هذا المجال حيث يركز على موضوعين هامين هما رعاية الأسرى ومعاناة الضحايا من الوساوس المرضية ومخاوف الموت التي تنتشر بصورة وبائية في المجتمعات المتعرضة للحروب والكوارث. مما يجعل من هذا الكتاب ضرورة ملحة لكل معالج عامل في هذه المجتمعات.

يطلب من مركز الدراسات النفسية والنفسية الجسدية (إصدار عام 2001).

المعرفة العلمية في نموذجها الأنثوي
أنثـــوية المعرفـــة

د. عماد فوزي الشعيبي

هل هنالك من مشروعية لتناول موضوع المعرفة من زاوية الفصل بين الجنسين؟. هذا السؤال لم يعد مشروعاً فحسب، إذ أنه يتم التعامل معه على أنه موضوع للبحث في سياق الفروق بين الجنسين في علم النفس؛ وهو يتجاوز الحركة النسوية (Feminism) التي تعني تأكيد المساواة بين المرأة والرجل في الحقوق، مستخدمة الداعي السابق لإلغاء الفوارق النوعية في المعرفة. وكذلك فهو يتجاوز النسوية الجديدة (نسوية ما بعد الحداثة) التي تميزت بنقد الانفراد العقلاني للذكر (Pallogocentrism) ورفض مركزيته التي جاءت تتمة للنزعة المركزية الأوروبية، كما تتجاوز الجنوسة (Gender) أو النوع الجنسي الذي لا يعني الفوارق الجنسية البيولوجية فحسب، بل يضيف إليها مجمل الأوضاع والخبرات والأدوار الاجتماعية التي تجعل الرجل رجلاً، والمرأة امرأة.

على هذا الأساس من التمايز نشأت في أوروبا نزعة فلسفية دُعيت بفلسفة العلم الأنثوية تحاول أن تبرز القيمة الأنثوية في المعرفة.

• مدخل إلى الجانب الأنثوي في المعرفة:

لعلنا نستطيع أن نعزو إلى يونغ، عالم النفس الشهير، البدايات المنهجية لهذا التقسيم بين عقليتين إحداهما ذكرية، ودعاها بالروح الذكرية (Animus) والثانية أنثوية، ودعاها بالروح الأنثوية (Anima). وهو ما حدا بالباحثين لاحقاً إلى ربط ذلك بالجانب البيولوجي؛ حيث أن النصف الأيسر من الدماغ المسؤول عن الجانب المنطقي قد ربط بالروح الذكرية، والنصف الأيمن من الدماغ هو المسؤول عن الجانب الأنثوي.

وجدير بنا الآن وقد وصلنا إلى هذه النقطة، أن نذكر المكتَشَف الحديث في فسيولوجيا المخ: أعني التمييز الذي اهتدى إليه ر. دابليو. سبيري، بالقول إننا ننقسم بالفعل إلى

شخصين يعيشان داخل رؤوسنا، في النصفين الكرويين الأيمن والأيسر من المخ. وقد كنّا نعرف منذ زمن طويل أن النصف الكروي الأيسر من المخ يهيمن على اللغة، على حين أن الأيمن يختص بالتعرف (أو التمييز). وكذلك يتعلق النصف الأيسر بالمنطق والعقل، بينما يختص الأيمن بالتذوق، كالاستمتاع الفني.

ويرتبط نصفا المخ في ما بينهما بمعبر من الألياف العصبية، فإذا استُؤصِلَ هذا المعبر، فإن كلاً منهما يستمر في العمل منفصلاً عن الآخر. وهكذا، إذا عُرضت تفاحة على النصف الأيسر من المخ (الذي يرتبط في الواقع بالعين اليمنى)، وإذا عُرضت برتقالة على النصف الأيسر، وسُئلت ماذا شاهدت لتوِّك فستجيب: تفاحة. ولكن إذا طلب منك أن تكتب بيدك اليسرى ما شاهدته في التو واللحظة، فإنك ستكتب: برتقالة. وإذا سئلت ماذا كتبت من فورك، فستجيب: تفاحة. ومعنى هذا أن كل نصفٍ من نصفي المخ لا يعلم ما يفكر فيه الآخر، عند قطع خطوط الاتصال.

غير أن النتائج الناشئة عن هذه التجربة، والتي لها أهم الدلالة، هي أن الكائن الذي تسمّيه "أنت" - أي ذاتك - يستقر في النصف الأيسر من دماغك. وهناك "أنت" أخرى على بعد بوصات قلائل، في النصف الأيمن: ولكنها صامتة.

فعندما أجري عملية حسابية على الورق، فإنني أستخدم نصف مخي الأيسر، مع قسط معين من المعونة التي يقدمها النصف الأيمن من حين إلى آخر، عن طريق الاستبصارات المفاجئة.

إن هذه - إجمالاً - هي الطريقة التي يعمل بها المخ البشري: فالنصف الأيسر هو "الإنسان الأمامي"؛ الأنا التي تتعامل مع العالم. والنصف الأيمن عليه أن يعبِّر عن نفسه عن طريق النصف الأيسر. ومجمل الأمر، أن النصف الأيمن يجد بطئاً شديداً في أداء وظيفته، ذلك أن النصف الأيسر في عجلة دائماً من أمره، ولا يكف أبداً عن معالجة المشكلات، ويميل إلى معاملة النصف الأيمن في شيء من نفاد الصبر. وهذا هو السبب في أن الإنسان المتحضر يبدو أنه لا يملك من فعّالية النصف الأيمن إلاّ أقلها.

ويبدو من المحتمل أن نوابغ الحساب لم يقعوا بعد ضحية لسيطرة النصف الأيسر الآسرة. فهم يبصرون الجواب عن مشكلة ما، وينقلونها فوراً، دون أن يعوقهم الشريط الأحمر المألوف للبيروقراطي الذي يقيم في النصف الأيسر من المخ.

وينبغي أن نؤكد أن هذه هي المشكلة الحقيقية للإنسان المتحضر. فنحن قد تطورنا إلى مستوانا الحاضر من خلال استخدام اللغة والمفاهيم. ونحن نستخدم هذه باستمرار إلى درجة أننا "توحَّدنا" مع النصف الأيسر من المخ. ولكننّا نرى أن في هذا ضرراً حقيقياً، لأن

'الشخصية' ليست بمعنى ما، هي الشطر اللغوي فينا فقط؛ إنها كليّتنا، لكنّ الحياة المعاصرة تطالبنا بأن نكون خارجيين فقط؛ أي نبدي غير ما نخفي. وتنشأ المشكلة من موقف الأنا من اللاأنا الذي يعيش في النصف الأيمن من المخ، الذي نميل إلى معاملته بوصفه شخصاً أبله، وأخاً أصغر ليس له حظ من التألق، بل إننا نتجاهله دائماً ونطلب منه الصمت. فإذا تحملنا مشقة الإصغاء إليه، منعنا منه الكثير، وذلك تحت هاجس القبض على القانون بكلتا أيدينا.

ومن الأمور الدالة، أن المخ الأيسر لديه إحساس قوي بالزمان، على حين أن الأيمن لا يملك شيئاً من هذا الإحساس. وليس معنى هذا أن النصف الأيمن يفتقر إلى القدرة على حساب الزمان. بل على العكس، فإنك حين تقول لنفسك إنه ينبغي عليك أن تصحو في الساعة السادسة بالضبط، وتفتح عينيك والساعة تدق السادسة، فهذا من عمل النصف الأيمن. إذ أن الأمر بالنسبة له كتلقٍ للزمن من النصف الأيسر وتخزينه لحين قدومه غير المحدد في قياسه الزّمني.

فالمخ الأيسر يتعامل مع سطوح الأشياء، مع الأشكال، والمخ الأيمن يتعامل مع البصائر، ومع مايتوارى تحت السطح.

إن المخ الأيسر وسيلة لتوفير الجهد، ولتوفير الطاقة. فيما ينتج المخ الأيمن الإحساس المتوهج العجيب بالواقع حين يكون مفعماً بالطاقة، ولعل ذلك يتأتى لك في صباح يوم من أيام الربيع، حين تكون مرهقاً يتولى المخ الأيسر العمل. والكد الذهني المستمر يمكن أن يولد الحالة التي سماها سارتر "الغثيان"، وهذا ما يُفسّر الآن باعتباره الحالة التي يستعرض فيها المخ الأيسر العالم، مع افتقاره لكل رؤية عن معناه، وهنا يكون المخ الأيمن قد تخلى عن مهمته: فيبدو الواقع فجّاً، خالياً من المعنى.

وهنا نصل من الجدل إلى شطره الأصعب الذي يتأبى على الإدراك. فالمخ الأيمن هو الذي يعرض على المخ الأيسر "الفورية"، أي ما يحدث هنا والآن. والمخ الأيسر "يتفحص بدقة" العالم، أما الأيمن فيضفي المعنى والقيمة. وعيناك اللتان تفحصان الآن هذه الكلمات، تخبرانك فعلاً بأكاذيب. ذلك أنهما تعرضان عليك عالماً لا واقعياً أساساً بوصفه الواقع الوحيد. أقول "هذا واقعي"، وأنا أدق على المائدة بمفاصل أصابعي، غير أن مفاصل أصابعي ليست إلا "فاحصات" أخرى، مثل عينيّ.

وقد بلغ الأمر بالإبستمولوجي الفرنسي غاستون باشلار إلى الذهاب نحو اعتبار أن الجانب الأنثوي مسؤول عن الجانب الحُلُميّ الجميل فينا، حيث يحاول غاستون (باشلار) جاهداً أن يؤكّد لنا صلة حُلم اليقظة بالروح المؤنثة كي يكون الخيال الشعريّ خلاّقاً وعميقاً

وجميلاً وخالياً من هموم الحياة، بل تحقيقاً أمثل للسعادة، بينما نراه يؤكد على ذكورة الأحلام والمنامات، (وهما مفردتان مذكرتان في اللغة الفرنسية). وهو مرجع حلم اليقظة الإبداعي وهو - عنده - "ظاهرة روحانيّة طبيعية جداً، ومفيدة جداً للتوازن النفسيّ، ويجب أن لا نعامله على أنه انحراف للحلم، وأن لا يُوضع من غير مناقشة في مصاف الظواهر الحلميّة، حيث أن تدخّل الوعي في حلم اليقظة يحمل علامة حاسمة". ويحدّد (باشلار) حلم اليقظة على أنه تقوية ذاكرة الخيال، هذه الذاكرة المستقرّة على شكل نمط أصلي أو عريق مستقرٍ وثابتٍ تحت ذاكرة، وعندما نستطيع أن نوقظ نمط الطفولة الأصلي، تستأنف جميع الأنماط الأصلية العريقة والكبيرة انتعاشها، لتقوم القوى الأبوية والأمومية بعملهما، فيفلت منهما الزمن ويعيش كلاهما، فينا، في زمن آخر "فهنالك سلخٌ للزمن (DÉTEMPORALISATION)) في حلم اليقظة. وهنا يمكننا معرفة حالاتٍ تكون، أنطولوجياً، تحت الكينونة أو الوجود (ÊTRE) وفوق العدم (NÈANT). وفي هذه الحالات يخف تناقض الوجود واللاوجود، ويحاول الوجود الأقل أن يكون... وجوداً". وهنا يحرّرنا حلم اليقظة في ماهيته الخاصة من وظيفة الواقعيّ؛ "فما إن نتأمله في بساطته حتى نرى تماماً أنه شاهدٌ على وظيفة الواقعيّ، وهي وظيفة مُفيدة تحفظ النفس الإنسانيّة على هامش جميع فظاظات اللاأنا العدوانية".

فعندما يكون حلم اليقظة عميقاً حقاً، فإن الكائن الذي يأتي ليحلم فينا هو روحنا المؤنّثة. رغم أنه - لتوّه - قد أكد لنا أننا نحن الذين نحلم في حلم اليقظة. وهكذا فإن أول تعيّن لروحنا المؤنّثة هي أنها قريننُا الذي هو منّا، ولا انفصال له عنّا. لكن حلم اليقظة يحتاج لكي يبرز كروح مؤنّثة أن يترافق بالتوحد (SOLITUDE) وفق معادلة نستقيها كما تُستقى المعادلات الكيمائية، ونقترح استخراج مثل هذه المعادلات في تفكيك ما جاء مكثفاً فيما سبق، لتكوّن روحٍ، على النحو التالي:

روح مؤنّثة + توحّد..... حلم يقظة شاعريّ

ولكن هذا سيكون شرطاً لحلم يقظة شاعريّ، إلا أن الشرط الأهم حلم يقظة مثالي هو توافر الروحين معاً. ففي حلم اليقظة المتوحد نعرف أنفسنا (في المذكّر والمؤنث معاً) ويقوم حلم اليقظة (هنا بالذات) بجعلِ مادته والحالم مثاليّين في وقت واحد.

وعندما يحيا حلم اليقظة في ثنائية المذكر والمؤنث تكون المَثْلَنَة (IDÉALISATION) عيانيّة ومن غير حدود. فكيّ أعرف نفسي معرفة مزدوجة ككائن واقعيّ ومُمَثْلَن، يلزمني أن أصغي إلى أحلام يقظتي، وكي أفهم وجوديّة حلم اليقظة فهماً أفضل، يجب أن أطبق جميع الدروس التي تعلّمتها من علم نفس الأعماق، حيث أنّ المثلنة القصوى يجب أن تتوّجَ علم

نفس تام، وهنا فإن (باشلار) يؤكد كما اعتاد دائما على أن علم النفس الذي بين أيدينا ناقص. ونخطط ما سبق على النحو التالي:

روح مذكرة وروح مؤنثة + توحد + حلم يقظة المثلنة

ويوضح (باشلار) أن حلم اليقظة، في حالته الأبسط والأنقى، ينتمي إلى الروح المؤنثة. وتأكيدا، فإن كل تمثيل مبسط يوشك أن يبتر الواقع.

فلنقل إذا: إننا نرى، إجمالا، أن الحلم يتعلق بالروح المذكرة، وأن الحلم اليقظ يتعلق بالروح المؤنثة، وأن حلم اليقظة يمنحنا الراحة الحقيقية؛ راحة المؤنث، وفيها نكسب رفاهية العيش؛ رفاهيه تمهل وسلام. ففي حلم اليقظة يمكننا أن نجد العناصر الأساسية لفلسفة الراحة". ونستطيع أن نلخص ما سبق على النحو التالي:

روح مذكرة + نوم..... حلم

لكن اجتماع الروحين المذكرة والمؤنثة في حلم اليقظة (أي في الإبداع الإنساني وهو يوازي استخدام نصفي الدماغ الأيمن والأيسر) سوف يجعل الكائن مثاليا، وهو اجتماع لا يفضي بالضرورة إلى (حلم + حلم يقظة)، وهنا الاستثناء هو الذي يجعل (باشلار) يرى في حلم اليقظة المصاغ بالروحين المذكرة والمؤنثة ضربا من مثاليه. ويؤكد في آخر كلماته الواردة في كتاب "شاعرية أحلام اليقظة"، أنه لكي لا يقال إن الروح المؤنثة هي كينونة كل حياتنا، فإنه يود أن يصوغ كتابا آخر يكتبه هذه المرة قلم مذكر؛ أي قلم روح مذكرة، لكن الحياة لم تسعف الفيلسوف، فمات بعد كتابه هذا بسنة واحدة (1962)، وبقي بالنسبة لنا نحن الباحثين أن ضربا من الالتباس قائم بين الروح المذكرة والروح المؤنثة في صياغة حلم اليقظة، إذ برغم أن (باشلار) أفاض في تحليل قدرة الروح المؤنثة على صياغة حلم يقظة شاعري، وأشار إلى أن اجتماع الروحين يعطي كائنا مثاليا، وحذرنا من أن الروح المذكرة ترتبط بالحلم، فإن دور حلم اليقظة بالروح المذكرة قد بقي سجين رفات الرجل...

• الفروق بين الجنسين على المستوى المعرفي بيولوجيا

هناك أبحاث كثيرة تتناول موضوع الفروق بين الجنسين، وهي في بعضها تذهب إلى اعتبار أن هذه الفروق بيولوجية، وأن تفاوت القدرات المعرفية بين الجنسين يعكس الاختلاف في التأثيرات الهرمونية في شكل الدماغ ونموه ، وهذه هي النتيجة التي انتهت إليها (كيمورا) الباحثة في الأسس العصبية والهارمونية للوظائف الفكرية الذهنية للإنسان، في قسم العلوم العصبية السريرية في جامعة كيربي في كندا؛ حيث تعتبر أن الفوارق بين النساء والرجال لا تقتصر على السمات الجسمية والوظيفية والتناسلية

فحسب، بل تتعداها إلى الكيفية التي يحل بها كل منهما المشكلات الفكرية أيضا؛ حيث تدل تجاربها على أن آثار الهرمونات الجنسية في التنظيم والتعضي الدماغي، تحدث في مرحلة مبكرة من الحياة ، حتى إن العوامل البيئية تفعل فعلها منذ البداية في دماغين صمما لدى الأنثى والذكر بصورتين مختلفتين، أي أنها تقر بأن العامل البيئي يتصل أيضا بالعامل البيولوجي والهرموني والجنسي، الذي يسبقه، أي أن الاستجابات البيئية هي في الأصل من تركيبة المتعضي، سواء أكان ذكرا أم أنثى، وهذا ما يجعل تقييم التجارب الشخصية في منأى عن تلك الاستعدادات الفيزيولوجية أمرا متعذرا.

في أواسط الشهر الأول من عام 2005، اقترح رئيس جامعة هارفارد أن الفروق الفطرية في بنيان دماغي الذكر والأنثى يمكن أن تكون أحد عوامل الندرة النسبية لتخصص النساء في مجالات العلوم. إذ تكشف تجارب التصوير هذه أن التباينات التشريحية موجودة في تشكيلة منوعة من المناطق في أرجاء الدماغ. فعلى سبيل المثال استخدمت (M.J كولدشتاين)، من كلية طب هارفارد، وزملاؤها، تقانة التصوير التجاوبي المغناطيسي في قياس العديد من الباحات areas القشرية وتحت القشرية الدماغية. ووجد هؤلاء الباحثون، إضافة إلى أشياء أخرى، أن أجزاء من القشرة الجبهية frontal cortex، التي تعد مقر العديد من الوظائف المعرفية العليا، تكون لدى النساء أكبر منها لدى الرجال، وكذلك الحال مع أجزاء من القشرة الجوفية limbi cortex التي تعنى بالاستجابات الانفعالية. وفي المقابل، تكون عند الذكور أجزاء من القشرة الجدارية parital cortex، التي تعنى بإدراك الحيز space، أكبر مساحة منها لدى الإناث، ولاسيما اللوزة المخية amyygdala التي تمثل بنية لوزية الشكل تستجيب للمعلومات التي تثير الانفعال _ أي إلى كل شيء يسبب خفقان القلب وتدفق الأدرينالين.

ونشير هنا إلى أن هذه الفروق في الحجم، وكذلك الفروق الأخرى المذكورة في تلك المقالة هي فروق نسبية، فهي تشير إلى الحجم الإجمالي للبنية بالقياس إلى الحجم الإجمالي للدماغ.

وثمة أبحاث أخرى تكتشف فروقا تشريحية بين الجنسين على المستوى الخلوي. فعلى سبيل المثال اكتشفت وزملاؤها (في جامعة مكماستر) أن النساء يمتلكن كثافة كبيرة من العصبونات في أجزاء من قشرة الفص الصدغي temporal lobe تعنى بمعالجة اللغة وفهمها. فعند عد العصبونات في عينات منها بعد الموت، وجد الباحثون طبقتين، من أصل الطبقات الست الموجودة في تلك القشرة، تحويان عددا من العصبونات (في وحدة الحجم) أكبر لدى الإناث منه لدى الذكور. وقد ذكرت مثل هذه المكتشفات لاحقا في ما يخص

الفص الجبهي.

وبتوفر مثل هذه المعلومات، يستطيع علماء الأعصاب الآن استقصاء ما إذا كانت الفروق بين الجنسين في عدد العصبونات تتلازم مع فروق في المقدرات المعرفية؛ أي على سبيل المثال، استقصاء ما إذا كان تعاظم تلك الكثافة في القشرة السمعية لدى الأنثى، يرتبط بالأداء التفوق للنساء في اختبارات الطلاقة اللفظية عندهن.

ومما يثير الاهتمام أن الباحات الدماغية، التي وجدت "كولدشتاين" أنها تختلف بين الرجال والنساء، هي نفسها التي تحتوي عند الحيوانات على أكبر عدد من مستقبلات الهرمونات الجنسية أثناء التشكل والتنامي. وهذا الترابط بين حجم المنطقة الدماغية لدى البالغين، والفعل الستيرويدي في الرحم، يوحي بأن بعض الفروق الجنسانية (بين الجنسين)، وفي الوظيفة المعرفية على الأقل، لا تنجم عن التأثيرات الثقافية، أو عن التغييرات الهرمونية التي تصاحب المراهقة ؛ أي أنها قائمة منذ الولادة.

لقد انتهج ومعاونوه (في جامعة كمبردج) مقاربة خلاقة مختلفة لدراسة أثر الطبيعة مقابل أثر التربية، في ما يخص الفروق بين الجنسين. فلقد ذكر الكثير من الباحثين تباينات في توجيه الناس للولدان، الذكور والإناث. وعلى سبيل المثال، وجد "بارون – كوهن" وتلميذته "لوتشمايا" أن البنات في سنتهن الأولى يقضين زمنا أطول في النظر إلى أمهاتهن من الذكور في العمر ذاته. وحينما عرضت على هؤلاء الأطفال تشكيلة أفلام لمشاهدتها، حدقت البنات لمدة أطول في فيلم يتعلق برؤية وجه ما، في حين حدق الغلمان لمدة أطول في فيلم يعرض سيارات.

وبالطبع، فإن هذه التفصيلات يمكن أن تنسب إلى فروق في طريقة تعامل البالغين مع الغلمان والبنات الصغار، سلوكا ولعبا. ولاستبعاد هذه الإمكانية تقدم "بارون – كوهن" وتلاميذه خطوة أبعد إذ أخذوا كاميرا فيديو video camera إلى جناح الولادة في أحد المستشفيات بغية فحص ما يفضله رضع عمرهم يوم واحد. وقد عرض على هؤلاء الرضع مشهد من اثنين: إما وجه بشوش لطالبة حية، أو قطعة خشب متحركة تشبه وجه الطالبة، لونا حجما وشكلا، ولكنها تتضمن خليطا ملخبطا من ملامح وجهها. وتحاشيا لأي انحياز، لم يكن القائمون بالتجربة يعرفون جنس الرضيع أثناء الاختبار. ولدى مشاهدة أشرطة الفيلم وجد هؤلاء الباحثون أن البنات أمضين وقتا في النظر إلى الطالبة، في حين صرف الغلمان وقتا أطول في النظر على الجسم الآلي. لقد اتضح هذا الفرق في الاهتمام الاجتماعي في اليوم الأول من حياة الرضيع، مما يعني ضمنا أننا نولد من الرحم، ونحن نملك بعض الفروق الفطرية المعرفية(الاستعرافية) cognitive.

إن دراسة (كيمورا) للتأثيرات الهرمونية في عمل الدماغ خلال مسيرة الحياة، توحي بأن الضغوط التطورية تسمح بوجود تفاوت بين الجنسين بالقدرة الاستعرافية (Cognitive) أي في عملية المعرفة بحد ذاتها، وعلى هذا فإن الفوارق بين الجنسين، معرفيا، تكمن في الطرز المختلفة للمهارات الفكرية التي يتمتع بها كل منهما أكثر مما هو راجع للمستوى الذكائي لبعضهما البعض.

هذه القضية التي تطرحها (كيمورا) تطرح علينا إشكاليتين:

إشكالية الفوارق الكاملة بين مطلق اختلاف جنسي هرمونيا: أي أن فوارق ما ينتج عن تلقي المتعضي، ذكرا أو أنثى، لكل من الهرمونين الذكري أو الأنثوي، تتشكل بصورة مطلقة كفوارق بين الجنسين، وهو البحث الذي قامت به (كيمورا).

الفوارق اللحظية بين الجنسين هرمونيا: أي هل مع تبدل الوضع الآني للهرمونات الذكرية والأنثوية لدى كل من الذكر والأنثى تتبدل الوضعية الآنية والطريقة الاستعرافية آنيا،والتي ينتجها، أو يتعامل بها، كل من ذكر بعينه، أو أنثى بعينها، لأن هذه الهرمونات تحرض بدورانها في الدم على الإمكانات المختلفة لكل من الذكر والأنثى من الناحية المعرفية أصولا.

بشكل عام ترى (كيمورا) أن الرجال يتفوقون على النساء بسرعة إنجاز بعض الأعمال المكانية spatial (التي فيها حيز) لا سيما تلك الاختبارات التي تتطلب من الشخص الذي يتخيل أن يقوم بتدوير جسم ما أو ملاعبته، كذلك يتفوق الذكور في اختبارات الاستدلالات الرياضية، وفي الاهتداء إلى الطريق الصحيح في متاهة، كما أن الذكور أدق من النساء في الاختبارات الحركية الموجهة نحو هدف ما، كتوجيه قذيفة أو اعتراضها.

أما الإناث فهن أسرع في تعرف الأشياء المتماثلة، أو المتوافقة، أو المتقاربة؛ أي هن أكثر قدرة على السرعة الإدراكية، والإناث أفضل بالطلاقة اللفظية، ومنها القدرة على إيجاد الكلمات التي تبدأ بحرف معين، أو يتوافر فيها قيد آخر، وهن يفقن الذكور في العمليات الحسابية، وفي تذكر المعالم المتواجدة في الطريق، وهن أسرع في أداء المهام اليدوية الدقيقة، كوضع الأسافين في الثقوب المخصصة لها.

وتبين (كيمورا) أن الإناث أفضل في تذكر المعالم التفصيلية، ويملن إلى استخدام المعالم المرئية للتوجه في حياتهن اليومية. أما الاستراتيجيات التي يتبعها الذكور فلم تحدد تحديدا واضحا بعد.

وقد ظهرت في دراسة لإيليز وسيلفرمان من جامعة بورك وظيفة أخرى للنساء تتعلق بذاكرة المعالم؛ فالنساء أفضل من الذكور في ملاحظة المعالم المتغيرة لمكان ما، بما فيها

الفوارق الدقيقة، وكذلك في الاختبارات التي تتطلب مواءمة للصور المضاهية، أي التي تختلف عن بعضها البعض اختلافا دقيقا، أو إيجاد كلمات تبدأ بحرف ما، أو تعتمد على الطلاقة الفكرية، كتسمية الأشياء ذات اللون الأحمر على سبيل المثال. وعليه تبني (كيمورا) قناعتها بأنه لما كان الرجال والنساء يتقاسمون مادة وراثية واحدة باستثناء الصبغيين (الكروموزومين) الجنسيين، فإن الفروق بين الذكر والأنثى تأتي بنتيجة الهرمونات المختلفة للدماغ في مرحلة تكونه، فيبدأ التمايز الجنسي.

ففي مرحلة مبكرة من الحياة تفعل الأستروجينات والأندروجينات (وهي هرمونات الذكورة ولا سيما التستسترون)، فعلها في المرحلة الجنينية، حيث يكون لكل كائن حي من الحيوانات الثديية، بما في ذلك الإنسان، الإمكانية بأن يصبح ذكرا أو أنثى، فإذا كان الجنين يحمل الصبغي Y كانت الخطوة الأولى نحو الذكورة تتمثل في تشكل المنسلين الذكريين (الخصيتين)، وهكذا يبدأ إنتاج الهرمونات الذكرية. أما إذا لم يفرز المنسلان هرمونات ذكرية، أو حال سبب ما دون أن تفعل الهرمونات فعلها في النسيج اتخذ هذا الكائن شكل أنثى.

إذا تكونت الخصيتان فإنهما تفرزان مادتين تفضيان إلى الذكورة في جنين رحم الأم، وهما التستسترون، وعاجل التراجع المولليري.

وتعتقد (كيمورا)، وفقا لأبحاثها، بأن الهرمونات الجنسية الذكرية لا تتسبب بتحويل أعضاء الجهاز التناسلي إلى أعضاء ذكرية فحسب، بل هي مسؤولة عن تنظيم سلوك الذكورة في مرحلة مبكرة من العمر، وأيضا تحديد اتجاه طريقة المعرفة لدى الذكر منه عن الأنثى.

هذه النقطة استخدمتها (كيمورا) من ملاحظة أن البقعة الدماغية المسؤولة عن التنظيم، أو التي تسمى تحت المهاد، أو الوطاء، وتتصل بالغدة النخامية الصماء هي أكبر حجما لدى الذكور منها لدى الإناث، حيث تشير دراسة لـــ(لوفاي) من معهد سالك للدراسات البيولوجية، أن بقعة تحت المهاد الأمامي هي أكبر حجما في الذكور منها في الإناث، وهي أصغر في الرجال الجنوسيين منها لدى الرجال متغايري الجنس، فهذا الجزء مماثل لدى الأنثى لذلك الموجود لدى ذوي الميل الجنسي المثلي، حيث بات توصيف ذوي الميول الجنسية المثلية اليوم، بأن سبب وضعهم جنسي، أي وجود شيء بيولوجي.

وقد ثبت وفقا لدراسة (كلاديوم) من جامعة ولاية شمالي داكوتا، ودراسة ساندرس أن هناك فوارق من حيث الأداء في الاختبارات الاستعرافية بين الرجال الجنوسيين ومتغايري الجنس، إذ أن أداء الجنوسيين دون أداء متغيري الجنس في موضوع الحيز المكاني.

وفي دراسة جديدة وجد (هول) أن النتائج التي حصل عليها الجنوسيون الذكور في مختبرات التسديد كانت أقل مما حصل عليها متغيرو الجنس من الرجال، لكنهم تفوقوا عليهم في الطلاقة الفكرية، كتسجيل الأشياء ذات اللون المحدد في دائرة واحدة، وهذه ثمة أنثوية.

وعليه: ترى كيمورا أنه بسبب التعرض للهرمونات الجنسية في مرحلة مبكرة من الحياة تنشأ تغيرات في الدماغ تستمر آثارها طيلة العمر، إلا أنها ترى بأن استخدام هذه الهرمونات نفسها في مراحل لاحقة لن يكون لها هذا الأثر أي أنها تحدد المشكلة معرفيا بأنها تمايز يتحدد في الجنسين منذ لحظة التكوين في الرحم، ولا يتغير مع الزمن، ومع تعرض الكائن لمتغيرات هارمونية بعد الولادة، ولكن (كيمورا) لا تؤكد ما إذا كان هذا التأثير الهرموني الذي حدد الطبيعة التكوينية (التنظيمية) للدماغين الذكري والأنثوي لا يتأثر فعليا في صلب بحثها، بل في محيطه، بدرجة صعود وهبوط في استخدام تلك الملكات الذكرية والأنثوية إذا ما تعرض لتغير وتبدل في الهرمونات، كزيادة نسبة التستسترون لدى الرجل نتيجة الإثارة الجنسية، أو نتيجة تبدل وضع الآستروجين لدى الأنثى مع الدورة الشهرية، فالموضوع برمته عند (كيمورا) يندرج في إطار أن جرعة التستسترون التي يأخذها الجنين في بطن أمه في المنسلين المتشكلين، هي التي تحدد الطبيعة الجنسية والمعرفية بصورة تنظيمية ونهائية.

إلا أنه من الملاحظ في أغلب الدراسات الطبية الحديثة أن الأنثى مع بدء الدورة الشهرية، أو قبيلها، يحدث أن يتجمع لديها سائل إضافي في الدماغ يسمى (حبس سوائل دماغية) مما يؤثر على قدرتها الذهنية المنطقية، أو المعالجة التي تنسب إلى ما هو ذكري، وفقا لأنثوية العلم، إلا أنه لا تتوافر دراسات مخبرية متكاملة تدرس الحالة التفصيلية لمتغيرات يومية للأداء المعرفي نتيجة صعود وهبوط أي من الهرمونين الذكري والأنثوي مع متغيرات حياتية لكل من الذكر والأنثى، وعلى هذا فقد بين الباحث (ميني) من جامعة (ملك كل) أن الميل لألعاب العراك يظهر في الذكور الصغار بتأثير الديدهيديسترون في اللوزة المخية، وليس في الهيباتالاموس.

وعلى هذا ترى (كيمورا) أن حرمان الوليد الذكر في بطن أمه من التستسترون، بخصائه، أو إعطاء الوليدة هرمونا مسببا للذكورة خلال عملية نمو الدماغ المبكرة، فإنهما يؤديان إلى عكس كامل للتصرفات المرتبطة بالجنس؛ فتتصرف الإناث تصرفات ذكور ويتصرف الذكور تصرفات مختصة بالإناث.

ومن أهم الدلائل وأقواها ما بينته الدراسات على الإناث اللواتي يتعرضن لكميات كبيرة من الأندروجينات الكظرية قبل الولادة، أو لدى حديثي الولادة، إما لسبب مرضي أو لتناول أمهاتهن لبعض الأدوية أثناء الحمل، ما يجعل البدن يصنع كميات كبيرة شاذة من الأندروجينات الكظرية، ما يؤدي إلى مشكلات في تحديد الجنوسة، ويمكن تصحيح التأثيرات التذكيرية الناجمة عن تلك الأندروجينات (التستسترونات) للبنات في مرحلة مبكرة من العمر، كما توقف المعالجات الدوائية فرط إفراز الأندروجينات، بينما تأثير الهرمونات الذكرية في أدمغتهن، والتي تحدث قبل الولادة لا يمكن تصحيحها أو ردها.وقد أظهرت دراسات قام بها باحثون مثل أير هاربت من جامعة كولومبيا، ورنش من مؤسسة كيري، أن البنات اللواتي تعرضن لكميات كبيرة من الأندروجينات (هرمونات ذكرية) أثناء الحمل بهن، غدون أكثر صبيانية وعدوانية من شقيقاتهن العاديات،كما أنهن يفضلن ألعاب الذكور، كألعاب السيارات في صيغة مماثلة لما لدى أطفال الذكور.

وتوحي الدراسات أن الأنثى التي تتعرض في بطن أمها إلى ازدياد في تركيز الأندروجينات، تفعل فعلها في مستوى الأداء الحيزي أو المكاني، إلا أن العلاقة ليست خطية، فقد لا تزداد القدرات الحيزية بمقدار زيادة الأندروجينات. والمسألة مسألة استجابة، وهنا فإن دراسة (كيمورا) تفيد بتفوق الرجال ذوي التستسترون المنخفض عن أمثالهم ذوي التستسترون المرتفع في اختبارات الحيزات المكانية وبراعة النساء ذوي التستسترون المرتفع أكثر من مثيلاتهن ذوي التستسترون المنخفض، وتوحي هذه النتائج أن هناك مستوى مثاليا للأندروجينات يكون عنده الأداء الحيزي أفضل ما يمكن، وقد يقع هذا المقدار ضمن الحدود المنخفضة للذكور.

كذلك الأمر في الاستدلال الرياضي، فقد بينت أبحاث (كيمورا) شيئا شبيها للنتائج حول موضوع اختبارات القدرة الحيزية للرجال، فكان أداء الرجال من ذوي الأندروجينات المنخفضة أفضل من سواهم لدى في الإناث، فلم تظهر علاقة واضحة أفضل في الهرمون أو حسن الأداء.

إلا أن دراسة (بن بون) من جامعة ولاية أيوا قد بينت أن النبوغ أو التفوق في الرياضيات مرده إلى عوامل بيولوجية مهمة، فالباحثة (بن بون) وجدت مع زملائها تفوقا مطردا للذكور على الإناث في الاستدلال الرياضي بنسبة 13 إلى 1.

وهناك طريقة أخرى لدراسة الفوارق بين الذكر والأنثى بفحص وظائف بعض الأجهزة الدماغية، ومقارنتها لدى الجنسين، حيث تشير هذه الدراسات أن النصف الأيسر للدماغ هو بالغ الأهمية للكلام، في حين تتركز الوظائف الحسية الحيزية في النصف الأيمن.

وهناك ملاحظة تشير إلى عدم التناظر بين نصفي الدماغ، باعتباره أشد منه لدى الذكور منه لدى الإناث ، ففي دراسة (جشونت) من مدرسة (هارد بارت) الطبية تبين أن الأندروجينات تزيد من الفعاليات للنصف الأيمن من الدماغ.

ووجد دولا كوستا 1991 أن قشرة النصف الأيمن من الدماغ في الذكور أكثر ثخانة منها في النصف الآخر، وهناك أدلة تشريحية تدعم الاعتقاد بأن نصفي الكرة الدماغي قد لا يكونان غير متناظرين بدرجة واحدة لدى الجنسين، بدليل أن إصابة النصف الأيمن لدى كل من ذكر وأنثى لدى إحدى التجارب لم يكن له أثر موحد في موضوع الحيز، إذ كان أثره أكبر في الرجال منه لدى النساء.

ننتهي إلى أنه من جملة ما تقدم ترى (كيمورا) أن الأدلة تشير إلى وجود اختلاف في التعضي الدماغي لدى الجنسين يبدأ في مرحلة مبكرة جدا من الحياة، وأن الهرمونات الجنسية توجه هذا التمايز بين الجنسين أثناء النمو الجنيني، وأن هناك علاقة بين مستويات هرمونات معينة والكيان الاستعرافي للشخص في مرحلة البلوغ.

ومع ذلك، فإن المشكلة الثانية التي طرحناها في إطار هذا البحث، وهي التبدل المعرفي نتيجة تبدل الهرمونات في مرحلة متقدمة هي بعد البلوغ تطرح بشكل واضح اليوم في بعض الأبحاث، حيث بينت (هامب تويغ) من جامعة غرب أورتاريو أن الأنماط الاستعرافية حساسة للتقلبات الهرمونية في جميع مراحل الحياة، وأن أداء النساء لبعض المهمات خلال الدورة الطمثية يتفاوت حسب تقلب مستوى الأندروجين، فقد ترافق ارتفاع مستوى الهرمونات ليس مع هبوط القدرات الحيزية فقط، بل مع تعزيز القدرات الحركية، وأن وجود فوارق ثابتة بين الجنسين قد تكون كبيرة أحيانا يوحي بأن للجنسين قدرات مهنية قد تكون مختلفة، وغير مرتبطة بالتأثيرات الاجتماعية، أي ليس لهذا الأمر بعد اجتماعي.

فلسفة المعرفة الأنثوية:

درجا على بعض مما سبق في علم النفس، وفي الفلسفة الأنثوية عند باشلار، والاكتشافات العلمية في هذا الخصوص تبني د .يمنى الخولي في مقدمة تصديرها لكتاب د .ليندا جين شيفرد "أنثوية المعرفة"رؤيتها إلى أن العلم هو كيان تتكامل فيه سائر الخصائص الإنسانية الإيجابية الذكرية والأنثوية على السواء، وليس الذكرية فحسب، وأن المطلوب هو إظهار الجانب الحي المحجوب أو المطمور من العلم، عن طريق البحث عن عناصر الأنثوية في واقع الممارسة العلمية، وفي البحوث، وفي الكشوف العلمية الراهنة.

أنثوية المعرفة عند شيفرد:

العلم من منظور الفلسفة الأنثوية عند ليندا جين شيفرد يقوم على أساس النظر إلى الجوانب التي يثريها النصف الأيمن من الدفاع في المعرفة العلمية، من حيث تجاوز التراتبية الهرمية الأحادية الجانب، أو الرؤية وصولا إلى رؤية التنوع بجماليته ومنافعه، وذلك بالاعتماد على ثراء (مبدأ الأنثوية) عند يونغ وأتباعه المحدثين، وهو الذي يرى الأنثوية كمفردة علم تتمايز عن المبدأ الأنثوي النمطي(السائد) عن التصور السطحي للأنوثة، كحلوة مثيرة فيها كل ما هو لطيف وناعم، وهي مفردة تعني القوة التي تجذب وتربط وتجمع الناس معا نحو الكلية (Wholeness)، وهنا يمكن للرجال أن يكاملوا الجانب الأنثوي في أنفسهم وتتكامل النساء مع الجانب الذكوري في نفوسهن، يساعدها في هذا المفهوم الصيني عن الين واليانغ الذي يقسم المعرفة والسمات وفقا للاختلاف بين الجنسين.

إذا، المقصود هنا الجانب الأنثوي Animus في كل من الرجل والأنثى معا، وهو أنثوي لغة ومصطلحا، لأنه أكثر بروزا لدى الأنثى منه لدى الرجل، وعند عدم توافره في الأنثى غير النمطية، فإننا نكون هنا إزاء امرأة لا تستخدم الجانب الأنثوي من عقلها، أي الأنثوية المعرفية لديها، بل تغلب الجانب الآخر، أي الذكري منه.

إن اعتبارات الاختلاف بين الرجال والنساء قائمة بالفعل،حسب شيفرد، إذ بخلاف أن بحوثا أنثروبولوجية أجرتها مارغريت ميد M.Mead تشير إلى أن الجنوسة بنية ثقافية، ثمة أقطاب للبيولوجيا الاجتماعية أمثال ويلسون. E.O.wilson يرون أن الأنماط السلوكية القياسية للذكور والإناث قد تحددت بيولوجيا.

وتلك هي المناظرة الطبيعية بوصفها شيئا مؤنثا وأسماها 'الأم' بينما تحدث عن السماوات والشمس بوصفها المحدث والأب، واعتبر أن علاقة الذكر بالأنثى هي بطبيعتها علاقة الأعلى بالأدنى والحاكم بالمحكوم، وأن الأنوثة هي 'تشوه' على الرغم من أنها تحدث في السياق العادي للطبيعية.

وعلى الرغم من أن تهمة الأنثوية حاضرة باستمرار في سياق العلم المسفه، حيث سفه العلماء الإنكليز منافسيهم في فرنسا بأن أطلقوا عليهم لقب المتأنثين، وهاجم فرنسيس بيكون الفلسفة الأرسطية على اعتبار أنها سلبية وضعيفة (وأنثوية). دفاعه عن استخدام الفلسفة التجريبية الجديدة تدشينا للميلاد الحقيقي "للعصر الذكوري" حسب تعبيره وبناء العلم الحديث لسنوات طويلة على أساس المنطق الذكري التجريبي في العلم، إلا أن تيارات عدة كانت تحاول أن تمنع هذا الاتجاه الأحادي في هيمنة آلية معرفية واحدة على المنجز

العملي، حتى أن إيان متروف Mitroff.I قد انتقد هيمنة الروح الذكرية على روح برنامج غزو القمر، مشددا على ضرورة الاعتراف بأهمية تعلم كيفية ممارسة العلم بالعاطفة. وهنا لقد لاحظت شيفرد اعتماد العلم على الملاحظة والقياس والتفكير، واستعباد الشعور والحدس، الأمر الذي دفعها إلى ملاحظة أهمية العملية السيميائية في اكتشاف العلاقة التبادلية بين ظرف السيميائي النفسي وبين العالم الخارجي، وهو نفسه الموقف الذي يكتشفه باشلار في كتابه "تكوين العقل العلمي" بخصوص العقبة الابستمولوجية التي تتأتى من إضفاء النزعة النفسية الجوانية على موضوع المعرفة العلمية، حيث ترى شيفرد بأن المرحلة الأخيرة من السيمياء تبزغ فيها التقابلات "الذكرية والأنثوية" وتندمج معا لتخلق شيئا جديدا وفائقا، ما يعني أن تكامل الجانبين الذكري والأنثوي في المعرفة هو الذي يولد الحالة الجديدة، وكأنها تقارب هنا لحظة الجمع بين التموجية والجسيمية في الضوء، لتنتج عند لوي دوبري الظاهرة الجسيمية التموجية، ليجمع بذلك نظرية ماكسويل وماكس بلانك، وهو ما يراه غاستون باشلار أحد نماذج القطيعة الإبستمولوجية، التي تجمع المتناقضات ذكرية وأنثوية. وهنا تصوغ شيفرد تصوراتها عن الجوانب الأنثوية في المعرفة، مقسمة إياها إلى ثمانية عناصر، هي: الشعور والتلقي والذاتية والتعددية والرعاية والتعاون والحدس والترابطية، وفقا لما يلي:

1- الشعور: "بحث يدفعه الحب"

إذا كانت المعرفة الذكرية تصر على الحياد العاطفي، إلا أن عددا من العلماء يطالبون بالإلتفات إلى ندرة الود في العلم الذي يؤوله "متروف" باعتباره كبتا للاستجابات الوجدانية أو للمشاعر. وهنا تطالب شيفرد باستكشاف العاطفة والشعور في عملية التوازن في العلم أحادي الجانب، والتقدم بإسهام إيجابي عن طريق:

- لفت الانتباه إلى القيم والأخلاقيات.
- المعاونة في تقويم المواءمة ودعائم التناسب.
- أن يكون البحث مدفوعا من استغلالها بدلا من الرغبة في التحكم بها.
- احترام الطبيعة بدلا من استغلالها وكأنها سلعة.
- مراعاة مشاعر الآخرين (شيفرد، 19).

وتعتمد الفيلسوفة الأنثوية في فهمها للذكرية والأنثوية محاور يونغ الأساسية التي تقابل التفكير بالشعور والإحساس بالحدس.

ونلاحظ أن البشر في الطفولة يعتمدون أساسا على وظيفة واحدة، ولكن مع النضج كثير من البشر يطورون وظيفة مساعدة من المحور المقابل، فالتفكير يطور الإحساس

كوظيفة ثانية. وفي ما بعد قد يتم تطوير وظيفة ثالثة من المحور نفسه بوصفها وظيفة مساعدة، وهي الحدس في هذه الحالة في ما آن الوظيفة المقابلة لوظيفتنا الأولية هي آخر ما يتم تطويره، وهي هنا (الشعور). فالإحساس والحدس سبيلان للإدراك يزودانا بالمعلومات، فيمدنا الإحساس بمعارف عن العالم الخارجي من خلال الحواس، فيما ينفتح الحدس على الوعي الفجائي، وعلى التأمل وعلى الخيال وعلى كل الممكنات، وإذ كان الإحساس هو النمط التجريبي الذي يجمع أشتات المعطيات، ويزودنا بوقائع جديدة، ونمط التفكير هو النمط النظري الذي يشيد نماذج ومنظومات منطقية، فإن كلا من الإحساس والتفكير يشكلان الأسلوب الذكري في المعرفة فيما الشعور والحدس يشكلان العنصر الأنثوي فيها. وهنا تشرح شيفرد بأن الشعور يتقدم مع التفكير بعملية التقويم والحكم فإذا كان التفكير هو وظيفة لحل المشكلات، وترتيب الأشياء، أو الوقائع، أو الأفكار، في تسلسل أو تراتب هرمي له معناه ومغزاه، فإن وظيفة الشعور هي التقويم، أي تقويم الشيء على أنه جدير، أو تحديد القيمة، فهو ليس مجرد عاطفة من قبيل الحبور والاستثارة والغضب والخوف والعار، إنما هي التبصر في كل الوظائف، ووظيفة الشعور أيضا خلق الدفء، حيث توجد برودة العقل (البارد الصرف)، وخلق الجمال، حيث يوجد المخ، وتؤدي في شكلها الانبساطي إلى مهارات اجتماعية في الحس والإقناع، وتبني جسورا بين البشر والاستجابة الإيجابية من قبيل مفردات من نوع: ذاتي، وقيم، وإنساني، وخير أو شر، وتلطيف الظروف والانسجام والسياق والكيفية.

نمطية الشعور تتجسد من خلال إحساس قوي بالقيم، وأحكام الشعور لها عقلانيتها الخاصة بها القائمة على حس ملائم مشحوذ بالخير والشر، والصواب والخطأ، والجميل والقبيح، وهي تعتمد على سياق الموقف، لا على فئة من القواعد الموصوفة، وحيثياتها تبدو غير معقولة لدى أصحاب نمطية التفكير (المنطقي) لأنها قائمة على أساس القيم لا على أساس المنطق، ولذلك فالطرفان يتكلمان لغتين مختلفتين. ويمكن لمشاعر الجسد أن تعطي المحتوى لوظيفة الشعور من أجل إصدار أحكام القيمة. وحين الالتجاء لأحكام القيمة، فإن المناقش يتريث برهة لاستشراف الأمر عبر جسده، مما يسم الشخصيات الشعورية بالتباطؤ، بينما أصحاب نمط التفكير يستجيبون بعقولهم استجابة أسرع. ويقدم الفيزيائي إبرهارد ريدل نموذجه الشعوري بالقول المعادلة بالنسبة لي شيء تحريكي، فأنا يجب أن أحتويها في داخلي وأتساءل:'هل يمكن أن يكون ذلك صوابا، وهل يتفق مع إحساسي بالعملية'. ويتفق في هذا البعد الشعوري الفيلسوف محمد بديع الكسم عندما يعتبر أن البرهان يصبح صحيحا لأنني اقتنعت به داخليا. صحيح أن في هذا بعدا يتصل بالتفكير،

إلا أنه يتصل بعمق في فكرة الشعور التي تعني الدخول في أعماق الذات. يقول: "الإنسان هو الذي يختار حقائقه، إذ يختار ذاته،... إن كل حقيقة- قيمة هي حقيقة- لي"، "العلم بدوره، ليس علماً إلا بالوجدان وللوجدان، فإذا كنت مثلاً أقرر نظرية فيثاغورث، فذلك لأنني رأيت أن هذه النظرية... بعد أن حققت في ذهني خطوات البرهان...إنها حقيقة لي، وصدقها عندي لا ينبع من صفتها الكلية، التي تفرضها على العقول جميعاً فرضاً واقعياً، إنما ينبع من بنيتي العقلية التي تلزمني بالتسليم بها إلزاماً"، "فعقلي يجد فيها توازنه وراحته".

يوضح ريدل أن الجسد يبصر وظيفة الشعور بالحكم عما إذا كان شيء ما صواباً أم خطأ، ونستطيع أن نتعلم بالتدريج كيف نستجمع المحتوي من كل أجزاء ذواتنا، وليس من الرؤوس فقط.

إن الشعور هو الذي يتساءل عن أولوية مشروع علمي وعواقب المعرفة المجتناة، أي أنه دوماً هو الناقد (التقييمي)؛ أي الباحث عن القيمة.

إن التفكير والشعور، كليهما، لبيب في وظائف التمييز بين الأولويات، وفي تقويم أهمية مشروع البحث العلمي، وفي جني المغانم الفكرية، وتبيان القيمة الجمالية، وفرض أخلاقيات الموقف، أي أن الشعور يقوم بالتمييز والنبذ، إنه يخبرنا بما نريده، ويقينا من إلحاق الضرر بأنفسنا وبالآخرين عن طريق المعرفة نفسها.

لقد لاحظ يونغ، الذي تستمد منه شيفرد أساسيات فلسفتها الأنثوية، أن الحب والقوة يستبعد كلاهما الآخر قائلاً: "حينما يحكم الحب، لا أحد يريد القوة، وحين تسود القوة يختفي الحب"، لتستنتج منه أن الشعور يأتي العلم بطراز من البحث مدفوع بحب الطبيعة، بدلاً من الرغبة في التحكم بها، ويعطيه الإحساس العاطفي بالعمل، والاستثارة بتعلم أشياء جديدة، والحبور برؤية نموذج ينبثق، أوليس الإنجاز العلمي هو (الانبثاق) Emerge، حسبما يقول باشلار؟، وهو من قبيل الزمن العمودي. هنا يترافق الشعور الجمالي بالانبثاق، بالخبرة، وبالتفكير فيما ليس مفكراً به مع الإنجاز العلمي نفسه، فتلهم التفكير، ويتكاملان معاً، ففيه (أي الشعور) تلك العاطفة نحو معرفة الطبيعة كمعشوق والانغماس الحميم فيها بحثاً، بحيث تقيم شعوراً بالارتباط بالطبيعة موضع البحث.

هذا الشعور بالارتباط بالطبيعة يحول بين العالم وبين التعامل مع منتجات الأرض على أنها مجرد بضائع لاستعمالها والاستغناء عنها، بل يدفع التوحد مع موضوع الدراسة، بما يفضي إلى معرفة أعمق.

إن الشعور يخلق وداً في العلم، أي نوعية تفاعل اجتماعي: هو التعاون وتقاسم العمل بين العلماء والباحثين ومساعديهم.

2- التلقي (الإنصات إلى الطبيعة)

التلقي حسب شيفرد واحد من خصائص الطراز البدائي للأنثوية، وهذا الترميز مأخوذ من الرحم، من حيث هي وعاء منفتح للإخصاب. وهذا التلقي يهب العلم انفتاحاً على الإنصات للطبيعة، والاستجابة في نوع من الحوار، أو التشارك مع الطبيعة.

إن ثمار التلقي في المعرفة العلمية لا تتبدى للعيان فوراً. إنه الذي يفسح المجال أمام الصبر على الأسئلة التي تستغرق وقتاً طويلاً، وتتطلب الكثير من التفكير عبر الإنصات، وليس العمل والإنجاز فقط، إنه ذلك التفحص للمعطيات، والإنصات من العلماء لبعضهم البعض. إنه ليس إنصاتاً سلبياً؛ إنه استدعاء للصبر وإيقاظ للوعي والانفتاح والاستجابة.

المتلقي يحتوي، ويجمع المعطيات. في داخله ينبثق شيء من التفاعلات والتحولات و التبدلات. وهو يستطيع بالتالي أن يقول لا، فهو ليس سلة مهملات تقبل كل شيء يلقى فيها. إنه التأمل في المعطيات، وصورة الإنصات إلى الطبيعة، وتلقي الآخرين، وأن يتلقاك الآخرون.

التلقي لا يخضع لمفردة السيطرة على الأشياء والتلاعب بها، إنه ملاحظة الأشياء وتركها تحدث، فتصبح الطبيعة معطيات ومعلومات مفتوحة للإدراك. وهذا يشكل أساساً للعلم، لأن العلوم هي في قاعدتها الأساس علوم ملاحظة.

التلقي هو تضحية بالأفكار المسبقة، وبالنظريات الدوغمائية. إنه أقرب إلى التواضع الذي يستطيع مالكه أن لا يصعب عليهم الاعتراف بأن الفكرة خاطئة، وبالتالي عدم الارتهان في محبس الأفكار. فالجهد اللازم كي يغير الناس أفكارهم يفوق ما هو مطلوب لجعلهم يتقبلون نظرية جديدة تطرح لأول مرة. فالإيديولوجي هو شخص لا ينصت. إنه لا يتلقى. يتمسك بالأفكار كما لو أنه يتمسك بأناه، ما يدفعه لعدم الاستماع أو القبول بالآخر. هذا ما حدث في اضطهاد غاليليو، وهو ما حدث بتهكم الفلكي أرثر إدنفتون من نظرية سابراهمنيان تشاندراسكار حول علاقة الكتلة بخسوف النجوم واحتاج الأمر إلى عشرين عاماً إلى أن يتم قبولها، وهذا ما حدث مع أينشتاين في نظرية النسبية الخاصة، وقد مارس السلوك نفسه تجاه الفيزياء الكمومية. ألا يقال: 'لا طاعة لنبي في قومه'؛ إنه المثال الذي يطرح نفسه كدليل على امتناع الإنصات والتأمل والتعلم لما هو جديد. فالجديد هو ماليس مفكراً به، والسائد يشكل عقبة إبيستمولوجية تمنع تعلم الجديد، كما يقول الفيلسوف الفرنسي غاستون باشلار.

إن الإنكار هو آلية نفسية مفيدة في حماية الذات من التعامل مع أشياء تهدد سكونها واطمئنانها إلى ما لديها. خاصة إذا ما كانت هذه الأشياء من قبيل العماء أو العشواء

(chaos) أو اللاخطية التي تكتنف الطبيعة، والتي تغدو غير قابلة للتنبؤ، أو التي لا يكون لها حل واحد.

العشوائية تماثل حسب شيفرد الخصائص الأنثوية: عدم القابلية للتنبؤ والعملية اللاخطية وأهمية السياق فيه وترابطية الأجزاء، وهي تعطي انطباعاً عن عالم متنوع يجب الإنصات إليه، وعدم الركون إلى النظرة أحادية الجانب.

يلاحظ يونغ أنه حينما يهيمن على الحياة الواعية اتجاه أحادي الجانب يبني المقابل المساوي له (رد الفعل) قوةً في اللاوعي، تثبط من أداء الوعي، حينئذ تستطيع المتقابلات أن تشكل شريكاً مساهماً، وهذا ما يستدعي أن يتم تلقيه والإنصات له، مما يجعلنا متحفزين دائماً لأن نبدل من منظورنا للعالم تبديلاً جوهرياً.

3- الذاتية: (اكتشاف النفس من خلال التجربة)

بخلاف التصور النفسي، أو حتى المرضي (Egocentrism)؛ نعني التمحور حول الذات، فإن الذاتية عند شيفرد هي أمر إلى حد ما في أنثوية المعرفة. متسائلة: "ماذا لو أن النظرة الموضوعية للطبيعة استضاءت عن وعي بما هو شخصي، وأقيم الشخصي على أساس الموضوع؟".

تستند شيفرد في رؤيتها للذاتية للاختبارات التي تؤكد أن البشر، في واقع الأمر يتعلمون كيف يرون؛ فمن أجل الخروج بمعنى من خبرة ما لا بد أن يؤوّل وعينا الدفعات الكهربائية المنقولة من الحواس إلى الدماغ. وبالتالي، فجانب من تكيفنا العادي هو اتفاق مع الآخرين بشأن ما نراه وما نسمعه (وكأنها هنا تعتبر الوعي هو اتفاق، أو مواضعة، بين الناس، تشكلها حالة الوعي السائد)، كما هو الحال في تجربة القطط التي وضعت في بيئة لا ترى فيها سوى شرائط أفقية. وحين البلوغ لم تعد تستطيع أن ترى سوى العالم الأفقي، وكذلك فإن الذين يولدون مكفوفين ويسترون بصرهم بعد عملية جراحية لا يعرفون كيف يفسرون ما يرونه. وعلى هذا الأساس فهي ترى أن الواقع الموضوعي شيء نعتقد أننا جميعاً نتشارك فيه. ومثل هذه الدراسات تؤكد على أن جهازنا العصبي لا يتقبل إلا ما تمت برمجتنا على رؤيته. إنها إشارة من شيفرد إلى المواضعاتية من ناحية، وإلى العقبة الإيبستمولوجية كما جاءت عند الفيلسوف الفرنسي غاستون باشلار، الذي يعتبر أن المعرفة الشائعة، والجانب النفسي في المعرفة، كلاهما يشكل عقبة إيبستمولوجية في وجه التطور المعرفي الذي هو بكلمة (التفكير في ما ليس مفكراً به). ولهذا فإن ما نعتاد عليه يمنع عنا التفكير في ما لم نفكر به، أو في ما لا تسمح لنا حواسنا برؤيته. فالنحلة لا ترى اللون الأحمر، بل ترى الألوان فوق البنفسجية، والخفاش يدركها كصدى لموجاته فوق

الصوتية، ويشعر بها الثعبان كأشعة تحت حمراء، وعينا الحرباء تتحرك على محورين، أي أنها ترى أبعاداً غير أبعاد رؤيتنا. وهذا ما يطرح تساؤلاً عن موضوع الكون الموضوعي، إلا أن الإيبستمولوجي في جامعة هارفارد (إزرايل شيلفر) يرى العلم كمشروع نسقي عام، المحكوم بالمنطق، وبالواقعة التجريبية، وهدفه صياغة الحقيقة التي هي: الوضع الذي تتبدى به حاله ما في زمان ومكان، وحيث يشدد العلم على البحث الموضوعي الذي يتنزه ولا ينحاز ويتجرد ويخلو من الأنا، إلا أن شيفرد ترى غير ذلك، إذ تعتبر أن المعرفة (بناثية) مستخدمة مصطلح مارلين فيرجسون "المعتقد التجريبي" لوصف موقف التفتح للإنصات إلى مفاهيم جديدة. وهنا يتأسس مفهوم (فن الإنصات) وهو أن نكون متفتحين لأن نسمح لشيء ما أن يلج دون أن نعترض سبيله بتفكيرنا وبتأويلاتنا. وهو فن يتطلب تعليقاً مؤقتاً للشك وللإنكار، وذلك عن طريق (انعكاس الذات) بالسؤال: لو أن هذا صحيحاً، فماذا إذاً؟ علام يدل ضمناً؟ ما هي محصلات هذه الفكرة؟.

إن الموضوعية، من حيث هي أداة لاجتياز عدم الثقة، قد خدمت في خلق واقع مجمع عليه، ولكن على حساب المختلف والعياني. وهنا يعتبر العالم الداخلي فحص هوى وخيال، وهذا نتاج فلسفة الوضعية المنطقية التي تغلغلت في ثنايا العلم الحديث كمقاييس ضد الخرافات. وعليه فإن شيفرد ترى بأن خلق واقع مجمع عليه من خلال الموضوعية لا يعادل بالضرورة الحقيقة أو الواقع (بمعنى الموجود هنا). ففي عام 1989نشرت لجنة السلوك العلمي في الأكاديمية القومية للعلم كتيباً بعنوان "في أن تصبح عالماً" تعترف فيه بأن المعرفة العلمية تنشأ عن "عملية إنسانية" إلى حد بعيد، وأن الجانب الأكبر من المعارف التي يستخدمها العلماء في اتخاذ القرارات ليست نتاجاً للبحث العلمي، بل تتضمن بديلاً من هذا أحكاماً محملة بالقيمة والرغبات الشخصية، وحتى شخصية الباحث وأسلوبه.

وإذ يقيم الذاتيون الحجج في مواجهة الموضوعية، توافق شيفرد على أن المقاربة الذاتية المحض ليست مفيدة، لأنها لا تسمح بالمشاركة في المعرفة، فهي ترى ضرورة استضاءة النظرة الموضوعية للطبيعة عن وعي بما هو شخصي، على أن يقام الشخصي على أساس الموضوع. فمن المنظور الأنثوي؛ "كل حقيقة كائنة في سياق". وعلى الرغم من أننا قد لانعرف الحقيقة أبداً، إلا أننا نستطيع استكشاف الوجوه المختلفة للواقع بتقارب متزايد. وتعتبر أن نظرية الكوانتم (الكوانية) كما نظرية العشواء قد بدلتا من حال الفيزياء والرياضيات كل على الترتيب. فبدلاً من كون جامد من الموضوعات يلاحظه العالم المتجرد تكشف نظرية الكوانتم عن شبكة كلية من المتواصل المتبادل. ففي الكوانية تتبدى الخصائص المحالة إلى الأنثوية، حيث أن مبدأ اللايقين لهيزينبرغ يمثل بعضاً من المعالم

المرافقة لنظرية الكوانتم، وبالتالي للعلاقة بين الملاحظ والملاحظ. وبالتالي، فإن النوع البشري كله، والطبيعة بأسرها، جزء من المنظومة نفسها. وعليه، فإن النظرية الكوانتية تثبت، كنظرية العشواء، أن عدم القابلية للتنبؤ أساسية في الطبيعة (وهذا ما يتم غالبا إسقاطه على الأنثوية) حيث أننا لا نستطيع الحديث إلا بلغة الاحتمالات، واللايقين الذي يدمجنا في تغذية خلفية راجعة Feed Back (استراجاعية) بحيث نعدل عملياتنا أثناء سيرنا. فالكوانية تؤكد أن الواقع لا يمكن أبدا وصفه بدقة. فاللايقينيات تتضخم بعمليات تكرارية، حتى يصبح لها تأثير جوهري على العالم الأكبر.

إن العلم بتوجهه نحو الموضوع والمعطيات الموضوعية يتخذ رؤية انبساطية للعالم، وتكون الذات هي العامل المحرك الأول، والموضوع ذا أهمية ثانوية. وبالإعلاء من قيمة قدرتنا على الإحاطة الموضوعية بالعالم نقمع أهمية إسهامات العوامل الذاتية، وأهمية اكتشافنا في المادة العلمية، فكلما أتعلم أكثر عن العالم، أتعلم أكثر عن نفسي، وبالتالي أتعلم أن أسترجع الإسقاطات التي أقولب فيها العالم. إن هذا الإسقاط يطابق الرؤية التي لدى يونغ، والتي لدى باشلار أيضا. فالعالم عند الأخير يتم تصغيره، وبالتمثل نعيد تكوينه وتشكيله، فيكون واقعا، مبنيا، واقعا ينتمي إلينا ربما أكثر مما ينتمي إلى ذاته، واقع لنا ومعنا. فالعالم هو تمثيلي.

هذا الإسقاط عند يونغ هو ترحيل المحتوى الذاتي إلى موضوع، إلا أن إسقاطنا على موضوع ما لا يعني أن العالم محض وهم.

مؤتمر التربية الوجدانية للطفل

تعقد كلية رياض الأطفال في جامعة القاهرة مؤتمراً علمياً حول التربية الوجدانية للطفل 8-9 نيسان / أبريل2006.

رئيس المؤتمر

أ . د . سامية مصطفى الخشاب (عميد الكلية)

محاور المؤتمر

1- دور المؤسسات التربوية في التربية الوجدانية للطفل (دور الأسرة . دور رياض الأطفال . دور المدرسة . دور وسائل الإعلام . دور مؤسسات المجتمع المدني).

2- التربية الوجدانية وصحة الطفل النفسية (علاقة التربية الوجدانية بالاضطرابات السلوكية . علاقتها بالذكاء الوجداني . علاقتها بأساليب الحياة . علاقتها بإدارة الوجدان).

3- أثر ثقافة المجتمع في التربية الوجدانية للطفل (أثر الثقافة الدينية . أثر الثقافة العلمية والأدبية . أثر التراث الشعبي).

4- التربية الوجدانية وصحة الطفل الجسمية.

آخر موعد لتقديم البحوث هو الأسبوع الأول من شهر شباط/ فبراير 2006.

المراسلات

كلية رياض الأطفال جامعة القاهرة . القاهرة، مصر

تلفون وفاكس 3396744- 00202

00202 - 7622821

بريد إلكتروني: ftkcairo@yahoo.com

ashor312002@yahoo.co.uk

اليوم الطبنفسي الثاني للطفل والمراهق

فرط النشاط وعوز الانتباه عند الطفل والمراهق

www.arabpsynet.com/congress/2emeJourpsySfax.pdf

قسم طبنفس الطفل في صفاقس ـ تونس

وحدة البحث النفسطبي للطفل والحدث برعاية كلية الطب في صفاقس.

22 نيسان /أبريل 2006- نزل سيفاكس / صفاقس ـ تونس.

المؤتمر الدولي لجامعة الأقصى*
النص بين التحليل والتأويل والتلقي

كلية الآداب والعلوم الإنسانية في جامعة الأقصى/ غزة من 4-6 نيسان/ أبريل 2006 م.

تتشرف جامعة الأقصى، ممثلة برئيسها ومجلس جامعتها، بدعوة جميع الأكاديميين المختصين في الجامعة الفلسطينية والعربية والأجنبية للمشاركة في هذا المؤتمر الذي سينعقد في رحاب جامعة الأقصى، من 4-6 نيسان/ أبريل 2006 باللغتين العربية والإنكليزية؛ وذلك وفقاً لمقتضيات البحث وتخصص الباحث.

ستقوم الجامعة بنشر الأبحاث المشاركة، بعد إخضاعها لقواعد النشر والأصول البحثية المتبعة في تحكيم الأبحاث لدى عمادة البحث العلمي في الجامعة.

1- أهداف المؤتمر

يهد المؤتمر إلى إثارة جملة من القضايا المركزية في منظومة الأداء المفهومي للنص على اختلاف أجناسه وأشكاله وعلومه ومناهج تحليله وتأويله، ونظريات تلقيه ومستويات مثاقفته واستكشافاته؛ سواء أكان ذلك في أدب ونقد اللغة العربية والإنكليزية وعلومهما اللغوية والنحوية، أم في علم الاجتماع والتاريخ والسياسة والإعلام والتربية والدراسات الإسلامية، وغيرها من العلوم الإنسانية.

* - عن مجلة شبكة العلوم النفسية العربية العدد 6 (نيسان - أيار - حزيران) 2005

كما يهدف المؤتمر إلى إلقاء الضوء على آليات فهم النص وتجليات تكونه، وجمالياته جدلياته، مع محاولة استكشاف رؤى قادرة على استثمار كل أدوات المعرفة ومرتكزاتها على نحو يجعل منها وسيلة إبداعية ذات قيمة عظيمة. ولعل من نافلة القول بأن هذا المؤتمر يهدف إلى تحقيق حالة من التواصل العلمي المثمر بين الباحثين على اختلاف علومهم وأفكارهم ومشاربهم ولغاتهم وجنسياتهم.

د. علي زيدان أبو زهري. رئيس المؤتمر

د. موسى إبراهيم أبو دقة

رئيس اللجنة التحضيرية للمؤتمر

- **المحور الأول:** التحليل والتأويل وسياق النص

يتناول هذا المحور نظريات التحليل والتأويل، وقدرتهما على مقاربة النص، وفق أدوات وإجراءات تختلف نسبياً في قدرة سيطرتها على النص، ويمكن أن يشمل هذا المحور:

- مقاصد التحليل وشفرة النص.
- البنية اللغوية والنحوية وجدلية التأويل.
- تحولات النص.
- الدال والمدلول بين الحضور والغياب.

- **المحور الثاني:** استراتيجية النص ومستويات التأويل

يرتكز هذا المحور على نسبية الإرسال والاستقبال وجدليتهما في متن النص وهوامشه، ويتناول هذا المحور:

- تجليات المثاقفة واستدعاء الذاكرة.
- سلطة النص ونسبية التلقي.
- جماليات النص من منظورات متعددة.
- النص المفتوح وسقوط الأجناس.
- النص المشكل.

- **المحور الثالث:**

- الناقد ومقاربة النص.
- الشاعر ناقداً.
- أنواع القراءة.

- **المحور الرابع:** التاريخ بين الحدث والرؤيا والتشكيل. يركز هذا المحور على القراءات للنص التاريخي:

- فلسفة النص التاريخي وأبعاد التوثيق والتحليل.
- استراتيجية التاريخ وتعدد المرايا.
- النص التاريخي بين الذاكرة والمؤسسية المعرفية.
- قراءة التاريخ من منظورات مختلفة.

- **المحور الخامس:** النص الاستشراقي واختلاف الهوية
- تأويل النص وتغيير الثابت وتثبيت المتغير.
- النص القرآني والحديث النبوي والتأويلية الاستشراقية.
- فلسفة النص الاستشراقي للنص التاريخي.

- **المحور السادس:** النص السياسي بين التأويل الإعلامي والتحليل المفهومي
- النص السياسي العربي وتعدد مستويات التأويل والتلقي.
- الشاعر والسياسي، منطلقات ومفترقات.
- النص الإعلامي في انتفاضة الأقصى.
- النص الإعلامي وانعكاساته على بنية المجتمع.

- **المحور السابع:** الفن التشكيلي بين فلسفة المبدع وتأويلات التلقي.
- الفن التشكيلي وامتداد الرؤيا.
- النحت وآلية التواصل.
- تحولات النص البصري وتعدد القراءات.
- لوحة الغلاف بين التشكيل الفني والمضمون الدلالي.

- **المحور الثامن:** "فهم النص الشرعي.. التحليل بين التأويل والتطبيق".
- إعجاز النص القرآني والنبوي.
- نسخ النصوص القرآنية والنبوية.
- تأويل النص الشرعي وأثره في الاختلاف العقائدي الفكري الفقهي.
- فهم النص الشرعي في ضوء الواقع المعاصر.

- **المحور التاسع:** البنية المعرفية وفهم النص من منظور تربوي.
- التحليل النفسي لبنية النص.
- البنية النفسية والاجتماعية للنص.
- الاستراتيجيات التربوية لفهم النص.
- التأصيل التربوي لفهم النص العلمي.
- تحليل الخطاب التربوي.

2- شروط المشاركة

- أن تكتب الأبحاث باللغة العربية أو الإنكليزية.
- أن يلتزم الباحث بالمنهج العلمي المتعارف عليه في إعداد الأبحاث.
- ألا تزيد عدد صفحات البحث عن ثلاثين صفحة من مقاس A4، ويرفق مع البحث ديسك (3.5) أو أسطوانة، أو أن يرسل عن طريق البريد الإلكتروني:

foart@alaqsa.edu.ps

أو drmousa@alaqsa.edu.ps

أو drmousa2000@yahoo.com

- أن يرسل الباحث مخلصا خلال الفترة المحددة، لا يزيد الملخص عن صفحة واحدة باللغة العربية مترجمة إلى اللغة الإنكليزية أو بالعكس.
- نبذة موجزة عن السيرة الذاتية العلمية والوظيفية لا تزيد عن صفحة واحدة.
- لا يجوز تقديم أبحاث سبق أن قدمت في مؤتمرات سابقة، أو قبلت للنشر في مجلات علمية.
- يتم تقييم الملخصات والأبحاث وإخطار الباحث المعني بنتيجة التقييم.
- التواريخ النهائية:
  - آخر موعد لاستلام الملخصات 2005/8/1م
  - آخر موعد للإخطار بقبول الملخصات 2005/8/15م.
  - آخر موعد لاستلام الأبحاث الكاملة 2006/1/1م.
  - آخر موعد للإخطار بقبول الأبحاث 2006/3/1م.
- منح مكافأة بقيمة 500 دولار (خمسمائة دولار أميريكي) لأفضل بحث في كل محور من المحاور الرئيسية.

تتحمل الجامعة نفقات الإقامة طيلة فترة المؤتمر للمشاركين بأبحاث من خارج فلسطين، بالإضافة لنفقات السفر. يمكن المشاركة في المؤتمر لمن يتعذر حضوره عبر الفيديو المتفاعل (video conference)

2.1- أسلوب كتابة الأبحاث وقواعد التوثيق

تستقبل الأبحاث التي تتميز بالأصالة والجدة في مختلف محاور المؤتمر، باللغتين العربية والإنكليزية.

تستقبل الأبحاث مطبوعة بالكمبيوتر على ورق من A4، باستخدام برنامج (WORD) بخط:

- **باللغة العربية**

simplifed Arabic، حجم الخط (14) غامق للعنوان الرئيسي، (13) غامق للعناوين الفرعية، (12) عادي لباقي النصوص، وترقيم الصفحات، والمسافة مفرد بين الأسطر.

- **باللغة الإنكليزية**

Times New Roman، حجم الخط (14) غامق للعنوان الرئيسي (13) غامق للعناوين الفرعية، (12) عادي لباقي النصوص، وترقيم الصفحات، والمسافة مفرد بين الأسطر.

تكون الهوامش (5سم) أعلى و (5سم) أسفل، (4سم) يمين و (4سم) يسار.

يسبق الصفحة الأولى (عنوان وملخص البحث) غلاف، موضحا عليه عنوان البحث باللغة العربية والإنكليزية، واسم من قام بإعداده باللغة العربية والإنكليزية، ولقبه العلمي ووظيفته وعنوانه البريدي والإلكتروني.

يكتب عنوان البحث ثم ملخصه باللغتين العربية والإنكليزية في حدود صفحة واحدة، ثم يبدأ بمادة البحث التي تشمل المقدمة والنتائج والمناقشة، إضافة إلى المراجع والملاحق، وتتخلل الجداول والأشكال والصور مادة البحث (متن البحث).

لمزيد من المعلومات حول أسلوب كتابة الأبحاث وقواعد التوثيق يرجى مراسلتنا على العنوان:

جامعة الأقصى – كلية الآداب

د. موسى إبراهيم أبو دقة

خان يونس. غزة. فلسطين

ص. ب 7048

تلفاكس 2068209- 009708

بريد إلكتروني: foart@alaqsa.edu.ps

drmousa@alaqsa.edu.ps, drmousa2000@yahoo.com

المؤتمر العالمي الثالث عشر للطب النفسي

World Psychiatric Association

Organise

XIII World Congress of Psychiatry

EGYPT - Cairo

September 10-15/2005

Email: secretariat@wpa-cairo2005.com

Website: www.wpa-cairo2005.com

5000 Years of Science and Care -Building the Future of Psychiatry': the 13th World Congress of Psychiatry

The 13th World Congress of Psychiatry will take place in Cairo,Egypt from 10 to 15 September, 2005. This is the first time in the history of the WPA that an African and Arab country hosts the World Congress.

From Egypt came the first calendar, the earliest script, the oldest known love song, the first decorated stone monumental building and the tallest tomb. Egypt also has the oldest university in the world (the Islamic University of Al Azhar). It is home to five World Heritage sites: Memphis, capital of the Old Kingdom, with its associated necropolis; the modern city of Luxor with its temples and tombs; all of the Nubian temples from Abu Simbel to Philae; the early Christian pilgrimage center of Abu Mina, and the ancient Islamic quarter of Cairo. Ancient Egyptians knew mental disorders 5,000 years ago. In spite of the mystical beliefs, psychiatric patients were cared for and treated, as were those with physical ailments. In the country that has given birth to the foundations of civilization, we shall organize our World Congress of Psychiatry in 2005 around the theme '5,000 Years of Science and Care – Building the Future of Psychiatry', thus discussing the old and the new with a view on future progress. World Congresses of Psychiatry are held to examine the worldwide status and future directions of psychiatry; increase worldwide exchanges of information among psychiatrists and between psychiatrists and other mental health professionals, as well as patients and their families; improve educational and quality of care standards by providing up-to-date informational and skills development opportunities on important and timely topics, including the presentation of WPA educational programs and other activities; support and stimulate collaborative research in the biological, psychological and social sciences relevant to psychiatry and

mental health; strengthen links among WPA Member Societies and Affiliated Associations; make psychiatry more visible at the regional and international levels, as well as promote the institutional effectiveness and international standing of the host Society, and facilitate the exercise of WPA organizational functions through General Assemblies and other business meetings, in a context where diverse cultures have the chance to interact, learn from and about each other. The Cairo Congress will discuss the state of the art as regards all the complexities of today's psychiatry, through addressing a multiplicity of issues such as human development; biological psychiatry and neurosciences; social and cultural psychiatry; psychiatry in Africa and other developing regions; epidemiology and public health; diagnostic systems; dementia and related cognitive disorders; substance abuse and dependence; schizophrenia and related disor- ders; mood disorders; anxiety, stress and adjustment disorders; dissociative and somatization disorders; eating, sexual and sleep disorders; personality disorders and accentuated personality; child and adolescent mental and behavioral disorders; suicide and other dangerous behaviors; HIV and psychiatry; primary care and mental health; pharmacotherapies; psychotherapies; sociotherapies; prevention and health promotion; ethics, law, human rights and mental health; mental health economics and services research. Several symposia with contributions from all the 55 WPA scientific sections will be organized, as well as special, regular and industry-supported symposia, panels, workshops, seminars, meet-theexpert sessions, forums, debates and posters from East and West, North and South, developed and developing countries, in addition to video teleconferences, new book and journal presentations, new research paper sessions and free oral communications. For the first time in a World Congress, master clinical case conferences will be held with worldwide pioneers in clinical psychiatry, where the opportunity for active participation and intervention of the audience will be available. In fact, over 90% of the participants in the Congress will be clinicians, who need

to return home with a matrix for upgrading knowledge and skills, renewing professional and personal relations and establishing new ones. Emphasis on partnership as a vital element of our profession will be the focus of attention, including partnership among mental health professionals, and between them and consumers on the one hand and policy makers on the other, and also the partnership between developed and developing countries. For further details on the Congress and deadlines for submission of contributions, please visit the website www.wpa-cairo2005.com. The four plenary lectures will be delivered by the WPA President and President Elect, the Egyptian 1999 Nobel laureate in Chemistry Ahmed Zewail, and the winner of the Jean Delay Prize 2005 (this is the Nobel Prize of the WPA, usually awarded to neuroscientists of high caliber, most probably from developed countries). For the first time in a World Congress of Psychiatry, a special award for two young scientists in developing countries will be presented: the WPA Okasha Award (see the WPA News in this issue of World Psychiatry for further information). The 13th World Congress of Psychiatry will attempt to translate scientific advances into a better care for mental patients, reflecting the essence of our theme '5000 Years of Science and Care – Building the Future of Psychiatry'. You are welcome in Egypt to enjoy the recent developments in our profession, while hosted by a country which is the cradle of civilization.

Prof. Ahmed Okasha
President of XIII World Congress of Psychiatry

- Tentative List of Topics

Aggression / Aging / AIDS and HIV Related Disorders / Alcohol and Substance Abuse Disorders / Alzheimer's Disease / Animal Models in Psychiatry / Anticholinergics / Anticraving Drugs / Antidementive Drugs / Antidepressants / Antipsychotics / Anxiety Disorders / Anxiolytics /

Attention Deficit/Hyperactivity Disorder / Autistic Disorders / Biological correlates of Mental Disorders / Biological Markers / Biological Rythms / Bipolar Disorders / Brain Imaging / Child and Adolescent Clinical Psychiatry / Cognition Enhancing Drugs / Cognitive Neuropsychiatry / Community Services / Comorbidity in Psychiatry / Cost Issues in Psychiatry / Dementia / Depression / Developmental Disorders / Dissociative Disorders / Drug Dependence / Eating Disorders / Education in Psychiatry / EEG-Mapping / Electro Convulsive Treatment (ECT) / Emergency Psychiatry / Epidemiology and Mental Disorders / Epilepsy / Ethics of Psychiatric Practice and Research / Evidence based Psychiatry / Extrapyramidal Syndromes / Forensic Psychiatry / Gender Issues in Psychiatry / Generalized Anxiety Disorders (GAD) / Genetics/Molecular Genetics of Psychiatric Disorders / Geriatric Psychiatry / Herbal Psychotropics / History of Psychiatry / Hospital Psychiatry / Hypnotics / Hypnotics: Clinical Impulsecontrol disorders / Internet and New Communication Methodology / Magnetic Resonance Imaging / Maintenance Treatment / Memory and Cognitive Disorders / Mental Health Economics Mental Retardation / Migraine and Tension Headache / Molecular Neurobiology and Pharmacology / Mood Disorders / Neuroendocrinology / Neuroimaging / Neurophisiology / Neuropsychiatry / Neuropsychology / Neurosteroids / Neurotoxicology / Obsessive-compulsive Disorders (OCD) / Organic Mental Disorders / Other Psychiatric Disorders / Panic Disorders / Patient Education / Personality Disorders / Pharmacoeconomics / Pharmacogenetics / Pharmacokinetics / Philosophy and Psychiatry / Phobias / Posttraumatic Stress Disorder / Premenstrual Syndrome / Prevention in Psychiatry / Psychiatric Education / Psychiatric Nursing / Psychiatric Rehabilitation / Psychoneuroimmunology / Psychogeriatrics / Psychoimmunology / Psychoneuroendocribiology / Psychopharmacology / Psychophysiology / Psycho-social factors and mental health / Psychotherapy / Psychotic Disorders / Quality Assurance / Rehabilitation / Research Strategies and Methods / Schizophrenia / Sexual

Disorders / Side Effects of Antidepressants and Antipsychotics / Sleep Disorders / Social Network Interaction / Social Psychiatry / Somatic Disorders / Somatoform Disorders / Stress Disorders / Substance Related Disorders / Suicide Prevention / Suicide / Telemedicine in Psychiatry / Traditional and Alternative Treatment in Biological Psychiatry / Trans-cranial Magnetic Stimulation (TMS) / Transcultural Psychiatry / Transgenic Models / Treatment Techniques and Issues / Vascular Dementia / Violence / Withdrawal from Drugs.

IMPORTANT ADDRESSES

Please address all correspondence concerning the congress to:
XIII World Congress of Psychiatry Scientific and Technical Secretariat

TILESA OPC, S.L.
c. Londres, 17 - 28028 Madrid (Spain)
Tel.: +34 913 612 600
Fax: +34 913 559 208
e-mail: secretariat@wpa-cairo2005.com
Travel Agent

EMECO Travel
Accommodation, Tourist Services
e-mail: accommodation@wpa-cairo2005.com
For the latest information, please visit our web site:
http://www.wpa-cairo2005.com

إصدارات مركز الدراسات النفسية

طرابلس – لبنان – ص.ب 3062 التل / فاكس 961-6-438925 هاتف961-6-441805

- أصول الفحص النفسي ومبادئه
- قراءات مختلفة للشخصية – تحليل لشخصيات (نجيب محفوظ)
- الدليل النفسي العربي
- النفس المغلولة (سيكولوجية السياسة الإسرائيلية)
- يهود يكرهون أنفسهم – محاكم التفتيش الصهيونية بين معاداة السامية ولاسامية الأنا
- التحليل النفسي للرئيس الأميركي وودرو ولسون

مركز الدراسات النفسية والنفسية الجسدية

يدعوكم لزيارة مواقعه على الإنترنت

WWW.Filnafs.com

WWW.Psyinterdisc.com

WWW.Psychiatre- naboulsi.com

- العنوان: الإرهاب.. الظاهرة وأبعادها النفسية.
- المؤلف: ماجد موريس إبراهيم.
- الناشر: دار الفارابي - لبنان (2005).

يرى البعض أن الإرهاب هو شكل من العنف السياسي غير الأخلاقي، وغير المبرر، ولكن هذه الرؤية تلزمنا بتحديد المرجعية الأخلاقية، وتلزمنا أيضاً بتقييم المبرر الظاهر، أو حتى الباطن للفعل الإرهابي، إذ إن الإرهاب ينطوي على مواجهة بين نقيضين، كل نقيض يجد في الصراع المحتدم وجها يبرر موقفه، ويضفي الشرعية على تصرفاته. فما يعتبره الشعب (حرب تحرير) يعتبره المحتل (حركة إرهابية)، وما تعتبره الجماعات المتطرفة عنفاً سلطوياً تمارسه الحكومة، تعتبره أجهزة الحكم واجباً وطنياً تكلفها به جموع الشعب من أجل الحفاظ على استقرار الوطن وسلامته، وما يعتبره رجال الدين والمحافظون من المفكرين دعماً لثوابت المجتمع، يعتبره بعض المبدعين إحباطاً ووأداً للفكر الحر الابتكاري. الإرهاب ظاهرة صراعية متشابكة العناصر تتنوع أدواتها، ولكنها تتمحور في كل أوجهها حول محور الخوف من الآخر وتخويفه.

- العنوان: العلاج بالتحليل النفسي - الحالة دومينيك.
- تأليف: فرانسواز دولتو.
- الناشر: قدمس للنشر والتوزيع - سورية (2002).

الكتابات العيادية بمعنى محاضر الجلسات نادرة في العلاج بالتحليل النفسي، وهناك مجموعة الوثائق الشفهية والكتابية التي منحنا فرويد إياها عن بعض الحالات التي عالجها. ويتجه تفكيري بهذا الشأن في ما يخص التحليل النفسي للأطفال.

- **العنوان: علم النفس العصبي.**
- **المؤلف: د. سامي عبد القوي.**
- **الناشر: جامعة الإمارات.**

يقع الكتاب في 473 صفحة، تتضمن عشرة فصول. ويتناول الكتاب طبيعة العلاقة بين المخ بمراكزه ووظائفه المختلفة من ناحية، والسلوك الإنساني من ناحية أخرى. ويبدأ بتعريف لعلم النفس العصبي، ومن هو الإختصاصي النفسي العصبي، وكيفية إعداده، ومتطلبات هذا الإعداد. كما يتناول الكتاب النواحي التشريحية والوظيفية للجهاز العصبي المركزي، وخاصة المخ. ثم يتعرض للتناظر المخي لنصفي المخ، سواء التناظر التشريحي أو الوظيفي. ويتناول الكتاب في فصوله بعد ذلك العمليات العقلية العليا، كالانتباه والذاكرة واللغة والوظائف الانفعالية والسلوك المكاني، وأخيراً التفكير والوظائف التنفيذية. بعد ذلك يستعرض الكتاب طرق البحث المختلفة في مجال الأبحاث النيوروسيكولوجية، ثم عمليات التقييم النيوروسيكولوجي من حيث متطلباته ومحكات اختيار بطاريات التقييم المختلفة، وتطبيقات هذا التقييم بشكل عام، وفي مجال الأطفال والمسنين بشكل خاص، وينتهي الكتاب إلى كيفية كتابة التقرير النيوروسيكولوجي. وفي ذيل الكتاب يوجد ثبت بالمصطلحات، الخاصة بعلم النفس العصبي مترجمة للغة العربية كمحاولة لتوحيد ترجمة المصطلحات بما يساعد على لغة تواصل واحدة.

فصول الكتاب

- **علم النفس العصبي: النشأة والأهمية**

ويتناول تعرف علم النفس العصبي، وأهمية دراسته، ومتطلبات إعداد الاختصاصي النفسي العصبي، ومستقبل هذا العلم.

- **الجهاز العصبي: تشريحه ووظائفه.**

ويتضمن الأنسجة العصبية، وتقسيم الجهاز العصبي، والإصابات المختلفة التي يمكن أن تصيبه، ثم المخ بنصفيه الكرويين وفصوصه المختلفة (الجبهي والصدغي والجداري والمؤخري)، والجهاز الطرفي (النطاقي).

- **تخصص وتناظر نصفي المخ**

ويتناول اللاتناظر التشريحي والوظيفي، والدراسات التي تناولت تخصص نصفي المخ، وتفضيل استخدام اليد، ونظرياته.

- الوظائف العليا

ويتناول وظائف الانتباه والذاكرة واللغة واضطراباتها(الأفيزيا، وصعوبات القراءة، والعمليات الحسابية)، والسلوك المكاني، والوظائف الانفعالية، والتفكير والوظائف التنفيذية.

- طرق البحث والتشخيص في علم النفس العصبي

ويتناول الملاحظات الإكلينيكية، ودراسات الأمخاخ المقسومة، ورسام المخ، والحقن بأميتال الصوديوم، وقياس الموصلات العصبية، والتصوير الدماغي سواء التشريحي منه (الأشعة المقطعية، والرنين المغناطيسي) أو التصوير الوظيفي (قياس كمية الدم في المخ، والتصوير بالبوزيترون، والرنين المغناطيسي الوظيفي).

- التقييم النيوروسيكولوجي

ويبدأ بنظرة تاريخية، ثم متطلبات عملية التقييم، ومشاكله، ومحكات اختيار أداة التقييم، وبطاريات التقييم المختلفة كبطارية هالستيد-رايتان، وفحص لوريا العصبي، وبطارية لوريا نبراسكا، وغير ذلك من بطاريات. ثم يستعرض كيفية استخدام اختبارات الذكاء في التقييم النيوروسيكولوجي، واختبارات تقييم الإصابات العضوية كاختبار بندر-جشطالت، واختبار بنتون للاحتفاظ البصري، واختبار التعقب، وأخيراً اختبارات تفضيل اليد.

- تطبيقات التقييم النيوروسيكولوجي

ويشمل تقييم الاضطرابات الوظيفية في مقابل الاضطرابات العضوية، وتقييم إصابات الرأس، واضطراب المخ الخفيف، وتقييم التدهور العقلي، وتقييم الوظائف العقلية العليا، والوظائف الحسية، والتوجه المكاني، وفصوص المخ، وتقييم الوظائف التنفيذية.

- التقييم النيوروسيكولوجي للأطفال

ويتضمن البطاريات المختلفة المستخدمة في تقييم الوظائف المخية لدى الأطفال، وتطبيقات هذا التقييم

- التقييم النيوروسيكولوجي للمسنين

ويبدأ الفصل بتناول التغيرات التي تصيب المسنين نتيجة كبر السن، والاعتبارات الواجب اتخاذها عند تقييم هذه الفئة العمرية، والاختبارات المستخدمة في تقييم المسنين، كاختبار تقييم العته، واختبار جريشام، واختبار الحالة العقلية المصغر.

- كتابة التقييم النيوروسيكولوجي

ثبت المصطلحات: ويتضمن قائمة بأكثر المصطلحات استخداماً في علم النفس العصبي، باللغة الانجليزية وترجمتها.

- العنوان: علم النفس والمخابرات.
- تأليف: د. عمر هارون الخليفة.

الجاسوسية حلقة مفقودة يلفها غموض لا ينتهي، موسكو استخدمت 300 ألف جاسوس في ذروة قوتها. تهدف هذه المحاولة البحثية بصورة محددة إلى دراسة العالم السري لتطبيقات علم النفس الكبرى في مجال المخابرات. وإنه لأمر مشروع الإدلاء بشهادة عن حسن أو سوء توظيف علم النفس. إن البحث في هذا المجال الغامض أو السري قد يثير تساؤل البعض: ما هي علاقة الباحث بالمخابرات؟ يحملني هذا السؤال للقول بصورة واضحة بأني لست عميلاً أو جاسوساً أو متعاوناً مع أي من المخابرات من قريب أو بعيد، ولم أكن كذلك. ولكني أدرك الدور المهم الذي يقوم به علم النفس في مجال الاستخبارات. ويعتبر التجسس ثاني أقدم مهنة بعد الدعارة، ولا أدري لماذا كانتا أقدم مهنتين على وجه الأرض. ويعتقد البعض، مثلاً فولكمان، بأنها ثالث مهنة. وتكتسب السمعة السيئة الرديئة نفسها التي اكتسبتها المهنتان التاريخيتان السابقتان عليهما، كما قال أحد المؤرخين، فإن التجسس كان إحدى ثلاث مهن بدائية ظهرت في بداية التجربة الإنسانية على هذا الكوكب: الشامان، والجاسوس، والعاهرة. وتختلف مسألة تحديد أي من تلك المهن التي اكتسبت سمعة رديئة أكثر من غيرها باختلاف الآراء، وليس هناك اختلاف في الرأي، مع ذلك، حول أي من المهن التي اكتسبت سمعة أشد غموضاً.

جاسوس لكل اللغات، وهناك تسميات متشابهة لكلمة (جاسوس) في اللغات الأجنبية. فهي بالفرنسية (ايسبيون)، وبالإنجليزية (سباي)، وبالإيطالية (سبيوني)، وبالإسبانية (ايسبيون)، وبالروسية (شبيون)، وبالألمانية (سبيون). وفي اللغة العربية قد تستخدم تسمية (المخبر) أو (العميل) أو (رجل الاستخبارات) أو (رجل المخابرات) وهم كلهم جواسيس. ويأتي هذا (الجاسوس) أو (الجاسوسة) من كل أوساط المجتمع بمختلف طبقاته الاجتماعية ومستوياته التعليمية والمهنية والأخلاقية. قد يكون (الجاسوس) طالباً أو بروفسوراً في جامعة، جندياً أو ضابطاً في الشرطة، مراسلاً أو وزيراً في وزارة، ممرضاً أو طبيباً في مستشفى، نادلاً أو مديراً لمطعم، مضيفاً أو قبطاناً في طائرة، عاملاً أو مالكاً لفندق، محرراً أو مالكاً لصحيفة، مذيعاً أو رئيساً للتلفزيون، حارساً أو سفيراً في سفارة. قد يكون (الجاسوس) رئيساً لدولة وعميلاً في الوقت نفسه لمخابرات أجنبية. قد يأتي (الجاسوس) من أسرة مفككة مصدعة وقد يأتي من أسرة متماسكة ومحافظة اجتماعياً. قد يكون الجاسوس بدوام كلي أو جزئي وقد يكون عميل مزدوج، جاسوس مع بلده،

وجاسوس ضد بلده في الوقت نفسه. قد تكون (الجاسوسة) سكرتيرة حسناء فائقة الجمال، وقد تكون قبيحة لا تلفت الانتباه إلا بقبحها ربما تنفع لأعمال الستر أو التغطية. وقد يكون (الجاسوس) أباك أو أمك، أخاك أو أختك، زوجك أو زوجتك، خالك أو عمك، صديقك أو زميلك، جارك أو رئيسك، وقد تدري أو لا تدري بأنه (جاسوس) أو (جاسوسة) شيطاناً أو ملاكاً. وقد يكون (الجاسوس) أنت الذي يقرأ هذا الكتاب، فما يميزك من الصفات أعلاه، ويا ترى لماذا أصبحت (جاسوساً) ؟ ومع تشابه تسميات (جاسوس) في اللغات المختلفة هناك تشابه في ردود الأفعال نحو الجواسيس بالرغم من اختلاف مستوياتهم الاجتماعية والمهنية والعلمية والأخلاقية. وحتى في هذه الأيام في وقت جعلت مؤسسات التجسس الوطنية المتعددة عملية التجسس حقيقة راسخة، فإن كلمة (الجاسوس) ما زالت كلمة غير لطيفة. وهذا هو السبب الذي جعل مؤسسات التجسس تفضل أن تطلق على نفسها وكالة استخبارات. ومهما اعترفت الملاحظات الساخرة السياسية الحديثة بضرورة الحاجة إلى استطلاع متطفل على أفراد معينين في عالم محفوف بالأخطار، فإن التجسس ليس مهنة يفضلها الآباء لأبنائهم. صحيح جداً بأن هناك غموضاً وعقبات كبيرة أمام دراسة موضوع مستور ومحجوب يرتبط بتطبيقات علم النفس الميدانية، أو العملية، في عمل الجواسيس والمخبرين، ولكن مع ذلك الستر والاحتجاب هناك أهمية لمحاولة المغامرة في دراسة هذا الموضوع الشائك. فهناك غياب لهذه العينة من الدراسات في المكتبة العربية. صحيح جداً بأن هناك بعض الكتب عن الحرب النفسية، وبعض الأفلام أو المسلسلات عن الجاسوسية، وبعض الروايات عن الجواسيس، وبعض التغطيات الصحفية عن موضوعات شتى عن عالم المخابرات. ولكن في حدود علم الباحث ليس هناك بحث عربي موضوعي يعالج تطبيقات علم النفس في مجال المخابرات. يقع عالم التجسس بين الحقيقة الصعبة والخيال الغريب. عرفناه في شخصية لورنس العرب المحيرة والغامضة، وكذلك في شخصيات جون فيليبي وايليا كوهين، ورأفت الهجان. وفي هذا المجال أخذتنا روايات أجاثا كرستي إلى عالم بوليسي مليء بالأعمال القذرة، يتجلى فيها بطل خارق يكشف عن المجرمين، ويعمل كمحقق وعميل وجاسوس في آن واحد. وجاءت روايات الجاسوس أرسين لوبين لتظهر شخصية الجاسوس المحببة والذكية، وكذلك روايات جيمس بوند التي انتقلت إلى السينما وذاع صيتها في جميع أنحاء العالم، وبات العميل رقم 007 مثلاً للصغار والمراهقين، وموضع اهتمام الكبار وإعجابهم (بوست، 1990). في تقديري، فإن جزءاً مهما من معركة اليوم السياسية، أو الدبلوماسية، أو الاقتصادية. تقع في قلب عملية التجسس. وتبرز المعالجة السينمائية، أو الروائية الممتازة لهذه الشخصيات،

وتوضح من غير شك الدور الكبير لعالم التجسس عامة. عموما كانت هناك زيادة في مساحة حرية المعالجة للأعمال السينمائية والروائية المرتبطة بموضوع المخابرات وذلك لأن هذه الأعمال تقدم الحقيقة بلغة أدبية، وربما بقدر من الغموض والتمويه والإثارة. ولكن عندما يعالج موضوع الاستخبارات بصورة مكشوفة وعلنية من خلال أعمال أكاديمية، أو مذكرات صارخة، تقل مساحة الحرية المتاحة.

صائد الجواسيس

أدى انكشاف أجهزة الاستخبارات إلى اهتمام الرأي العام بها، وقد حاولت الحكومة البريطانية عبثاً منع نشر كتاب (صائد الجواسيس) ، وهو يتحدث عن مذكرات ضابط سابق من جهاز الاستخبارات يدعى بيتر رايت، واستنفرت أجهزة الجمارك في المطارات والموانئ البريطانية، وبدأت عملية تفتيش لا مثيل لها للقادمين، وخاصة من أميركا. فقد خرجت لندن عن وقارها المزعوم وديموقراطيتها العريقة لتشن حملة واسعة على كتاب (صائد الجواسيس). وتجاهلت إسرائيل هذا الدرس، وحاولت عام 1990 وقف نشر كتاب لضابط سابق في الموساد هو فكتور أوستروفسكي في الولايات المتحدة وكندا، وفشلت أيضاً. لا تستطيع المجتمعات الديموقراطية أن تصمد بثبات في وجه الضغوط من أجل محاسبة ومراقبة أجهزتها السرية، ويعتبر هذا صحيحاً عندما تتوجه جهود الاستخبارات نحو مواطني الدولة، وليس نحو الجيوش الأجنبية أو الجواسيس. ولكن مع هذه الضغوط الموجهة نحو الاستخبارات فلقد قام ماركس بنشر أهم كتاب على الإطلاق عن استخدام المخابرات المركزية الأميركية لعلم النفس، وهو كتاب (مرشح إنسان منشوريا) وذلك في حدود المباح أو الحرية المقيدة في مراجعة بعض وثائق المخابرات. ولقد ذكرنا (بعض) لأنه تم رفض مراجعة البعض الآخر. في تقديري، إن الحرب الحالية بين الأمم، خاصة المتقدمة أو الصناعية، ستكون حرب معلومات أو حرب مخبرين أو حرب جواسيس، وليس حرب اقتتال وبندقية وكلاشنكوف في كل الأوقات. فكيف يا ترى يمكننا فهم هذه الحلقة المهمة من حلقات الصراع الدولي؟ بدأت الدراسات الأكاديمية، على حسب قول بلاك وموريس تهتم بما عرف أنه (الحلقة المفقودة) التي بدونها لا يمكن فهم السياسة، ولا الحرب، ولا الديبلوماسية، ولا العلاقات الدولية، بشكل صحيح. وكانت الولايات المتحدة الرائدة في هذا المجال، وذلك على الرغم من انفتاحها الواضح في موضوع الاستخبارات. ومع ذلك فقد حدث تقدم معتبر في بلدان أخرى، ففي بريطانيا أشار بعض المؤرخين من أمثال كريستوفر أندرو إلى أنه يمكن أن تحاط الأبحاث العميقة والأعمال الجادة ببعض القيود السخيفة والتافهة بحجة الأمن القومي. وهكذا تتزايد المؤتمرات الدولية والندوات والنشرات مثل

بيروقراطيات الاستخبارات والأمن. في القرن العشرين جرى نشر جيوش من الجواسيس خلال فترة من التاريخ تميزت بحروب مستمرة إلى حد كبير. وكلما كانت هناك حروب كان هناك جواسيس أيضاً. ولو عرفنا أن الاتحاد السوفياتي استخدم أكثر من 300000 جاسوس في ذروة قوته، وأن الولايات المتحدة استخدمت جيشاً من الجواسيس أقل من هذا الرقم بقليل، فربما يمكننا أن نعرف مدى عمق جذور التجسس في بنية الحضارة الحديثة. وأطلق على هذا القرن في بعض الأحيان قرن الجواسيس، والسبب في ذلك هو أن الرغبة الدائمة في الحصول على المعلومات عند الدول الصناعية الحديثة أوجدت جيوشاً من الجواسيس الذين قاموا بمثل هذا الدور الحاسم في مجرى تاريخ العالم. وهناك بعض الجواسيس كانت لأفعالهم تأثيرات دراماتيكية على التاريخ، وهؤلاء هم الرجال والنساء الذين أثروا على نحو مباشر على مصير الإمبراطوريات والشعوب، وحتى التاريخ نفسه. فيا ترى كم من الجواسيس العرب من كان له هذا التأثير؟ ربما لا يمكننا معرفة ذلك نتيجة لصعوبات البحث في العالم السري للمخابرات من جهة، ومن جهة ثانية عزوف أو لامبالاة أو رفض علماء النفس العرب البحث السيكولوجي في هذا المجال الاستراتيجي. وعلى الرغم من استراتيجية هذا المجال و جوهريته أو لبابيته، ينظر أحد علماء النفس العرب أنه من القشور. قد يرفض بعض علماء النفس العرب تقبل الفكرة القائلة بالتزاوج بين الاستعمار وعلم النفس، وبين الحرب وعلم النفس، وبين المخابرات وعلم النفس. ولكن مهما كان الرفض فهناك علاقات شائكة التداخل، ومعقدة التفاعل بين هذه القوى. إذ تحتاج هذه العلاقات لملاحظة فاحصة لتحديد مخالب علم النفس، وتحتاج لقراءة ناقدة لكشف الحساب، ولشحن أو لتعزيز فيض من الذكريات لأخذ الدروس والعبر منها. ويمكن القول بأن روح الاستعمار والإمبريالية ذات المخالب الحادة قد سرت في أوردة وشرايين علم النفس، وأن عظمة وعملقة علم النفس تقف من خلفها المخابرات بدعمها السخي لتطور مفاهيمه، ونظرياته، ومناهجه، وتقانته، لكي يكون أكثر حدة في مخالبه. فيا ترى متى يصل علماء النفس العرب إلى تلك النقطة المحددة التي يقبلون فيها سوء استخدام علمهم بواسطة رفقائهم من علماء النفس في جزء آخر من العالم؟ والسؤال المحير هو كيف نقرأ وندرس ونبحث في علم النفس دون الإحساس بهذه السيطرة؟ مع العلم بأن الإحساس باب مهم من أبواب علم النفس العام ! أو دون الإحساس بعملية التحكم، مع العلم بأن هناك ثلاثة أهداف مركزية لعلم النفس من بينها الضبط أوالتحكم. وإنه لأمر عجب، إذ أن كبرياء بعض علماء النفس العرب لا تود أن تجرح علم النفس الغربي بأي مخالب، مع أن اسكنر نفسه عبر عن تجريح مخالب علم النفس لحرية وكرامة الإنسان، وحسب تعبيره فإن الناس

قد تم التلاعب بهم. ويعترف عالم الإنسان مالينوسكي قائلا وبعد عشرين عاماً من العمل الأنثروبولوجي وجد نفسه كما كانت، في موقفها الخاص، بمحاولة لدراسة الإنسان بطريقة تسيء للإنسان، تجرح إنسانيته، تماماً كما جرحت الفيزياء والكيمياء والطبيعيات الطبيعة في السنوات السابقة. إن المحاولة الهروبية لدفن الرؤوس في الرمال من عدم المواجهة، أو النظرة البريئة الوديعة لتطبيقات علم النفس، والقول بأنه علم طاهر، وعفيف، ونقي، وتقي، هي من العوامل التي حولت علم النفس في العالم العربي لكي يكون بلا لون، وبلا رائحة، وبلا طعم، وفوق كل ذلك بلا مخالب.

مفارقات

ويعتمد هذا البحث على النظرة القائلة بأن واحداً من أهم جوانب التطبيقات العالمية لعلم النفس وضوحاً هو المفارقة بين عملية التطبيق بالجملة، والتطبيق بالقطاعي وبـــ المخالب الحادة وباللامخالب. وتعني العملية الأولى الاستخدام الأشمل، أو الأوسع، أو الأكبر، لعلم النفس في السياسة الدولية، وخاصة في الاستعمار والحرب الباردة بقصد التحكم، واستخدامه في المخابرات بصورة خفية ومستورة، بينما تعني الثانية الاستخدام الأصغر لعلم النفس في المجال التربوي، والعلاجي، والمهني. وتبعاً لهذا التعريف يبدو أن علماء النفس في الغرب في حالة من الاستعداد المهني لتطبيق علم النفس بفعالية بالجملة (الماكرو)، وبالقطاعي (المايكرو) على السواء. وبتعبير آخر، فإنه استخدام مزدوج يقوم بكلا الدورين، أو يلعب على الحبلين بصورة واعية وهادفة. لذلك كانت نتائج علم النفس في الغرب أكبر من طموحاته، لأنه يقوم بأداء كل من الفرائض، والنوافل بجدة. وبالمقابل ربما يمكن القول بأن هناك عدم تهيئة نفسية لعلماء النفس في العالم العربي بتطبيق علم النفس بفعالية حتى على المستوى القطاعي (المايكرو) أو لا يقوم علم النفس بأداء حتى النوافل بوجهها الأكمل. وتبعاً لعدم التهيئة النفسية لم ينجح علم النفس في العالم العربي بتحقيق طموحاته المذكورة في مقدمات كتبه، وهي: الفهم، والتنبؤ، والتحكم. وجانب ثان من جوانب المفارقة هو محاولة علماء النفس العرب شرنقة علم النفس داخل قوقعة صغيرة لا تسمن ولا تغني من جوع، وهذه الشرنقة جعلت علماء النفس العرب يتعرضون أكثر من أي مجموعة أخرى من علماء النفس في العالم لعملية غسيل الدماغ بعلم النفس نفسه، مما عزز زيادة التهميش وتعميق الهزائم النفسية في العالم العربي. ومن جهة أخرى، ساعدت هذه الرؤية الضيقة والتقليصية لعلم النفس على حصول انتصارات لصالح قوى تعرف كيف تطبق علم النفس بصورة فائقة الفائدة. وجانب ثالث من جوانب المفارقة في تأسيس علم النفس بأن وزارات الدفاع وأجهزة المخابرات في الدول الغربية هي التي تصدر القرارات

أو تبادر بتطور علم النفس وتطبيقاته في مجال الاختيار والتدريب وتمول الأبحاث للأغراض الدفاعية، الكبرى ويختار لها أكفاء علماء النفس، وأعرق الجامعات ومراكز البحوث، بينما لا علاقة واضحة لعلم النفس في العالم العربي بأغراض الدفاع. ولا ندري إذا كانت هناك مخابرات عربية واحدة تقدم بحثاً لتطور علم النفس أو لتطبيقاته. أو حتى تعين علماء نفس كاملي الدوام، أو تستقطب علماء وجواسيس من أقسام علم النفس. وجانب رابع من جوانب المفارقة هو ممانعة علماء النفس في الغرب من الالتزام بالمعايير الأخلاقية لتطبيقات علم النفس. وتبعاً لذلك يتم تطبيقه في كثير من الأحيان بصورة إجرامية، وتسامح علماء النفس العرب بمراعاة هذه المعايير وتطبيق علم النفس بصورة مثالية. وفي هذا الجانب أقتبس ما عبر عنه اسكنر بقوله إن تكنولوجيا السلوك تعتبر من الناحية الأخلاقية محايدة، ويمكن استخدامها من جانب المجرمين أو القديسين. وبكلمات أخرى، إن رؤية الشفقة والرحمة لدى علماء النفس العرب تقابلها في أحايين كثيرة رؤية القسوة والعدوانية عند علماء النفس في الغرب. ولكي نفهم طبيعة العلاقة بين التطبيق بالجملة، والتطبيق بالقطاعي هناك أهمية لتتبع تاريخ علم النفس الضارب بجذوره العميقة في الاستعمار، خاصة ارتباطه بالإمبراطوريتين: الألمانية، والبريطانية. ويعتمد البحث على النظرة القائلة بأن مفاهيم ونظريات ومناهج علم النفس بلغة أنثروبولوجية، هي عبارة عن أسلاف غائرة في الاستعمار، وبلغة نباتية، أن زهرة علم النفس المعاصرة تقف على جذور شجرة عميقة في الإمبريالية. وهناك أهمية لأن ندرس طبيعة الحلف بين علم النفس وعلم الإنسان، وتهليلهما للتحكم والسيطرة وزيادة قبضة الغرب على اللاغرب. إن هذا التهليل ساعد على تعزيز مخالب علم النفس بصورة حادة ومبرمجة واستراتيجية. لذلك لا بد من سبر هذه الأغوار الاستعمارية، والجذور الإمبريالية لمخالب علم النفس. أولاً، بوسعنا القول إنه من غير قراءة عميقة غائصة في تاريخ علم النفس وتأسيسه البحت في ألمانيا، وتأسيسه التطبيقي في بريطانيا، وتطوره التعلمي الكلاسيكي في روسيا، وارتقائه الإمبريالي لقمة إفرست في أميركا، سوف نفشل في تحديد علاقة علم النفس الاستراتيجية بالحرب الباردة، وهو هدف مركزي للدراسة الحالية. وثانياً، بوسعنا القول كذلك بإنه من غير قراءة ذكية لعلاقة علم النفس بالمخابرات البريطانية والأميركية، ولأبحاث غسيل الدماغ، والقياس النفسي، والتنويم المغناطيسي، والباراسيكولوجيا، وتقانة التجسس، والحرب النفسية، ومعرفة القوة الخفية وراء تمويل هذه الأبحاث سوف نفشل في فك شفرة من شفرات مخالب علم النفس في استخدامه المستور في المخابرات. وثالثا بوسعنا القول كذلك انه من غير قراءة موسوعية لمعرفة دور مخالب علم النفس في إطار

العلاقات العربية الإسرائيلية من خلال معرفة مخالب علم النفس في اختيار وتدريب الجواسيس، وكيفية صياغة الحرب النفسية، وتنظيم العمليات الإرهابية، واستغلال الجمعيات العالمية السيكولوجية، وتنميط الشخصية العربية، والاغتيالات بواسطة الموساد، سوف نفشل في وعي أو تشخيص بعض أسباب الهزائم النفسية أمام إسرائيل بمخالب حادة. ورابعاً، بوسعنا القول إنه من غير قراءة دقيقة لأهداف علم النفس كما هي في كتب المقدمات، ومعرفة بعض قضايا البحث السيكولوجي في العالم العربي، سوف نفشل في تحديد ما المقصود بالتحكم بالقطاعي، واللامخالب في علم النفس، وهو هدف مركزي للدراسة الحالية. وسوف تكون رؤيتنا في هذا الكتاب رؤية تاريخية في مجملها ترتبط بتاريخ علم النفس لكي نؤكد لعلماء النفس العرب، ونحدد، كما نفصل، الإثباتات التاريخية لعلاقة علم النفس بالاستعمار والحرب الساخنة والباردة وبالمخابرات.

ملف العدد

الحياة الجنسية بين الزوجين
خصائصها وصعوباتها

(مقاربة عبر استمارة لـــ 120 شخصاً)

د. شكري الأشطر[1]، د. فوزيّة بللّعج الأشطر[2]، د. مكرم ميزوري[3]،
د. عثمان العمامي[4]، د. أنور الجرّاية[5]

sexual life of couple
Particularities and difficulties

(Approach about 120 self-inquiries)

AUTHORS: CHOKRI LACHTAR [1], FAOUZIA BELLAAJ LACHTAR[2],
MIZOURI AKRAM[3], THMAN AMAMI[4], ANOUAR JARRAYA[5].

من إصدارات مركز الدراسات النفسية والنفسية الجسدية

- العلاج السيكوسوماتي المعرفي.
- سيكولوجية الشائعة / شائعات الحرب العراقية أنموذجاً.
- علم النفس الأمني.
- الأمراض النفسية وعلاجها / دراسة في مجتمع الحرب اللبنانية.
- الثلاثاء الأسود / خلفيات ما جرى في 11 أيلول.
- النفس المقهورة / سيكولوجية السياسة العربية.
- أميركا في المستنقع العراقي.
- الخصوصية العربية والعقل الأسير/ نحو سيكولوجية عربية.

الحياة الجنسية بين الزوجين: خصائصها وصعوباتها

(مقاربة عبر استمارة لـــ 120 شخصا)

د. شكري الأشطر[1]، د. فوزية بللعج الأشطر[2]، د. مكرم ميزوري[3]،
د. عثمان العمامي[4]، د. أنور الجراية[5]

sexual life of couple: Particularities and difficulties

(Approach about 120 self-inquiries)

AUTHORS: CHOKRI LACHTAR [1], FAOUZIA BELLAAJ LACHTAR[2],
MIZOURI MAKRAM[3], OTHMAN AMAMI[4], ANOUAR JARRAYA[5]

Key words: Sexual life - sexual characteristics - sexual dysfunctions – family speech – couple life – life stability - Taboo.

ABSTRACT

We had shown interest in the sexual life of couple that has a great importance in the society's building.

Motives: Search for characteristics of sexual life in couple in our sample.

Methods: we have used a self-inquiry. Our study was a descriptive and analytic one.

Results: 120 persons have participated in the study. (77 men and 43 women). 80% of them were satisfied in their sexual life and 60% of those expect that their sexual satisfaction was persisting with time. Only 14.5% reported their own sexual difficulties and 30% of those judged as instable

their couple life. 19% signalled sexual difficulties for their partners. Impotence was the exclusive sexual difficult for men; whereas failure of sexual desire was the predominant one for women.

Third of our population didn't respond to the question of speech about sexuality in their couple. This may be dealing with persisting of taboo about this subject in our society.

Discussion: We expect identifying some characteristics of sexual life of couple in our sample: - High prevalence of sexual satisfaction and persistence of this satisfy with time.

- Poor reporting of sexual dysfunction.
- Lack of talking about sexuality.

Conclusion: We recommend a wider study and psycho-sexual conversations with couples.

1- **Dr Chokri Lachtar:** General Practitioners - Competence of psychiatry – 10 street 18th January - 3080 JEBENIANA – TUNISIA, -
e-mail: chokri.benhasen@gnet.tn

2- **Dr Faouzia Bellaaj Lachtar**: Assistant lecturer of psychiatry , Psychiatry « B » Department; hospital University Center HEDI CHAKER; SFAX; TUNISIA.

3– **Dr Makram Mizouri**: Résident en Psychiatrie, Psychiatry « B » Department; hospital University Center HEDI CHAKER; SFAX; TUNISIA.

4- **Dr Othman Ammami**: Lecturer of psychiatry, Psychiatry « B » Department; hospital University Center HEDI CHAKER; SFAX; TUNISIA.

5- **Pr Anouar Jarraya**: Professor of psychiatry- Head of psychiatry « B » Departmen, Psychiatry « B » Department; hospital University Center HEDI CHAKER; SFAX; TUNISIA.

Correspondance to: PR ANOUAR JARRAYA; Psychiatry « B »_Department; hospital University Center HEDI CHAKER; TN 3029 - SFAX; TUNISIA; Tel (00216 74 242 438), Fax (00 216 74 241 384); Tel Portable: 00216 98 231 145 - **e-mail: jarraya.anouar@laposte.net**

الكلمات المفاتيح: الحياة الزّوجيّة - الحياة الجنسيّة - الاضطرابات الجنسيّة- الحوار الأسري - استقراريّة الأسرة - المحضور.

الخلاصة

لقد اهتممنا بدراسة الحياة الجنسيّة للزّوجين، نظراً لأساسية العلاقة الجنسيّة في الحياة الزّوجيّة.

- **الأهداف:** البحث عن خصائص الحياة الجنسيّة في الحياة الزّوجيّة في المجتمع التّونسي، ودورها في ديمومة وجود الحياة الأسريّة واستقرارها.
- **الوسائل:** اعتمدنا على استبيان.
- **المنهجيّة:** كانت دراستنا استطلاعيّة، وقد اعتمدت على المنهج الوصفي التحليلي في تناول الموضوع.
- **النتائج:** شملت دراستنا 120 شخصا (77 رجلاً و 43 امرأة) من أصل 500 استمارة. عبّر80% من الأفراد عن رضاهم عن حياتهم الجنسيّة، وقد تواصل هذا الرّضا بالنسبة لـــ% 60 من ضمن هؤلاء. صرّح 14.5% من الأفراد بوجود صعوبات جنسيّة لديهم و يعتقد 30% منهم أنّ حياتهم الزّوجيّة غير مستقرّة. لاحظ % 19 من الأفراد وجود اضطرابات جنسيّة لدى القرين. كانت الصّعوبة الجنسيّة الوحيدة لدى الرّجال هي صعوبة الإنعاض، بينما مثّل ضعف الرّغبة الجنسيّة الصّعوبة الأكثر لدى النّساء. حوار الزّوجين حول الحياة الجنسية يبدو من المواضيع التي يراد السّكوت عنها، إذ رفض ثلث أفراد العيّنة الإجابة عن هذا السّؤال.
- **المناقشة:** يظهر أنّ من مميّزات الحياة الجنسيّة للزّوجين في شريحتنا هو: نسبة عالية من الرّضا الجنسي و تواصل لهذا الرّضا مع الزّمن. كما أنّ هناك تأكيد لدى الغالبيّة على غياب الاضطرابات الجنسيّة، وغياب الحوار حول هذا الموضوع.
- **الخاتمة:** نوصي بدراسة أشمل عبر جمهرة أوسع وحوار نفسي- جنسي مع الزّوجين.

1- د. شكري الأشطر: كفاءة في الطب النّفسي - كفاءة في العلوم الجنسيّة - 10 نهج 18 جانفي 3080 جبنيانة - صفاقس - الجمهوريّة التّونسيّة - Chokri.benhassen@gnet.tn

2- د. فوزيّة بللّعج الأشطر: أستاذة مساعدة في الطب النّفسي - كفاءة في العلوم الجنسيّة - قسم الطّب النّفسي "ب" - المستشفى الجامعي الهادي شاكر صفاقس.faouzia.lachtar@g-net.tn

3- د. مكرم ميزوري: طبيب مقيم، قسم الطّب النّفسي "ب" - المستشفى الجامعي الهادي شاكر، صفاقس.

الحياة الجنسية بين الزوجين
خصائصها وصعوباتها

(مقاربة عبر استمارة لـ 120 شخصاً)

المقدمة

لقد استأثرت حياة الزّوجين، على مرّ العصور، باهتمام كبير من المفكّرين، بما تمثّله من ثراء في العلاقات الإنسانيّة. فالحياة الزّوجيّة تداخل لعلاقة اجتماعيّة وعاطفيّة بين فردين، كما أنّ الزوجين ليسا كمّاً لاثنين، وإنّما هما شبكة علاقات فيها تبادل وخلق تتجاوز مجموع وحدتين. وكما أنّ لكلّ فرد من الزوجين إشكاليّاته الخاصّة، فإنّ لكلّ علاقة زوجيّة إشكاليّاتها الخاصّة [5]. وجزء مهمّ من هذه العلاقة تمثّله الحياة الجنسيّة بين الزّوجين. فهذه الحياة الجنسيّة تؤثّر مباشرة في العلاقة بينهما، كما تتأثر بطبيعة هذه العلاقة. وكم من اضطراب في الحياة الجنسيّة بين الزّوجين يكون منطلقاً لانخرام تدريجي في الحياة الأسريّة، إلى حدّ الانفصال بين هذين الزّوجين أحياناً. وكم أيضاً، من علاقة غير سويّة بين الزّوجين تساعد على ظهور اضطرابات جنسيّة لدى أحدهما أو لدى كليهما.

وما بحثنا هذا إلاّ مقاربة لهذه الحياة الجنسيّة في مجتمعنا المغاربي.

إذن، ما هي خصائص الحياة الجنسيّة بين الزوجين في شريحتنا ؟ هل هناك صعوبات جنسيّة ؟ ما نوعها، وما مدى تأثيرها على الزوجين وعلى حياتهما الزوجيّة؟

4- د. عثمان العمامي: أستاذ مبرّز في الطب النّفسي. قسم الطّب النّفسي ب' - المستشفى الجامعي الهادي شاكر، صفاقس.

5- د. أنور الجرّاية: أستاذ في الطب النّفسي - رئيس قسم الطّب النّفسي ب' - المستشفى الجامعي الهادي شاكر، صفاقس.

للمراسلة: د. أنور الجرّاية، قسم الطّب النّفسي ب' - المستشفى الجامعي الهادي شاكر، 3029 صفاقس، الجمهورية التونسيّة. الهاتف 438 242 74 216 00 ، الفاكس 384 241 74 00216.

البريد الإلكتروني: jarraya.anouar@laposte.net

الوسائل والمناهج

I- اختيار المجموعة

لقد حاولنا أن نمسّ بدراستنا كلّ الشّرائح المجتمعيّة، وهو هدف كبير، ولكنّه صعب التّحقيق ميدانيّاً، خصوصاً وأنّ بحثنا يهمّ موضوعاً "محظوراً في الخطاب"، لأنّه يمسّ حميميّة العلاقة بين الزوجين من جهة، كما أنه يعتمد، من جهة أخرى، على استمارة موجّهة إلى أشخاص لا يشتكون حتماً من اضطرابات جنسيّة. من هنا جاءت ضرورة الموافقة الأوليّة لهؤلاء المستجوبين، حفاظاً على أمانة وصحّة الإجابة. أعددنا استمارة للرّجال واستمارة أخرى للنّساء تشتمل على الأسئلة نفسها.

II- نوعيّة الدّراسة

1) **الاستمارة:** اشتملت الاستمارة 3 محاور.

أ- خصائص الشخص: (الجنس، السن، أقدميّة الحياة الزوجيّة، صلة القرابة مع القرين، مسقط الرّأس، الوظيفة، المستوى التّعليمي، الحالة الصحيّة، عدد الأطفال، وسائل منع الحمل المعتمدة إن وجدت).

ب- تعريفه (ها) بقرينه(ها)

ت- خصائص الحياة الجنسيّة للزوجين: (درجة الرّضا عن الحياة الجنسيّة مع القرين، التطوّر الزّمني لهذا الرّضا، وجود أو عدم وجود صعوبات جنسيّة لدى الشخص، أو لدى قرينه، نوعيّة هذه الصّعوبات، تواترها، وجود أو عدم وجود حوار بين الزّوجين حول موضوع الحياة الجنسيّة).

2) **العمل الميداني**

وزّعنا 500 استمارة، وحرصنا على ضمان سريّة الإجابات (عدم ذكر أسماء المستجوبين مع إمكانيّة إرسال الردّ بريديّاً). تحصّلنا على 120 إجابة أي 24 % من مجموع الاستمارات التي وزّعت، وقد حال حرصنا على سريّة الأجوبة دون معرفة الأسباب الحقيقيّة، التي كانت وراء الامتناع عن الإجابة، وبالتّالي لا نستطيع الجزم بأنّ حرمة الحديث في الموضوع هي التي كانت وراء هذا الرّفض.

3) **معالجة المعطيات**

- كانت دراستنا من النّوع الوصفي التحليلي والمقارناتي بين الجنسين، بالبحث عن العوامل المحيطة بالاضطرابات الجنسيّة، لدى الزوجين، أو المتسبّبة في تواصلها.
- اعتمدنا في عملنا الإحصائي على البرامج الآتية: إيبي أنفو في نسخته السّادسة بالفرنسيّة (Epi 6 Fr 6.04) و إكسال اكس- ب (Excel XP).

III- الصّعوبات التي اعترضتنا

1) اختيار العيّنة: منذ البداية كنّا أمام خيارين مختلفين:

الأوّل: ويتمثّل في اختيار جمهرة معيّنة والعمل معها، لكنّنا كنّا مهدّدين بمشكل نقص المعطيات التي قد نتحصل عليها.

الثاني: ويتمثّل في اختيار جمهرة أوسع، وما لهذا الخيار من تأثير على تمثيليّة ودلاليّة النتاج الحاصل، ومن ثمّ على مدى دلالته مجتمعيّاً. ولكننا اعتمدنا هذا الخيار، لما يمكن أن يوفّره لنا من ثراء في المعطيات.

2) نقص الوثائق والأبحاث الإحصائيّة التي يمكن اعتمادها كمرجع في هذا الموضوع، نظراً لقلّة الإحصائيات الواسعة حول الحياة الجنسيّة للزّوجين في بلادنا.

3) الموضوع المطروح للبحث هو موضوع واسع جداً، ذلك أنّ الحياة الجنسيّة تتأثّر بمعطيات عديدة (شخصيّة، اجتماعيّة، وعلائقيّة خاصّة بكلّ زوجين) كما أنّ مثل هذا الموضوع لا يزال في قائمة المحظورات، خصوصا وأنّه يمسّ العلاقة الحميمة بين الزوجين.

النتائج

I- السّمات العامّة لجمهرتنا

للأفراد المكوّنين للجمهرة

1- **الجنس:** تتكوّن عيّنتنا من 120 فرداً منهم 77 رجلاً و 43 امرأة (نسبة رجال/نساء = 1.79). هذه الهيمنة العدديّة لأجوبة الرجال في عيّنتنا كانت راجعة بالأساس إلى أنّنا وجدنا سهولة أكثر في الاتّصال بالرّجال.

2- **السنّ:** معدّل السنّ لجمهرتنا هو 38.9 سنة (من 23 إلى 54 سنة). نصف الأشخاص كان عمرهم يتراوح بين 31 و40 سنة و80% هم بين 31 و50 سنة (مرحلة النضج عند إريكسون) [1]

3- **أقدميّة الحياة الزّوجيّة:** 70% من الأشخاص كانوا متزوّجين منذ أكثر من خمس سنوات. أقدميّة الزواج، هذه، تمكّننا من متابعة تطوّر العلاقة الجنسيّة بين الزّوجين.

4- **مسقط الرّأس:** ينحدر 80.8% من الأفراد من وسط حضري، أو شبه حضري.

5- **مكان الإقامة الحالي:** 89 % من الأشخاص يقطنون في وسط حضري أو شبه حضري.

6- **المستوى التّعليمي:** يتميّز غالبيّة أفراد جمهرتنا بمستوى تعليمي ثانوي أو عال (جامعي)، ممّا يدلّ على انتماء أفراد جمهرتنا إلى نخبة مجتمعيّة. كما يعتبر هذا

المستوى التّعليمي الطّيّب، عاملاً إيجابيّاً في تيسير فهم الاستمارة لديهم، وبالتالي تيسير الإجابة.

7- **المهنة:** قرابة 70% من الأشخاص يعملون كإطار متوسّط أو عال. % 3.3 من الأشخاص بدون شغل، وكنّ كلّهنّ نساءا.

8- **الحالة المدنيّة:** الغالبيّة العظمى لجمهرتنا (96.7%) متزوّجون للمرّة الأولى، و2.5% فقط كانوا متزوّجين للمرّة الثّانية، بعد طلاق.

9- **الحياة الصحيّة:** % 85 من مجموع جمهرتنا لم يكونوا يشكون من أيّ مرض و 9.2% فقط لهم سوابق مرضيّة.

10- **صلة القرابة مع القرين:** وجدت صلة قرابة بين الزّوجين لدى 25% من الأشخاص.

11- **عدد الأطفال:** 90% من مجموع جمهرتنا كان لهم من طفل واحد إلى أربعة أطفال. تجدر الإشارة هنا إلى أن 4/5 (80%) من مجموع جمهرتنا كانوا في فترة الخصوبة والإنجاب، حسب نظريّة التّطوّرالحياتي لإريكسون. هذه الفترة تتميّز عادة بالحرص على تأدية دور الأب، أو الأم، وهو الذي تحرّكه حاجيات و حوافز عديدة (الحاجة إلى تحقيق الذات الشّخصيّة، الحاجة إلى تحقيق الذات المجتمعيّة).

12- **وسيلة منع الحمل:** لم يجب عن هذا السّؤال سوى 68 شخصاً من ضمنهم 25٪ لا يعتمدون أيّ وسيلة لمنع الحمل. بالنّسبة للّذين يستعملون وسيلة لمنع الحمل فقد كنّ كلّهنّ نساء، وكانت الوسيلة المعتمدة في الأساس هي آلة منع الحمل(33.8%). المفكّرة (25%) أو حبوب منع الحمل(10.3%). المفكرة هي وسيلة لمنع الحمل، غير مضمونة النتائج، كما أنّها تحدّ من تلقائيّة العلاقة الجنسيّة بين الزوجين، وتبقى هذه الأخيرة مصحوبة بهاجس الحمل الغير مرغوب فيه أو الغير مبرمج.

خصائص القرين

1. السنّ الحاليّة: الزّوجات كنّ أصغر سنّاً (معدّل العمر 34.1 سنة) من الأزواج (معدّل العمر 40.9 سنة). هذا الفارق في السنّ بين الزّوجين يعتبر طبيعيّاً في أوساطنا، ويمكن إرجاعه إلى عقائد وتقاليد منها:

أ- الاعتقاد بأنّ المرأة تهرم بسرعة أكبر من الرّجل (هرم بدني، فقدان لقدرة الإنجاب واستمالة الآخر، تراجع في الحياة الجنسيّة).

ب- ضرورة هيمنة الذّكر في مجتمعنا المغاربي، الأبويّ السّلطة؛ وفارق السنّ هو أحد عوامل هذه المعادلة.

ت- الحرص على تزويج البنت في أسرع وقت ممكن، وهذا يتجلّى بوضوح في أمثالنا الشّعبيّة التّونسيّة[in 13]: "الطّفلة إذا كبرت فلا بدّ لها من ذكر أو من قبر"، "من عنده البنات عنده الهمّ بالحفنات"...

2. مسقط الرّأس: % 80 من مجموع القرناء، ينحدرون من وسط حضري، أو شبه حضري.

3. المستوى التّعليمي: لقد لاحظنا النّسبة المرتفعة شيئاً ما للقرناء الغير المتعلّمين، أو ذوي المستوى التّعليمي الابتدائي(19.9%). الأمّيّة كانت خاصّة بالنّساء فقط.

4. عمل القرين: 55.7% من النّساء كنّ لا يعملن خارج بيوتهنّ (نساء في المنزل)، بينما كان 81% من أزواجهنّ يشتغلون كإطارات عالية أو متوسّطة. بالنّسبة لبعض النّاس لا يشكّل المستوى الدّراسي المرتفع أو عمل المرأة شرطاً أساسيّاً في اختيار زوجة المستقبل.

5. الحالة الصّحيّة للقرين: 87.9% من القرناء كانوا في صحّة جيّدة.

II - الحياة الجنسيّة للزّوجين

1- **درجة الرّضا عن الحياة الجنسيّة مع القرين(ة):** (سؤال 11أ: هل تحسّ بالرّضا عن حياتك الجنسيّة مع قرينك؟ دائماً، عادة، أحياناً، أو أبداً) عبّر ٪ 80 من الأشخاص عن رضاهم الدائم أو الشبه الدائم عن حياتهم الجنسيّة، و20% عن انعدامه.

2- **التّطوّر الزّمني لهذا الرّضا عن الحياة الجنسيّة** (سؤال 11ب: هل تقلّصت درجة الرّضا عن الحياة الجنسيّة مع الزّمن؟ وفي ظرف كم مدّة ؟) في ظلّ العلاقة الزوجيّة، ومع مرور الزمن، تقلّصت درجة الرضا عن الحياة الجنسيّة لدى ٪20 من الأفراد وبقيت مستقرّة لدى 60%.

3- **الصّعوبات الجنسيّة:** (سؤال 12: هل لديك صعوبات جنسيّة ؟ وسؤال 13: هل تعتقد أنّ لقرينك صعوبات جنسيّة ؟)

أ- الصّعوبات الجنسيّة لدى أفراد الجمهرة: اشتكى 14.5% من الأفراد من صعوبات جنسيّة لديهم. تواتر هذه الصّعوبات كان أكثر لدى النّساء (21.4% مقابل 10.7% بالنّسبة للرّجال)، و قد قدّر 30% من الأفراد الذين يشتكون من صعوبات جنسيّة أنّ حياتهم الزّوجيّة لم تكن مستقرّة.

ب- الصّعوبات الجنسيّة لدى القرناء: لاحظ % 19 من أفراد شريحتنا وجود اضطرابات جنسيّة لدى القرين.

وقد صرّح % 9 من الأفراد عن جهلهم لخصوصيّة الحياة الجنسيّة لدى القرين وصعوباتها الممكنة، ممّا يوحي بقلّة أو غياب الحوار بين الزّوجين حول هذا الموضوع.

4) **تواتر الصّعوبات الجنسيّة:** (سؤال 12 أ، 13 أ: دائماً، عادة، أحياناً، أو نادراً)

ت- لدى أفراد جمهرتنا: كانت الصّعوبات الجنسيّة ظرفيّة أو نادرة لدى 13 شخصاً، ومتواصلة لدى 3 أفراد.

ث- لدى القرناء: كانت الصّعوبات الجنسيّة في الغالب ظرفيّة أو نادرة.

5) **نوعيّة الصعوبات الجنسيّة**

ج- مثّلت صعوبة الإنعاض الاضطراب الجنسي الوحيد لدى كلّ الرّجال.

ح- ومثّل ضعف الرّغبة الجنسيّة الصّعوبة الجنسيّة الشّبه الوحيدة لدى النساء.

6) **حوار الزّوجين حول الموضوع الجنسي:** (سؤال 15: هل تعتقد(ين) أن الحوار حول الصّعوبات الجنسيّة يجب أن يوجد بين الزّوجين ؟)

أ- امتنع 44 فرداً عن الإجابة عن هذا السؤال، و قد لوحظ هذا الامتناع أكثر لدى الرجال (12 امرأة [أي 28% من مجموع النّساء] و 32 رجل 41.6% من مجموع الرّجال]). هذه النّسبة العالية من الامتناع عن الإجابة تبرز أهمّيّة البعد التّحريمي الذي لا يزال يضرب موضوع الجنس في أوساطنا. ويبدو أنّ هذا 'التّحريم' قد امتدّ حتّى إلى العلاقة بين الرجل والمرأة المرتبطين برابط شرعي ومحترم اجتماعياً، ألا وهو الزّواج.

ب- من ضمن الذين أجابوا (76 حالة)، يعتقد 87% من الأفراد أنّ وجود الحوار حول الحياة الجنسيّة بين الزّوجين ضروري.

ت- و قد أكّد كلّ الذين يشتكون من صعوبات جنسيّة أنّ المسائل الجنسيّة يجب أن تندرج ضمن المواضيع المطروحة بين الزّوجين.

المناقشة والتّعليق

إنّ ما يجب الإشارة إليه في البداية، هو أنّ دراستنا هذه أجريت في المجتمع التّونسي المتميّز بإجباريّة الزّوجة الواحدة (monogamy) قانونيّاً، فلا وجود لتعدّديّة الزوجات لزوج واحد بالنسبة لشريعتنا.

من خلال بحثنا هذا يتجلّى لنا بوضوح وجود رضاً عاماً (80%) لأفراد جمهرتنا عن حياتهم الجنسيّة، كما يتجلّى أيضا تواصل هذا الرضا، مع استمرار الحياة الزّوجيّة لدى

الغالبيّة (60%).

الدّراسات حول العلاقة الجنسيّة قليلة حتّى في المجتمعات الغربيّة. وقد عنيت هذه الدّراسات غالبا، بتقييم الحياة الزّوجيّة، أو الأسريّة بصفة عامّة دون تخصيص للحياة الجنسيّة للزّوجين. فقد أبرزت دراسة فرنسية قديمة[3] أنّ 70% من الرجال و 80% من النساء يقيّمون أنّهم غير سعداء بعد سنة واحدة من زواجهم، وبعد سنتين تصبح هذه الأرقام 80% بالنسبة للرجال و% 85 بالنسبة للنساء، و بعد ثلاث سنوات % 89 و 90% على التوالي.

تبرز دراستنا هذه استقرار الحياة الجنسية لدى أفراد شريحتنا، ويعتبر هذا الاستقرار عنصراً هامّاً وأساسيّاً في استقرار واستتباب الحياة الزوجيّة، وبالتالي الأسريّة. فاستقرار الأسرة يلعب دوراً هاماً في التوازن النّفسي لكلّ من الزوجين، وكذلك للأبناء. والمعروف أن الأسرة في أوساطنا لا تزال تتمتع بدرجة كبيرة من الاستقرار، فقد أكّدت دراسة حديثة حول الطّلاق في العاصمة التّونسيّة، صلابة العائلة رغم أنّها نواتيّة. [6]

أبرزت دراستنا النسبة الضئيلة للصعوبات الجنسيّة المصرّح بها من طرف المستجوبين: 14.5% فقط من المستجوبين أكّدوا وجود صعوبات جنسية لديهم.

نتيجتنا هذه توافق نتائج دراسات أخرى لوحظ فيها ضعف نسب الصّعوبات الجنسيّة المصرّح بها، فقد أشار إلى هذا الدكتور 'معن قاسم' في دراسته، حول التّفكّك الأسري في اليمن [8]، بأنّ مجموعة كبيرة من عيّنته قلّلت من أنّ هناك مشكلة جنسيّة، تؤدّي إلى إعاقة الحياة السّعيدة بين الزوجين، إذ لاحظ بأنّ الممارسة الإكلينكيّة تبيّن أنّ هذه المشكلة لها أهميّة في أوساط الأسرة، ولكنّ غياب الثّقافة الجنسيّة التي احتلّت نسبة % 40 من عيّنته، وهي أعلى نسبة، إلى جانب الخجل، منعا بعض المفحوصين من الإجابة بصدق و أمانة.

في حديثه عن الفشل الجنسي في الحياة الزوجية [4] يؤكد شارل جلمان، على أنّ الحدّة التي يؤثّر بها الفشل الجنسي على نفسية الفرد، لا تضاهيها حدّة إلاّ في بعض المجالات القليلة الأخرى من الحياة... ذلك أنّ الإحساس بالفشل الجنسي لدى الجنسين هو نوع من الخسارة التي تؤثّر سلباً في كيان الفرد كله. ففي زمننا هذا المعروف بنرجسيّة وتقنيّة الأفراد فيه، لابدّ للبدن أن يعمل كآلة تمتاز بحسن الصيانة والعمل، دائم النّجاعة [4].

وفي بحثنا عن تواتر هذه الصعوبات الجنسية لدى الجنسين نلاحظ حدّة هذا التواتر أكثر لدى النّساء، إذ بلغت هذه النسبة لديهنّ ضعف النّسبة لدى الرجال (21.4% لدى النّساء مقابل 10.7% لدى الرّجال).

هل أنّ هذه النسبة هي الحقيقة ميدانيّاً، أم أنّ هناك إخفاء من طرف الرجال لحقيقة صعوباتهم الجنسية ؟ لقد ذهب عديد المؤلّفين والباحثين إلى هذه الملاحظة [1، 4] حيث أكّدوا صعوبة تعبير الرجل عموماً عن عجزه الجنسي، والذي هو في الحقيقة يمكن أن يعاش كضربة في صميم الهويّة الذّاتية للشّخص، إلى حد تخصيص بعض المؤلّفين، في معرض حديثه عن خصوصية الحوار مع الرجل، الذي يشتكي من صعوبات جنسية، لمجال ينبّه فيه الممارسين إلى حقيقة مشكل ما أسماهم "بالكذّابين" وضرورة الابتعاد عمّا أسماه بالحوار- المساءلة [5]. ولابدّ في هذا السياق من الرجوع إلى ما أكّده "ميكائيل بالينت" [10] منذ الستّينات من أنّه "إذا طرحنا بعض الأسئلة على بعض المرضى لا يمكن لنا إلاّ الحصول على أكاذيب".

وفي دراسة قديمة (1976) يجد المؤلّفون أنّه ضمن المرضى الذّكور، الذين أجريت عليهم عمليّات جراحيّة بسبب التهاب الشّرايين، هناك % 40 قدّموا معلومات خاطئة للطّبيب الجرّاح عن حقيقة حياتهم الجنسيّة [5].

من كلّ هذا نفهم هشاشة الحياة الجنسية للرجل، خصوصاً، في نمط ثقافي رجولي، يحتّم على الرجل أن يكون متفوّقاً، قويّاً (بدنيّاً، ذهنيّاً وجنسيّاً) منتجا وناجحا (في النّواحي الاجتماعيّة والماديّة[4] وهو ما يولّد ابتعاده عن الخوض في إشكالياته الجنسية الخاصة، مما يجعل الرّفض عن الإجابة أو نفي الاضطراب الجنسي لديه هو نوع من الدّفاع عن ذاته.

يرى % 30 من الذين يشتكون من صعوبات جنسية، أن حياتهم الزّوجيّة غير مستقرّة. يبدو هذا الرقم نسبياً مرتفعاً، ولكنّه يؤكّد من جديد أنّ الحياة الجنسيّة هي وظيفة وعلاقة، وسيلة أخذ و عطاء، وكما عبّر عنها تورجمان [6،4] "العلاقة الجنسيّة هي المجال الأقرب الذي تظهر فيه الخلافات الزّوجيّة". من هنا يأتي التساؤل هل أنّ هذه الصعوبات الجنسيّة هي سبب أم نتيجة للخلافات الزّوجيّة ؟

صعوبة الإنعاض مثّلت الصعوبة الجنسيّة الوحيدة المصرّح بها لدى الرّجال في شريحتنا.

أشار عديد المختصّين في العلوم الجنسيّة، إلى أنّ هذه التّسمية "صعوبة الانعاض" من طرف المرضى، هي في الحقيقة تشمل العديد من الاضطرابات الجنسيّة الأخرى[5].أظهرت الدراسات في هذا المجال إلى أن الاضطرابات الأكثر شيوعاً، لدى الرجال، هي اضطرابات الانعاض واضطرابات القذف [4]، ولكنّه ليس من السّهل الحصول على إحصائيّات في هذا المجال، نظراً لما يولّده التصريح والإقرار بهذه الاضطرابات من

شعور بالخجل والقلق والنقص. وبالتالي فإنه عادة ما يقع إنكار هذه الاضطرابات، حتّى وإن كانت الإجابات لا تحوي اسم المستجوب (عن طريق استمارة مثلاً). ولكنّنا نعلم أنّ هذا النّوع من الاضطرابات هو نادر عند من لم يتجاوزوا سن الخامسة والثلاثين، وأنّ قرابة ربع الرجال الذين تجاوزوا السّبعين من العمر يشتكون منه بدرجات متفاوتة.

تشير دراسة في هذا المجال، إلى أنّ الصعوبات في الإنعاض غالبا ما تكون ظرفيّة: غالب الرجال يجدون صعوبة في الإنعاض في أوقات معيّنة (% 39 نادراً، % 17 أحياناً و13% عديد المرّات، عموماً، أو دائماً) [4] ثمّ إنّ وضعَ المتفرّج الذي يتّخذه الرّجل المصاب بهذا الاضطراب هو الذي يغذّي القلق النّاجم عنه.

مثلت ضعف الرغبة الجنسيّة لدى النساء الصعوبة الجنسية المهيمنة، وحتّى الوحيدة تقريباً، دون تخصيص لنوعها. هل هي أوّليّة (أي قبل خوض أيّ تجربة جنسية) أم ثانويّة (أي بعد حياة جنسية كانت طبيعيّة في السّابق) ودون تحديد لأسبابها الحقيقيّة، مع العلم أنّ الأسباب العضوية تأخذ حيّزاً لا بأس به في هذا النوع من الاضطراب[4].

الحوار بين الزوجين حول الموضوع الجنسي ضروري بالنسبة ل 87%من الذين أجابوا عن هذا السؤال. وسكوت ثلث الجمهرة عن هذا السؤال يوحي بغياب هذا الحوار داخل حياتهم الزوجية.

الحوار بين الزّوجين هو ضرورة لعلاقة جنسية سليمة. ومن علامات هذا الحوار هو تمكين كلّ فرد للآخر من التعبير بوضوح عن آرائه وأحاسيسه. وقد ذهب إلى هذا عديد الباحثين إلى حدّ اعتبروا فيه بعض الاضطرابات الجنسية تعبيراً عن خلل في الحوار بين الزوجين، وأن تحسين هذا الحوار بين الزوجين هو أحد أهداف علاج الاضطراب الجنسي.

الخاتمة

إن دراستنا لا تعدو أن تكون سوى تسليط للضّوء على موضوع طالما خشينا الحديث فيه، وقلّما بحثنا فيه بشفافيّة. وإنها تأتي لتؤكد من جديد أن الحديث عن الحياة الجنسية للزّوجين لابد أن يأخذ بعين الاعتبار، علاوة عن المواصفات النفسية الخاصة بكل فرد، والبعد العلائقي بينهما، خصوصية المحيط الثقافي والاجتماعي للزوجين. و رغم محدوديّة بعض المعطيات والنتائج المتحصّل عليها، فإنّه أمكننا التوصّل إلى نتائج ملموسة ومميّزة لشريحتنا، تستدعي منّا تأمّلاً أكثر في خصائص مجتمعنا وبالتالي دراسات أوسع وأعمق، لا من خلال استمارات فقط، بل من خلال جلسات نفس- جنسيّة مع الزّوجين.

المراجع

1- د. أنور الجراية [1997-1998]

مقدمة للعلوم الجنسية (غير منشور) درس في شهادة الماجيستير في العلوم الجنسية- كلية الطب بصفاقس، 1997-1998، 40 صفحة.

2 - **EDWARD, T.HALL [1971]**

Au-delà de la culture; Book, translated from the American Language by MARIE-HELENE HATCHUEL, Seuil Edition, Paris, 1971, 234 pages.

3 - **J. ALILAIRE: [1979]**

Hygiène mentale de la vie sexuelle - Medical and chirurgical Encyclopaedia. Paris, Psychiatry - 37960 E 10, 11- 1979.

4 - **GERMAIN BERNARD, LANGIS PIERRE [1993]**

La sexualité (approche biologique), Book, Maloine edition, Quebec, 1993, 235 pages.

5 - **J. TIGNOL :[1991]**

Les troubles sexuels masculins en consultation de psychologie médicale. medecin and psychotherapy collection, Paris, 1991, 138 pages.

6 - **BOUHDIBA ABDELWAHAB [1995]**

Quête sociologique- livre, Cérès Edition - 1995; Tunis, 255 pages.

7 - **LUCK BRASSARD , PIERRE DALNESS, ERICK DEUTRICH [1992]**

Le couple et son désir, Book, Edition of " la Louvière Somatotherapic Institue of Tours- 1992- 245 pages

8- معن قاسم [2001]

التفكّك الأسري وآثاره النفسيّة والاجتماعية.مجلّة الثّقافة النّفسيّة- العدد 47- 12- تموز/ يوليو 2001- ص 65- 79.

9 - MARIE-AIMÉE ET JEAN GUILHOT: [1980]

Psychothérapie de groupe pour les couples, Book, ESF Edition - 1980 – 105 pages.

10 - M. BALINT [1960]

Le Médecin, son malade et la maladie, Book, PUF Edition, 1960, 422 pages.

11 - CHRISTINE CASTELAIN-MEUNIER [1988]

Les hommes aujourd'hui (virilité et identité), Book, Acropole Edition - 1988 ; 272 pages.

12 - PAUVERT MATHIAS (1993)

Amour sexe le bouquin, Book, "Les belles lettres" Edition, Paris, 1993, 432 pages.

13 - SELLAMI WACIM [1999]

"Etude de la genralité à travers les proverbes Tunisiens", Memory for obtaining master of sexology - University of Medecine- Sfax-Tunisia- 1999.

14 - J. WAYENBERG [1994]:

Guide pratique de sexologie médicale, Book, Masson Edition, 1994, 135 pages.

من ملفات الثقافة النفسية المتخصصة

- أمراض القلب النفسية – العدد 65.
- علم النفس السياسي – العدد 57.
- الهجرة وأمراضها النفسية – العدد 63.
- سيكولوجية الحروب العربية – العدد 55.
- السمنة وعلاجها النفسي – العدد 53.
- سيكوفيزيولوجيا الألم – العدد 54.
- الجديد حول الاكتئاب – العدد 56.
- سيكولوجية أطفال الانتفاضة – العدد 50.

إذا رغبتم في اقتناء المجموعة الكاملة للمجلة زوروا مواقع مركز الدراسات النفسية والنفسية الجسدية

WWW.Filnafs.com

WWW.Psyinterdisc.com

WWW.Psychiatre- naboulsi.com

أو اتصلوا على:

E-mail: ceps50@hotmail.com

قواعد نشر البحوث
في مجلة الثقافة النفسية المتخصصة

تعمل مجلة الثقافة النفسية المتخصصة على تقديم أفضل مستوى ممكن من الإحاطة بمستجدات الاختصاص في كافة فروع العلوم النفسية، محاولة بذلك الاستجابة لحاجات المتخصصين والمهتمين، خصوصاً بعد تداخل تطبيقات الاختصاص مع مختلف فروع العلوم الإنسانية. وذلك من خلال إطلاع القارئ على اتجاهات البحوث العالمية، وتعريفه بأخبار ومستجدات هذه البحوث، وعبر بعض الترجمات المفيدة. أما بالنسبة للبحوث العربية، فإن المجلة تسعى لتقديم فرصة عرض الدراسات والبحوث الرصينة والمسايرة للمستجدات وللحاجات الفعلية لمجتمعنا العربي.

وصفحات هذه المجلة مفتوحة أمام كل الباحثين العرب، وهي ترحب بمساهماتهم الملتزمة بشروط النشر التي حددتها الهيئة الاستشارية وهيئة التحرير على الشكل التالي:

قواعد عامة

1- الالتزام بالقواعد العلمية في كتابة البحث.
2- أن يكون البحث مطبوعاً ومراجعاً من قبل كاتبه.
3- أن لا يكون البحث قد سبق نشره أو عرضه.
4- أن يقدم الباحث إقراراً بعدم إرساله إلى جهة أخرى.
5- أن لا يزيد عدد صفحات البحث عن 20 صفحة.
6- كتابة العناوين الرئيسية وسط السطر، والعناوين الفرعية على الجانب الأيمن.
7- إرسال نسخة واحدة من البحث مع الديسك.
8- السيرة العلمية المختصرة بالنسبة للكتّاب الذين لم يسبق لهم النشر في المجلة.

قواعد خاصة

1- كتابة عنوان البحث، واسم الباحث ولقبه العلمي، والجهة التي يعمل لديها على صفحة الغلاف.
2- يراعي في إعداد قائمة المراجع ما يلي:
3- تسجيل أسماء المؤلفين والمترجمين متبوعة بسنة النشر بين قوسين، ثم بعنوان المصدر، ثم مكان النشر، ثم اسم الناشر.
4- تخضع الأعمال المعروضة للنشر للتحكيم العلمي السرى، وفقاً للنظام المعتمد في المجلة، ويبلغ الباحث في حال وجود اقتراحات تعديل من قبل المحكمين.
5- توجه جميع المراسلات الخاصة بالنشر إلى رئيس التحرير.
6- الآراء الواردة في المجلة تعبر عن رأي كتابها ووجهات نظرهم.
7- تلتزم المجلة بإبلاغ الباحث عن قرار النشر، وهي لا تعيد الأبحاث المرفوضة لأصحابها.
8- لا تدفع المجلة مكافآت مالية عن البحوث التي تنشرها.

مركز الدراسات النفسية والنفسية - الجسدية

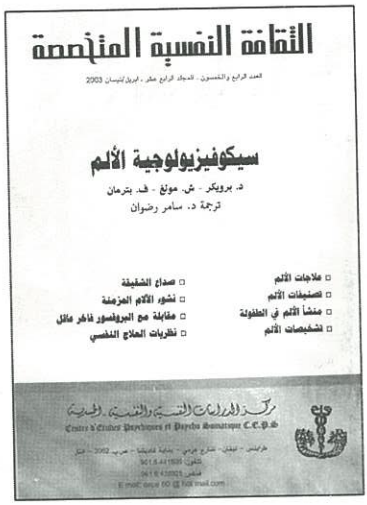

مركز الدراسات النفسية والنفسية الجسدية
يدعوكم لزيارة مواقعه على الإنترنت

WWW. FILNAFS. COM
WWW. PSYINTERDISC. COM
WWW. PSYCHIATRE- NABOULSI. COM

إصدارات
مركز الدراسات النفسية

مازالت شعوب المنطقة تتلقى التهديدات الأميركية بتكرار لسيناريو العراقي وبالنشر القهري للديمقراطية الأميركية. وبإمكانية إطلاق الديمقراطية من منصة الأقليات في لمنطقة. بما يحول شعوب المنطقة إلى احتلال مزدوج أميركي متمازج بتسلط الأقليات). أيضاً تتضمن التهديدات إطلاق الديمقراطية عبر الشركات الأميركية العملاقة. حيث وضعت شركة هاليبرتون على النفط العراقي لتصبح الحاكم لفعلي للعراق. والأميركيون مستعدون لتولية شركاتهم الأخرى بقية دول المنطقة وشعوبها.

دراسته في فهم الظاهرة السياسية، من خلال التعرف على جذورها النفسية في التكوين الجماعي أو الفردي، يضيء زوايا معتمة من المشهد الواقعي لحال الأمة في حركة تطورها، وينخرط في صراعها المعاصر ضد قوى الاستكبار العالمي والكيان الصهيوني، آملين أن يتطور البحث في هذا الميدان، وأن يغتني عبر تلاقح الأفكار، والنقد الإيجابي، حتى تشكل مثل هذه الدراسات دليلاً علمياً وعملياً يرشد خطواتنا في معركة التنمية والنهضة ومواجهة التخلّف.